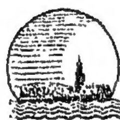
عبد الكريم الجهيمان

دورة مع الشمس

هذا الكتاب وصف لرحلة حول الارض ..
حول العالم بدأت من الرياض عن طريق الغرب
وانتهت في الرياض عن طريق الشرق .





الاهداء . . .

إلى من يريد أن يرافقني في هذه الرحلة حول العالم ، ليشاهد ما شاهدت يوما بيوم وساعة بساعة . . وسوف أعفي من يرغب ذلك من أن يساهم بأي شيء من الجهد ، أو يبذل أي نوع من أنواع النفقة . . والشيء الذي أريده منه أن يتغاضى عن بعض عيوبي :—

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

كفى المـــرء نبلاً أن تعد معايبه

وأن يبذل عدة دريهمات ثمناً لقيمة الورق الذي سجلت عليه هذه المشاهدات . . فإلى من يريد ذلك أقدم كتابي . . هدية متواضعة .

المؤلف

المقدمة

أدب الرحلات معروف منذ قديم الزمان ، حيث يصف الرحالون ما يرونه في رحلاتهم لأحوال البلاد التي يمرون بها . . . يصفون مجتماتهم . . . وعوائدهم . . . وعقائدهم . . . وطريقة علاقة بعضهم ببعض . . . كما يصفون الحركة العلمية والثقافية . . . وطرائق الحكم . . . وعلاقة الحاكم بالمحكوم . . . وما إلى ذلك . . . من الأمور التي يهم قارىء هذه الرحلات أن يطلع عليها .

وقد قمت بعدة رحلات إلى كثير من البلاد العربية والإسلامية . . . كما قمت بعدة رحلات إلى كثير من الدول الأوروبية .

وكنت في هذه الرحلات أسجل كل ما يلفت نظري مما أراه أو أسمعه في تلك البلاد التي زرتها ، وكانت الصعوبة التي تعترض طريقي هي معرفة لغة البلاد التي أزورها .

فمعرفة اللغة مهمة جداً لمن يريد أن يطلع على أخلاق الناس وطبائعهم . . . ومعرفة خبايا نفوسهم ، وأسرارها .

وكنت في أشد الشوق إلى أن أقوم برحلة أدور فيها حول الكرة الأرضية ؛ من باب العلم بالشيء ولا الجهل به .

وكنت أؤجل هذه الرحلة من عام إلى عام ، لعلي أجد فرصة لتعلم اللغة الإنجليزية ؛ لأنها هي أكثر اللغات انتشارا ؛ ولأن من يعرفها يستطيع أن يتفاهم بواسطتها في معظم المجتمعات العالمية . .

ولكن السنوات تمر ، والفرص لا تواتي من هو في مثل سني ، ومن هو في مثل وضعي العائلي ؛ حيث تملأ شئون اسرتي معظم أوقاتي ، وأيام حياتي . . .

ولهذا فقد عزمت على أن أقوم بهذه الرحلة ؛ مع أن بضاعتي في اللغة الإنجليزية مزجاة . . . حيث لا تتجاوز بعض التعبيرات البسيطة ؛ التي لا تسمن ولا تغني من جوع .

ومع ذلك فان ما أعرفه على بساطته كان يحل كثيراً من الصعوبات التي كنت أمر بها . . . مصحوباً ببعض الاشارات ؛ التي تساعد على فهم ما أريده . . أو مـــا يراد مني . .

والرحلات لها أهداف مختلفة ، ولأصحابها أهداف شتى . . .

فهناك الرحلات لطلب العلم والمعرفة ، وهناك الرحلات لطلب لقمة العيش ، وهناك الرحلات للتجارة والكسب ، وهناك الرحلات للغزو والجهاد ولا شك أن أفضل الرحلات وأسماها ما كان لطلب العلم والمعرفة أو للجهاد في سبيل الله . . . ويتلوها في الفضل السفر لطلب المعيشة والكسب الحلال . . . وهناك كثير من الرحلات التي يعود صاحبها . وكأنه لم يسافر ؛ انه لا يستفيد من تلك الأمم الراقية التي سافر إليها ، لأنه مغلق على نفسه ، لا يحاول أن يؤثر في تلك المجتمعات . . . أو يتأثر بها . .

وهذا النوع من المسافرين محدود التفكير . . . مغلق الذهن . . . لا يستفيد ولا يفيد من رحلاته قليلا . . . ولا كثيراً .

والرحّالة الحق في نظري . . . هو من يؤثر . . . ويتأثر . . من يأخذ من تلك المجتمعات المدنية أحسن ما فيها من أخلاق وعادات ، ويترك ما يتنافى مع هذه الأخلاق مما اعتادوا عليه . .

والرحّالة الحق هو الذي يرفع سمعة وطنه ؛ بسلوكه الشريف النظيف . . . وأخلاقه العالية . . وطباعه المحموده .

والأسفار هي التي تكشف المرء على حقيقته ولذلك فان شخصاً في ماضي الزمان أثنى على شخص آخر فقيل له : هل عاملته في بيع أو شراء فقال لا . . ثم قيل له : هل رافقته في سفر . . ؟ فقال لا ، فقيل له : إنك إذاً تثني عليه وأنت لا تعرفه . .

والأسفار والرحلات لها محاسن ولها مساوىء ؛ ولكن محاسنها أكثر من مساوئها لمن أحسن التصرف ، وبصر بمواطن الاستفاده ، وعرف كيف يعاشر الناس . . . ويكسب ودهم واحترامهم ، وكيف يأخذ من محاسن أخلاقهم وعاداتهم . .

وقد قال الله سبحانه وتعالى في الحث على الأسفار : (أفلم يسيروا في الأرض) . الآية فالسفر يدعو إلى التفكير والتدبر ، واكتساب العلم والمعرفة ، والاحاطة بكثير من الأمور التي لا يعرفها المقيمون في ديارهم . . وقد حرصت على أن أسجل في هذه الرحلة ما أراه مفيداً للقارىء من عادات حميده ، أو اختراعات مفيدة . . أو مظاهر غريبة تدعو إلى العجب أو الاعجـــاب فالفضل ليس مقصوراً

على أمة من الأمم . . فكل أمة فيها محاسن وفيها مساوىء ، فيها الخير وفيها الشر ، وانما تتفاضل الأمم بكثرة محاسنها ، وقلة مساوئها : :

فإلى هذه الرحلة — أيها القارىء الكريم — لترى فيها ما رأيت :. وتسمع منها ما سمعت . .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . .

١/٦/١٤٠٠ هـ . عبد الكريم الجهيمان

ملاحظة هامة .! !

هذه الرحلة نشرت تباعاً في صحيفة الجزيرة الغراء وذلك ابتداء من ٢٥ محرم إلى ٢٥ ربيع الثاني من عام ١٣٩٧هـ.

لهذا لزم التنويه .

الفهرس

تمهيدات .. للرحلة ..

أشعر بشيء يشدني إليك أيها القارىء الكريم واعتقد أنك تشعر نحوي بنفس الشعور ، ولذلك فانني سوف أحاول أن لا أنقطع عنك في أي مناسبة . ولن اتركك تنقطع عني بل سآخذك معي في رحلتي حول العالم ، وسوف أجعلك تشاهد ما أشاهد أو بعض ما أشاهد ، وتحس بما أحس ، وهذه الرحلة طبعا لن تكون بالعمق الذي تتطلع إليه ، ولكنك عن طريقها تستطيع أن تصل إلى العمق الذي تريده فهذه يوميات سائح عادي ليست له علاقة بالمستويات الرسمية ، وليست له صلات بشخصيات كبيرة ، وليست له علاقة بالسياسة وليست له علاقة بالصناعة ، وليست له علاقة بالاقتصاد وانما علاقته بالمجتمعات البشرية .. وما يراه فيها من .. شتى الجوانب التي تهم كل راغب في المعرفة بالأمم والشعوب ، والاطلاع على بعض شئونها .

ولا تنس أيها القارىء الكريم أنني لا أحسن اللغة التي هي طريق التخاطب والاحتكاك بالشعوب ، وانما انقل إليك وصف البعض مما أشاهده ، أو يترجم لي من عادات

وتقاليد ، وما أشاهده من مظاهر حياتهم الباهرة . . وليست عندي قدرة الشباب . . ولا خيال بعض الكتاب ، بل انني سوف اتحدث إليك بما أريد نقله . . بلغة سهلة وسوف أوصله إليك من أقرب طريق ، وسوف أختصر الطريق ما وسعني الاختصار ، فانا أقيسك على نفسي ، فانني إذا رأيت مقالا مطولا فترت همتي ، وبرد عزمي وانصرفت نفسي عن تلك المطولات . . إلى المختصرات .

وبعد هذه المقدمة نشرع في الرحلة من أولها فقد سافرت من الرياض إلى جدة لآخذ بعض التأشيرات ، وانهيت هذه المهمة في خلال يومين وجاء دور حجز الركوب إلى لندن. وذهبت إلى مكتب الخطوط السعودية فقالوا لي : لا حجز إلا بعد اثني عشر يوماً . وفزعت من هذا الموعد المتأخر ، لقد ضقت ذرعاً باليومين الماضيين مع أنه تخللهما عمل ، فما بالك بالاقامة اثني عشر يوما بلا عمل . وذهبت إلى شخصية كبيرة أطلب منها الوساطة لدى الخطوط . . فأنا أعرف أن الخطوط تحجز بعض المقاعد في كل طائرة لبعض الأمور العاجلة أو الخاصة . . فقال لي هذا المسئول : انني واقع في نفس المشكلة ، فلدي بعض الأولاد يريدون السفر ، وانا الان محتار في مشكلة الحجز ، ولكن اذهب إلى فلان في الخطوط فانه سوف يسهل طريق سفرك . . وذهبت إلى فلان هذا فوجدت لديه اجتماعاً سوف يدوم

ساعات ، فذهبت إلى أحد الموظفين الصغار في الخطوط وطلبت منه الحجز . . وهذا طبعاً في مكتب آخــر غير المكتب الذي راجعته سابقاً ، فالخطوط لديها عدة مكاتب . . يضيع المراجع بينها ، فاتصل تليفونيا ثم قال لي لا مركب إلا بعد اثني عشر يوماً . . أو تدفع الفرق ما بين الدرجة الأولى والدرجة الثانية فتركب في الدرجة الأولى وتسافر غدا . . فوافقت حالا ، ودفعت الفرق وقطع لي التذكرة . . وقال : ارجع إلى غدا . . لأؤكد لك الحجز . .

فخرجت من عند هذا الموظف وثيابي لا تكاد تسعني من الفرح . . فقد انحلت أصعب مشكلة قد تواجهني في رحلتي هذه .

في مطار جده :

ذهبت إلى مطار جدة في وقت مبكر ، لأكون مع أول الركاب . . . وعرضت التذكرة على الموظف المختص بركاب الدرجة الأولى فأعادها إليّ وقال : اذهب بها إلى الموظف المختص بركاب الدرجة الثانية فذهبت إلى حيث قال واحتللت مكاني في طابور المسافرين ، وعندما جاء دوري قدمت التذكرة فأعادها إليّ وقال اذهب بها إلى ركاب الدرجة الأولى . . . فعدت ثانية إلى ذلك الموظف ، فقال لي : أنه ليس لدينا درجة أولى . . ان كل الركاب

سيكونون في الدرجة الثانية فقلت له هذا ما أريده . .
فأخذ القسيمة الخاصة بالدرجة الثانية . . وأعاد الي تلك
التذكرة التي تخولني الركوب في الدرجة الأولى .

وقد تساءلت بيني وبين نفسي فقط كيف يقول
موظفوا الحجز انه لا مكان الا بعد اثني عشر يوماً هذه
واحدة . . نضع امامها علامة استفهام ونمضي قدما في
الطريق . . عرضت جوازي على موظف الجوازات فوضع
عليه علامة الخروج . . ودخلت في صالة قاتمة ضيقة
قد تراص المسافرون فيها بشكل خجلت منه ؛ وعندما
نادى مكبر الصوت بأن على ركاب لندن أن يتجهوا إلى
الصالة الثانية استعدادا للسفر ، في هذه اللحظة انطفأ النور ،
ووقف كل راكب في مكانه ، وعلت الضجة وكثر الصخب ،
وبقينا على هذه الحالة ما يقرب من خمس دقائق ؛ ثم فرجت
وعادت الأنوار ، وخرجنا من الصالة الأولى إلى صالة
ثانية في غاية السعة والجمال والتنسيق والنظافة . . فيا حبذا
لو كان دخول الركاب إلى هذه الصالة رأسا ، ويلغى
الانتظار في الصالة الأولى ، ولكن هذه الصالة على جمالها
وكمالها ليس فيها مكبر صوت ينادى بكل ركاب رحلة
على حدة . . ثم عيب آخر وهو أن المسافرين لمختلف الجهات.
يخرجون من باب واحد فقط . . وهذا يدعو إلى الاختلاط

والتخبط والغلط . . وهذا ما وقعت فيه وما سوف أقص عليك قصته .

قلت سابقاً انه لا يوجد في هذه الصالة مكبر صوت ينادى بكل رحلة على حدة . . وقلت ان ركاب جميع الجهات يخرجون من باب واحد . . ورأيت الركاب يخرجون دفعة وراء دفعة . . وكنت في كل دفعة أعرض رقم الرحلة على حارس الباب فيقول لي انتظر . . . وفي مرة من المرات عرضت الرقم أثناء خروج بعض المسافرين . . . فقال نعم وسمح لي بالخروج مع تلك الدفعة . . وركبت مع أولئك المسافرين . . . ولم يسألني أحد أين أنت ذاهب . . ولم أسأل أحدا إلى أين نحن ذاهبون . انني أريد السفر من جدة ولو عن طريق الغلط . . لأنني لا آمن ان يعترض سفري شيء من العقبات . . فاقع في حيص بيص . اما الغلط فان في الامكان تصحيحه . . ويمكن تصحيح الاتجاه إلى لندن في أي مكان . . وحلقت الطائرة في الجو في الساعة الثانية عشرة ليلا . . واخذت الطائرة طريقها . ثم بعد فترة هبطت في أحد المطارات . . وسألت الراكب الذي بجانبي هل هذه لندن فأجابني بالنفي . . وبقينا نصعد من مطار لنهبط في آخر لمدة تسع ساعات وعلمت أنني ضائع . . وسألت المضيفة . .

فلم تفهم ما أقول . . . واشترك بعض الركاب في الحوار . .
وارتفع صوت أحدهم بقوله : هل أنت عربي فقلت نعم .
فقال هذه الطائرة لن تذهب إلى لندن . . ونهاية رحلتها
أمستردام في هولندا . . ومن مطار امستردام يمكن أن
تركب إحدى طائرات اﻟ ك.ل.م. التي تقلع من المطار في
رحلات متتابعة كل رحلة لا يفصلها عن الأخرى إلا
أربعون دقيقة .

وهكذا سارت الأمور واقتنعت انني لست أول ضائع
. . ولن أكون آخر ضائع . . ما دام الوضع على ما ذكرت
. . ولنضع امام هذه النقطة علامة استفهام ؟

وأخيراً وصلت لندن .

أيها القارىء الكريم لا تستثقل هذه المقدمات فانها
طريق إلى أمور أخرى قد تكون ترغب فيها . . والمرء
لكي يصل إلى ما يحب لا بد أن يتحمل بعض ما يكره
. . أو بعض ما يثقل عليه . . فتحمل مني بعض مالا تريد
لكي أصل بك ان شاء الله إلى بعض ما تريد . .

وهذه الجملة التي وضعتها عنوانا لكلمتي هذه مقصودة
ولها معنى سوف أوضحه لك . . فأنا منذ ست وعشرين
سنة أسافر إلى شتى أقطار العـــالم . . وقد زرت معظم

دول أوربا . . وبعض الدول الاسكندنافية أما لندن فلم أزرها خاصة . . قد تقول لي أيها القارىء لماذا ؟ . فأقول لك لأنني أكره السياسة الانجليزية الاستعمارية . . لأنني رأيت آثارها السيئة . . التي كانت الشعوب المستعمرة تعاني منها أثناء الاستعمار ثم لا تزال تعاني منها بعد انحسار الاستعمار المكشوف الذي انتقلت منه الدول الكبيرة إلى الاستعمار المستتر . . الذي هو أشر وأخبث من الاستعمار المكشوف . .

وقد قال لي بعض الأصدقاء ذات مرة لماذا لا تزور لندن . . فأفضيت إليه بوجهة نظري هذه . . فقال لي أنت واهم في الخلط بين السياسة وبين الشعوب . . ان الانجليز خارج بلادهم كمستعمرين من أشر خلق الله . . ولكنهم في بلادهم شيء آخر . . انهم شعب يفتح لك بلده . . ويفتح لك صدره . . ويستقبلك بكل ترحاب . . ويهيء لك جميع سبل الراحة .

وقد جعل لك حديقة غناء تكون متنفسا لآرائك وأفكارك هي حديقة الهايد بارك . . انه يمكنك في هذه الحديقة . . أن تصعد على منبر من منابرها ثم تتحدث بما شئت . . . من آراء وأفكار في شتى مجالات الحياة . . ويسمحون لك بأن تأتي في أحاديثك بآراء معتدلة . . وآراء

متطرفة . . وآراء خاطئة وآراء مصيبة . . لماذا . . لأنهم واثقون أنك تخاطب قوماً يميزون بين الخاطىء والمصيب بين الغث والسمين . . بين الأفكار التي مصدرها الحب والرغبة في البناء . . وبين الأفكار التي مصدرها الحقد . . ومحاولة الهدم والتدمير . وهم يهيئون لك جميع ذلك ليس مجانا . . ولكنك تدفع ثمنه من جيبك ولكنك تدفع ما تدفع وأنت راض كل الرضا . . لأنهم يعطونك أكثر مما يأخذون منك . . هكذا أنت قد تتصور . . ولكنهم في الواقع قد يأخذون منا أكثر مما يعطوننا .. وهم أهل لما يأخذون لأنهم سبقونا إلى أمور كثيرة . . ومن حق السابق أن يأخذ أكثر . .

واستمر صديقي هذا يحدثني عن الانجليز . . وبلاد الانجليز . . ويحاول أن يفرق بين سياسة الانجليز . . والشعب الانجليزى . .

وأخيراً اقتنعت بأنه لا بد من زيارة لندن وهكذا حصل . . وعندما وصلت إلى مطار لندن هالتني كثرة الطرقات والمنعطفات التي تأخذك مرة ذات اليمين ومرة ذات الشمال . . انها طرقات طويلة . . ومنعطفات متعددة . . ولكنها مرسومة بدقة فاذا سرت في طريق منها فانها لا بد أن تصل بك إلى غرضك المقصود .

في مدينة لندن

هذه لندن .

أنا الآن أزور عاصمة تلك البلاد التي كانت لا تغيب عن ممالكها الشمس . . وكانت تدعى بريطانيا العظمى . . وتدعى سيدة البحار .

أما الآن فقد انكمشت تلك الامبراطورية العظيمة . . وانخفضت مواردها حتى صارت تحل لها الصدقة . . لقد بدأ انحسار ذلك السلطان الواسع منذ أن وضعت الحرب الثانية أوزارها . . . والتي خرجت منها بريطانيا منتصرة . . ولكن حلفاءها الأقوياء بدأوا يجنون ثمار النصر وبدأوا يرثون مستعمراتها واحدة تلو أخرى . . حتي بقيت أخيراً صفر اليدين . . خالية الوفاض . . مهيضة الجناح . . تسير من انكماش إلى انكماش ومن بذخ وعز وسلطان إلى تقشف وتدحرج إلى الخلف دوليا واقتصاديا .

ولنعد الآن إلى لندن . . ولقد سمعت أن بريطانيا تشكو الجفاف وقلة الامطار . . وانهم استسقوا وتشفعوا بأحد قساوسة الهنود . . وانفتحت عليهم أبواب السماء بالأمطار والثلوج . . حتى نبتت الأعشاب فيعتبات بيوتهم .

انها بعض الاعتقادات الشاذة في تلك الأمم المتحضرة .

وهكذا وجدت سماء لندن مليئة بالغيوم والضباب والأمطار والثلوج ويستمر نزول الأمطار والثلوج معظم ساعات الليل والنهار . . والناس يروحون ويغدون في حاجاتهم . . لا يعوقهم المطر . ولا تمنعهم الثلوج عن مواصلة جهودهم وأعمالهم . . اليومية أو الليلية .

وقد رسمت لنفسى برنامجاً محدداً جعلت في مقدمته زيارة السفارة السعودية وزيارة الملحق الثقافي لبلادنا . . وبحثت عن عنوان السفارة فلم أجده . . ولكنني وجدت عنوان الملحق الثقافي . . والملحق الثقافي سوف يدلني على السفارة السعودية . .ورجل الديك تجيب الديك كما يقولون في الأمثال .

وصلت إلى لندن وانا مرهق جداً من آثار الضياع . . ومن آثار تغير الجو . حيث انتقلت من جو حار جداً إلى جو بارد جدا . . وبقيت على سريري في الفندق يومين كاملين . . استعدت فيهما قوتى وهدوئي . . وتأقلمت مع الجو . . واعددت نفسي لتنفيذ البرنامج الذي رسمته لنفسي . .

بعد وصولي إلى لندن بيومين ذهبت لزيارة الملحق الثقافي الأستاذ عبد العزيز التركي وهو صديق قديم تربطني به علاقات ود وإخاء منذ ستة وثلاثين عاماً . . وعندما

دخلت عليه في مكتبه كان دخولي مفاجأة لم يتوقعها في الصيف ، فكيف يتوقعها في عز الشتاء وسلمت عليه بحرارة قابلني بأكثر منها . . فأعطتني هذه المقابلة حرارة جديدة . . استطعت أن اقاوم بها برودة الجو الذي انتقلت إليه فجأة . . وقد وجدت عنده في المكتب صديقين عزيزين هما الأستاذ عبد الله المسعري والأستاذ عبد العزيز الرويس فسلمت عليهما وأنست بهما . . ثم طلبت من الأستاذ التركي . . أن يتصل بالسفارة . . ليأخذ لنا موعدا لمقابلة السفير . . فقيل لنا أنه في زيارة خاصة لإحدى السفارات . . وسوف يعود بعد ساعة . . فذهبت إلى السفارة في الموعد المحدد . . وانتظرنا السفير حتّى عاد . . وهو الشيخ فيصل الحجيلان الذي تولى أعمال السفارة أخيراً خلفاً للشيخ عبد الرحمن الحليسي . . قابلني السفير مقابلة ممتازة واعتذر عن تأخره خارج السفارة . . وقال انني كسفير جديد ملزم أدبياً . . وبحكم وضعنا الدولي أن أزور جميع السفراء في لندن زيارة مجاملة . . وهذا الأمر يجعلني في هذه الأيام أقضي معظم وقتي خارج السفارة فدعونا له بالتوفيق . . وودعناه وخرجنا وبعد هذه المقابلة ذهبت أنا والأستاذ الرويس نهيم على وجوهنا في شوارع لندن الواسعة النظيفة . . والغريب أنني لم أر جندياً واحدا يقف عند تلك الاشارات الضوئية في تقاطع الشوارع بل

ان الناس . . كل الناس يحترمون تلك الإشارات . . ولا يخالفونها في سماحها لقوم بالسير . . ومنعها آخرين منه . .

كما أنني لم أسمع منبها واحداً يستعمل على كثرة السيارات . . فكأن سياراتهم ليس فيها منبهات .

في متحف الشمع .

وفي أثناء هيماننا . . رأينا بناية عظيمة . . وقرأنا ما كتب عليها . . فاذا هي تشير إلى أن هذه البناية هي متحف الشمع . . الذي يمثل عظماء العالم . . ودخلنا إليه وصرنا نتجول بين تلك الأجساد التي لا ينقصها الا الروح . . فهذا تشرشل بطوله وعرضه ولباسه وسمنته . . وذلك منتقمري بطل العلمين بلباسه البسيط الذي يشبه لباس الجنود عندنا . . ولا تميزه إلا رتبته العسكرية التي قد زين بها صدره . . وهناك غاندي الرجل العادى البسيط بسراويله وردائه المنسوجين من القطن وفي يده عصا غليظة يتوكأ عليها . . وتعجبت من هذا الشخص البسيط الذي كان يهز بريطانيا العظمى هزاً عنيفاً . . وكان يثير لها الرعب والخوف بصيامه . . وعصيانه المدني لجميع التشريعات الجائرة التي كانت تسنها بريطانيا وتريد أن تفرضها على شعب الهند بالقوة وكان غاندي يصارع هذه القوة المادية . . بالقوة

الروحيـــة . . فانتصر في جميع معاركه مع الانجليز . . وكان غاندي هندوكياً .. ولكنه كان لا يعادى المسلمين . . بل كان فــوق مستوى العصبيات والتحيزات التي تشتت شمل الشعوب وتفرق جماعاتها . . وبسبب هذه الروح السمحة السامية اتهمـــه بعض من يدين بمذهبه بأنه يحابى المسلمين . . ويتسامح معهم . . فاغتاله .

وهكذا ذهب غاندي ضحية من ضحايا التعصب .

أراني أطلت الحديث عن غاندي فلنتركه إلى غيره . . ورأينا تمثال هتلر . . انه معزول عن الزعماء . . فقد جعل في ركن منزو في أحد الطرقات . . بينما الزعماء الآخرون يحتلون غرفاً واسعة . . ويقفون في امكنة بارزة . . ورأينا بعض أسر العائلة المالكة البريطانية :

ورأينا . . ورأينا . . أموراً لا تتسع هذه الزاوية للدخول في تفاصيلها فلنترك متحف الشمع . . ولنتجه إلى شيء آخر جديد .

بكنق هام . هايد بارك . ساعة بقبن . .

كنت رسمت لنفسي قبل أن أصل إلى لندن أن أزور ثلاثة أمكنة قصر بكنق هام الذي هو قصر الملكة — وهايد



ساعة بغبن وخلفها البرلمان الانجليزى

بارك الحديقة الغناء التي يلتقي فيها معظم السواح ..
وكثير من أهالي لندن وساعة بقبن الشهيرة التي سمعت
أنها بلغت سن التقاعد وانها معروضة للبيع وقلت في نفسي
لعل الحظ يسعدني بشرائها لأذهب بها معي إلى بلاد العم
سام .. تلك البلاد الجديدة .. التي تغالي في شراء كل شيء
قديم وبدأت بزيارة قصر بكنق هام .. وعندما وصلت
إليه وجدت قصراً فخماً مؤلفاً من ثلاثة طوابق أو أربعة
وهو .. محاط بسياج من قضبان الحديد .. والحراس
التقليديون يروحون ويجيئون حول أبوابه بشكل رتيب ..
ان هذا القصر يشبه قصر عابدين في القاهرة .. بل ان قصر
عابدين قد يكون أفخم منه وأكثر اتساعاً .. وإنما يمتاز
قصر بكنق هام بالطرق الواسعة المحيطه به .. والميادين
الفسيحة حواليه .. والحدائق الغناء التي عن يمينه وشماله ..
ان جميع الطرق والميادين حول هذا القصر مرصوفة بمادة
وردية في غاية الروعة والجمال والميادين قد زينت بتماثيل
بعض الشخصيات البارزة التي لم يتسع وقتي لمعرفة
أسمائهم .. وتجولت ببصري حول القصر فلم يقع
نظري إلا على ما يسر ويبهج .. وقلت في نفسي كيف
يشيخ ويهرم من يعيش في مثل هذا الجو الساحر الأخاذ ..
ولكنها سنة الحياة .. وتركنا قصر الملكة .. واتجهنا إلى
ساعة بقبن .. ورأيت أنها ساعة كبيرة لها أوجه متعددة ..

وقد نصبت على برج من أبراج البرلمان الانجليزي . الذي يحتل مساحة ليست كبيرة ولكن مبنى هذا البرلمان عجيب في تصميمه وبنائه . وكثرة ابراجه المتعددة الاشكال والأحجام . . ووجدت أن ساعة بقبن ليست بالضخامة التي كنت أتصورها . . وعلمت أنهم يرمزون بهذه الساعة إلى البرلمان الذي هو مصدر السلطات ومصدر التشريعات في الحكومة البريطانية .

وتركت ساعة بقبن دون أن اشتريها . . فقد علمت أخيراً أن ما قيل عن بيعها اشاعة لا صحة لها .

واتجهت بعد ذلك إلى حديقة الهايد بارك التي سمعت عنها كثيراً عن سعتها وعن جمالها . . وعن منابر الخطباء فيها . .

وعندما وصلنا إليها . . وجدتها كما قيل عنها . . بل انها أكبر وأكثر جمالا مما سمعت عنها .

وتجولت في هذه الحديقة حتى تعبت قدماي . . ورأيت تلك البحيرة الجميلة بقواربها وبطها وحمامها الأليف الذي لا يكاد المرء يقف حتى تتكاثر حـــوله تلك الطيور الأليفة . . وترفع أبصارها إليه . . وكأنها تقول . . أعطونا من فتات النعم التي تتمتعون بها . .

وتنعمون بأكلها في أى ساعة من ساعات الليل والنهار . . وقد رأيت بعض العجائز يحملن معهن بعض الحبوب فينثرنها لتلك الطيور فتتجمع حولها وتتصارع لأكل أكبر كمية منها . . انه الكفاح من أجل لقمة العيش .

ومع الأسف لم أر أحداً يخطب في هذه الحديقة . . فلا أدرى هل أخطأت في معرفة المكان الذي يخطب فيه الخطباء . . أم أنني أتيت في يوم غير الأيام التي يخطبون فيها . . فهذه الحديقة واسعة جداً إذا صرت في طرف من أطرافها فانك لا ترى الأطراف الأخرى . . ويتخلل هذه الحديقة الغناء طرق مسفلتة منها ما هو للمشاه . . ومنها ما هو للسيارات . . ومنها ما هو للدراجات العادية . . ومنها ما هو للخيل . . والواقع أنني ضعت فيها . . ولم أستطع أن أتجول في جميع أرجائها لتباعد أطرافها وسعة مساحتها . .

حادثة طريفة .

كنت ذات ليلة نائماً . . أو كنت بين اليقظة والمنام . . وسمعت طنين ذباب يرن عند أذني فاستيقظت م منامي مذعوراً . . وقلت لنفسي من أين جاء هـذ الذباب إلى لندن . . فلقد سمعت أنه لا وجود للذباب فيها وأنه إذا وجد طاردوه حتى يقتلوه . . انهم

يخافون منه ويطادرونه كما نطارد نحن الحية والعقرب .. ولا يدعونه حتى يقتلوه .. فهم يقولون :—

اقتل الذباب قبل أن يقتلك .. والمهم أنني بحثت عن هذا الذباب الذي سمعت طنينه .. بحثت عنه على السرير وما حول السرير ثم بحثت عنه فوق الحيطـــان فلم أجده .. واستلقيت مرة ثانية على السرير .. وتظاهرت بالنوم واستسلمت للهدوء والسكون وقلت لعله يخرج من مخبئه إذا رآني نائماً فاستطيع مطاردته .. ثم قتله .. وطال انتظاري لعودته .. ولكنه لم يعد .. فعلمت أن ما سمعته ما هو الا وهم .. وما تلك الرؤيا إلا من اضغاث الأحلام التي تعرض للانسان في بعض ساعات نومه ..

وبعد يوم أو يومين من هذه الرؤيا رأيت ذباباً واحدا في أحد المطاعم لا أدرى من أين جاء .. ولا كيف جاء .. ولا كيف سلم من المطادرة والقتل من أي انسان يراه .. وأقسم بالله أنني لم أر ذبابا آخر غـــير هذين الذبابين اللذين سمعت أحدهما في المنام .. ورأيت الثاني في اليقظة ...

ولا تعجب يا صديقى القارىء من حديثي على الذباب فهو يعتبر من أعدا أعداء البشرية .. ومن أكثر الحشرات ضرراً وفتكا .. ولهـــذا فانك ترى الأمم المتحضرة

تعلن عليه حربا عوانا لا هوادة فيها . . يحاربونه في مواطن توالده . . ويحاربونه عند خروجه أو قبل خروجه من تلك المواطن .

وأراني أطلت الحديث عن الذباب . . وهو حشرة قد تكون في نظر بعض الناس لا تستحق هذا الاهتمام كله . . فلنكتف بما سقناه عن الذباب ولننتقل إلى الحديث عن أمور أخرى قد تكون أكثر أهمية في نظر بعض القراء . . . ولأ تحدث عن مستوى المعيشة في لندن . .

المعيشة في لندن .

انها غير باهظة التكاليف . . .

ان المرء قد يسكن في فندق متوسط بعشرة جنيهات أي ما يقارب ستين ريالا ويتناول ثلاث وجبات بما يقارب الأربعين ريالا . . هذا بالنسبة لسكان الفنادق . . ومن المعروف أن سكنى الفنادق تكلف أضعاف ما تكلفه سكنى المنازل الخاصة . . إذا كان المرء سيقيم اقامة طويلة.

وقد رأيت طالباً يريد أن يسكن عند عائلة فقيل له ان السكنى مع الأكل وغسل الملابس وتعلم اللغة من أفراد الأسرة يكلفه ذلك كله خمسة وأربعين جنيها في الأسبوع . . وقد قدرنا ذلك بما يقرب من ألف ريال

فقط في الشهر . . ولكنها ليست داخل لندن . . . بل في مدينة خارج لندن . . انها تكاليف بسيطة لمن يريد أن يأخذ هذه اللغة العريقة من أفواه أبنائها . . ولمن يريد أن يعرف هذا الشعب العريق في الحضارة والمدنية . .

وهذا الشعب لا يكره الغرباء . . ولا يميز بين غريب وغريب . . انه يفتح صدره لجميع الاجناس والألوان . . والمذاهب والأديان . . ولا يخشى من الانحرافات . . ولا يخاف من الترهات . . انه شعب ثابت على مبادئه . وعلى أخلاقه ومثله . . وعلى تقاليده التي ورثها عن آبائه واجداده . . ولذلك فحكامه لا يخشون عليه شيئاً من الأمور الدخيلة التي تتعارض مع تراثه . . المتوارث أباً عن جد . .

أراني أيها القارىء الكريم أطلت الحديث عن هذا الشعب مع أنني التزمت أو الزمت نفسي الاختصار والاكتفاء باللمحة الخاطفة والاشارة العابرة . . فلنقف الآن عند هذا الحد . .

بيوت لندن وشوارعها ونهرالتيمس وجسوره .

ولنذهب الآن أيها القارىء الكريم لنتجول في شوارع لندن الجديدة .. ثم ننتقل منها إلى التجول في شوارع لندن القديمة . . لنرى سوية كيف عمرت بريطانيا عاصمتها من دماء الشعوب وأرزاقها . .

ولنبدأ بلندن الجديدة . . إنها تمتاز بسعة شوارعها واتساع ميادينها وكثرة الحدائق العامة فيها . . أما بيوتها فمعظمها لا يتجاوز الأربعة طوابق أو خمسة . . وأنت ترى هذه البيوت متراصة متماسكة قد أخذ بعضها برقاب بعض . . صف عن يمينك وصف عن يسارك لا ترى فيها تنافراً في الألوان . . لا تنافراً في التصميم . . ولا تنافراً في الطول فطولها يكاد يكون متقاربا . . أما العرض . . فهو الشيء الوحيد الذي تختلف فيه وكأن هؤلاء الذين أقاموا هذه المباني كلهم على درجة واحدة من الغنى فعماراتها متماثلة أو قريبة من التماثل . . أو كأن قوة قادرة توجه هؤلاء الذين يقيمون البيوت فتحتم عليهم الشكل والتصميم الذى يتناسب مع ذلك الشارع . . ثم تراقبهم فيما يصنعون حتى تتكامل جميع مبانى الشارع الواحد وهي متناسقة متآلفة .

والشيء الوحيد الذي يشذ عن هذه القاعدة هو بعض العمارات الشاهقة التي تتألف مما يقرب من خمسة وعشرين طابقاً . . والتي تراها ما بين وقت واخر في وسط تلك البيوت المتواضعة المتراصة على جوانب الشوارع .

ان هذه العمارات هي الشيء الوحيد الشاذ في مباني لندن . . والعادة أن كل قاعدة لابد لها من شواذ . . وهذه العمارات الطويلة تندرج في هذا الباب . .

وفي أثناء تجولنا في لندن الجديدة مررنا بعدة جسور مقامة على نهر التيمس . . ولقد هالتني تلك الجسور بضخامتها وفخامتها وحسن تصميمها . . ثم انك ترى هذه الجسور المقامة على نهر التيمس متقاربة . . ليس بعضها بعيدا عن بعض . . ولذلك لا ترى فوقها ازدحاما .

ولقد لفت نظري أحد الجسور بضخامته وما أقيم فوقه من أبراج ومقاصير فتجولت فوقه . . ونظرت إلى النهر . . وإلى ما يحف به من مبان . . لا تتصل غالباً بالنهر وانما يفصلها عنه غالباً شوارع تحف بالنهر . . وتسير معه حيث سار . . بحيث يكون السير فوقها متعة للنظر وراحة للخاطر .

لندن القديمة .

والآن ننتقل إلى لندن القديمة . . انهـــا تشبه لندن الجديدة بالنظافة وحسن التنسيق . . وجمال المظهر . . وهي لا تختلف عن لندن الجديدة الا بضيق شوارعها وقلة ميادينها . . وتقارب أطراف تلك الميادين .. أما في التصميم والتناسق فانك لا تجد فارقا .

بقيت الآن معارض البيع والشراء التي تحتل بعض الشوارع العامة انها تبهرك . . بما تعرضه عليك من الملبوسات والأقمشة . . والأدوات المنزلية .

هذه نظـــرات عابرة ومن عابر سبيل . . ليس فيها عمق وليست معلومات دقيقة . . وانما هي انطباعات سريعة . . عن لندن الواسعة الارجاء الكثيرة الأحياء . . والتي يبلغ سكانها ما يقرب من اثني عشر مليونا من البشر.

في حديقة الحيوانات.

في هذا اليوم قررت أن أذهب إلى حديقة الحيوانات . . وكانت تحتل جزءا صغيرا من حديقة كبيرة تسمى ريجنت بارك ولكن لا تظن أيها القارىء الكريم أن حديقة الحيوانات صغيرة . . انها كبيرة جدا مع أنهـــا تحتل ركنا صغيرا من حديقة أكبر منها . . لقد بقيت أتجول في هذه الحديقة وبين أقسامها المتعددة مدة ثلاث ساعات . . حتى كلت قدماي من المشي . . وتوقفت عن السير والاطلاع لشدة الارهاق . . ولا شك أنه فاتني الاطلاع على كثير من الاقسام الأخرى . . والشيء الذي لفت نظري في هذه الحديقة هو النظافة الفائقة . . وحسن التنسيق والتنظيم لأنواع هذه الحيوانات ودخلت أول ما دخلت في بيت الزواحف والسلاحف والحيايا . .

ولقد رأيت العجب العجاب في بيت الزواحف الكبير منها الصغير . . . وعجبت من شدة العناية بهذه الحيوانات . . . وذلك بتوفير الجو والتربة والغذاء الذي ألفته وعاشت عليه في مواطنها الأصلية . .

رأت الحيايا بأشكالها المتعددة وألوانها المختلفة مع ذكر مواطنها التي جاءت منها .. ورأيت التماسيح بمختلف أحجامها .. ورأيت من الحيايا ما يقارب طوله الثلاثة أمتار .. ورأيت الضب .. ورأيت حيوانات صغيرة ومتنوعة في أشكالها واحجامها وجميع هذه الحيوانات في صحة جيدة .. يظهر ذلك من حركتها ونشاطها .. وجمال مظهرها .. وصفاء أجسامها .

ثم خرجت من بيت الزواحف .. فرأيت مختلف الحيوانات النمر والفيل .. والنعام والببغاوات على مختلف أنواعها ..

والشيء الوحيد الذي حرصت على أن أراه . ولكنني لم أجده هو الأسد .. فلا أدري هل الأسود لا وجود لها في هذه الحديقة .. أم أنها في مكان آخر غير الأمكنة التي رأيتها ..

أراني أيها القارىء أطلت الحديث عن هذه الحيوانات. . فلنكتف بما سلف ولننتقل إلى حديث آخر في شئون أخرى.

الطرق تحت الأرض .

وليكن الشيء الذي ننتقل إليه الحديث عن الطرق التي تحت الأرض ان القادم العادى إلى لندن لا يحس

بوجودها . . ولا يعلم أن تحت الأرض عالما يتحرك . . وينتقل من مكان إلى مكان داخل سراديب واسعة تحت الأرض . . وقطارات تسير بسرعة هائلة لا يعترض طريقها أى عائق من العوائق التي فوق الأرض . . .

ولقد قلت لأحد الأصدقاء انى لم أر ازدحاما في شوارع لندن مع أن سكانها أكثر من اثني عشر مليونا . . فقال لي أن معظم الحركة والتنقلات تحت الأرض . . والخطوط التي تحت الأرض تصل شرق لندن بغربها وشمالها بجنوبها . . ويتفرع خطوط كثيرة إلى جوانبها انها شبكة من المواصلات السريعة التي تصل بالمواطن إلى المكان المقصود في أسرع مدة . . وبأيسر الأثمان . .

وحرصت على أن أرى هذه الخطوط . . وفعلا ذهبت أنا وأحد الأخوان إلى إحدى محطات هذه السكك . . ورأيت العجب العجاب . . انها طرق واسعة تحت الأرض . . منها ما يتسع لقطارين أحدهما ذاهب والآخر قادم . . ومنها ما هو خط واحد . . يظهر أنه دائرى . . تروح معه القطارات . . وهذه الطرق ليست طبقة واحدة من الأرض . . وانما هناك طبقتان لهذه القطارات . . طبقة فوق أخرى . . والطبقة السفلى تنزل إليها بسلالم متحركة . بحيث تقف في أول السلم . . فيصعد بك إلى أعلا أو ينزل

بك إلى أسفل .. وتعجبت أشد العجب كيف حفروا هذه السراديب على سعتها وطولها .. وأين ذهبوا بأتربتها وصخورها . ان الطرق تحت الأرض تدعو إلى العجب .. وتدعو إلى الاعجاب أيضا ..

خاتمة المطاف في لندن .

اقامتي في لندن اثنا عشر يوما تقريباً .. وقد ذهب من هذه الاثنا عشر يوما .. يومان عشتهما على سرير الفندق .. وبقى بعد ذلك عشرة أيام بما فيها يوم القدوم ويوم السفر .. وهأنذا قدمت لك نظرات خاطفة .. قد تعرفني من خلالها أكثر مما تعرف لندن .. لأن هذه النظرات ليست فضفاضة وليست عميقة .. وليس فيها شيء جديد .. انها نظرات عابرة .. ومشاهدات خاطفة ..

في وصف مدينة كبيرة .. وعريقة في القدم . فكيف يعرف اعماقها من لا يعرف لغة القوم .. ولا يعرف خبايا وزوايا بلادهم .. ومدارج أفكارهم .. انني اعترف انني لم أقدم للقارىء شيئاً ذا بال .

نصائح وارشادات .

كنت قبل أن أسافر اجتمعت بصديق عزيز جرب الأسفار وعرف الكثير من أخلاق هذه الامم المتحضرة

. . وقال لي فيما قال من النصائح إذا دق عليك أحد باب غرفتك فلا تفتح له الباب . . ولا سيما في ساعات الليل . . ولا تنقل في جيبك من النقود أكثر مما تحتاج إليه في يومك . . واياك أن تضع نقودك في حقيبة يدوية انه قد يأتيك شخص فيخطفها منك . . ثم يهرب بها ويختفى في بعض المخابىء الخاصة التي يعرفها أولئك النهابون .

وقال لي هذا الصديق أيضاً . . لا تخرج نقوداً كثيرة أمام الناس فقد يكون بينهم أحد المجرمين . . فيتبعك . . حتى يجدك في خلوة من الناس أو شبه خلوة . . فيستوقفك . . ثم يهددك . . ويخرج عليك طرف السكين . . ويطلب منك أن تدفع له مبلغاً معيناً من المال . . وإلا طعنك بسكينه واظهرت العجب مما قال هذا الصديق . فقال لا تعجب ان الذي أحدثك عنه شيء يحدث في كل يوم . . وقد حدث فعلا بالنسبة لأناس أعرفهم تمام المعرفة وأعرف صدقهم . . فقد حدثونى عن أمثال هذه الحوادث . . . وأسهبوا في الحديث حتى تيقنت بأن هذه الأمور واقع لا يمكن انكاره وقال لي هذا الصديق فيما قال . . إذا رأى معك بعض الأشخاص بعض النقود القليلة وطلبها منك . . فحاول أن تعطيه بعضها فان لم يقنع فاعطها اياه كلها . . ولا سيما إذا كانت قليلة . . انك إذا منعته فقد يلحق بك ضررا . . ثم يهرب ويختفى في لمح البصر . .

فاشتر سلامتك بثمن بسيط لتأمن المشاكل والحوادث التي لا عد لها ولا حصر انتهى كلام هذا الصديق .

وقد حدث لي حادث من هذا القبيل . . فبينما كنت أسير على قدمي في أحد شوارع لندن ليلا . . لم أشعر إلا بشخص يستوقفني . . ويمد أمامي القروش . . ويقول لي أريد منك أن تعطيني مبلغاً بقدر هذه القروش التي في يدي . . وقد مددت يدي إلى جيبي حالا . . واخرجت منه بعض النقود التي تساوي ما في يده أو تقل قليلا ودفعتها إليه . . مع الاعتذار بأنه ليس في جيبي أكثر منها . . فأخذها وسار في طريقه . . وسرت في طريقى .

ان كل مسافر إلى بلاد أخرى سفير لبلاده فيجب عليه أن يظهر بالمظهر اللائق الذي يرفع من سمعة بلاده . . ويرفع من قيمة مواطنيه ان عليه أن يكون معتدلا في أموره كلها في أخذه وعطائه . . في كلامه ومناقشاته في سلوكه الاجتماعي . . وعليه أن يتجنب الاسراف في أي شيء . . ولا سيما في دفع النقود . . فانه إذا أسرف في الدفع اتهم بالتغفيل . . أو اتهم بالتبذير . أو اتهم بأنه أعطي نعمة لا يعرف قدرها . . ثم صار مثل الشعير مأكولاً ومذموماً ومنتقداً . .

وعليه مقابل هذا أن لا يكون بخيلا بل عليه أن

يعطي كل ذى حق حقه ولا بأس أن يزيد قليلا إذا كان ممن وسع الله عليه رزقه .

في مطار لندن . . إلى أمريكا .

قررت السفر إلى أمريكا في يوم الجمعة على الخطوط الجوية البريطانية وكان موعد اقلاع الطائرة في الساعة الثانية بعد الظهر . . أي قبل غروب الشمس بساعتين تقريباً . . وكنت غيرت خط السير . . وكان علي أن أغير تبعاً لذلك تذكرة الركوب في مطار لندن .

وبما أنني أعرف سعة مطار لندن وكثرة ابوابه ومداخله ومخارجه وبما أنني لا أحسن اللغة الانجليزية . . فقد ذهب معي إلى المطار أحد موظفي السفارة مشكوراً وغيرنـا التذكرة . . وطلبنا من احدى موظفات المطار أن تكتب لنا بطاقة الخروج . . فرحبت بذلك وكتبتها . . ثم ذهب بى موظف السفارة أيضاً إلى إحدى موظفات المطار . . لتخبرنا بباب الخروج إلى هذه الرحلة . . واتصلت بالتليفون لتعلم رقم باب الخروج . . لأن كل رحلة أو اتجاه له باب خروج خاص برقم خاص فلم تتلق هذه الموظفة اجابة واضحة . . وكان موعد الاقلاع قد قرب . . فلم يكن منها الا أن قامت من مكتبها . . وذهبت معى . . أو أنا ذهبت معها . . واجتازت بى عدة أبواب وعدة موظفين

تفهمهم فيفهمون حالا ويفتحون لها الطريق . . فأسير خلفها . . إلى أن وصلنا إلى باب الخروج وصالة الانتظار . . فتركتني هذه الموظفة بعد أن أوصت بى موظفة أخرى . . وبقيت منتظراً مع المنتظرين . .

وقبل المناداة بتوجه المسافرين إلى الطائرة . . لم أشعر إلا بتلك الموظفة الأخيرة تأتى إليّ . . وتأخذ بيدي قبل الركاب كلهم . . ثم تقودنى إلى الطائرة . . وتجلسني في أحسن مكان فيها . . فقد اختارته . . وأحسنت الاختيار . . فودعتها وشكرتها .

لقد ابتهجت بهذه المعاملة الكريمة التي عوملت بها في مطار لندن وكان لها أحسن الوقع في نفسي . . وبعد أن استقر بى المقام في مكاني المختار . . أخذ الركاب يتوافدون إلى الطائرة أفواجا . . أفواجا ويأخذ كل واحد منهم المكان الذي يختاره . . وكانت الطائرة كبيرة جداً ان فيها ثلاث صالات أو أربع كل واحدة تتسع لمائة راكب تقريباً . . وعندما تكامل عدد الركاب نظرت إلى المقاعد فاذا معظمها خال . . ان الركاب لا يتجاوزون ربع حمولة الطائرة . . ولكنها طائرات تسير في رحلات منتظمة . . في مواعيدها بحمولتها كاملة أو بنصف حمولتها . . أو بالربع أو بما هو أقل من الربع . . انهم لا ينظرون إلى الكسب المادي .

ان الهدف الأول هو الخدمة الانسانية .. ثم يأتي بعدها في الدرجة الثانية الكسب المادي .

في الطريق إلى أمريكا .

ثم تحركت الطائرة البوينج رقم ٧٤٧ .. في طريقها إلى شيكاغو في الولايات المتحدة .. ثم منها إلى كلورادو وهي ولاية أخرى يدرس فيها بعض أولادي .. وهي المقصودة .. وكانت الرحلة إلى شيكاغو تستغرق ثماني ساعات كاملات .. وضقت ذرعا بهذه الثمان الساعات التي سوف أبقى فيها معلقاً في الهواء ، بين سماء وسماء وماء .. ولا تظن أيها القارىء أن تكرير كلمة السماء جاء غلطا .. انه المقصود .. فقد ارتفعت بنا الطائرة فوق السحاب .. ففوقنا السبع السموات المعروفة وتحتنا السماء التي هي السحاب .. والتي عناها الشاعر العربي القديم بقوله :

إذا نزل السماء بأرض قوم

رعيناه وان كانوا غضابا

فالسماء هنا هو المطر ينزل من السحاب ..

ثم تحت هذه السماء ذلك المحيط المتلاطم الأمواج الذي هو المحيط الأطلسي .. الذي سنطير فوقه ثماني ساعات .. متواليات ..

هذه مقدمة . . أعتقد أنها ثقيلة . . ولكنه قد يأتي بعدها ما يخفف ثقلها . .

في أجواء المحيط .

أخذت الطائرة طريقها المرسوم وسارت فيه باسم الله مجريها ومرساها . ثم بدأ خدم الطائرة يروحون ويجيئون الينا بأنواع المأكولات والمشروبات . . حتى بدأ الخوف يتبدد . . وبدأ الأطمئنان والهدوء . يعود إلى نفسي شيئاً فشيئاً . . حتى أنني نسيت أني معلق بين السماء وا لأرض . . فوقي سماء وتحتي سماء وماء .. ثم ما أن انتهينا من الأكل والشرب حتى بدأوا يعرضون علينا على الشاشة البيضاء . . أنواعا من الافلام المسلية. . التي تشد المشاهد إليها شدا متواصلا . ان القائمين بشئون هذه الطائرة لا يتركون لنا فرصة لنفكر في أنفسنا . . أو نفكر في شيء من أنواع المخاوف التي قد يفكر فيها الانسان المعلق بين السماء والأرض .

ومن غرائب الصدف أن اليوم الذي نسافر فيه هو يوم ٣١ ديسمبر أي آخر يوم في السنة القديمة . واليوم الذي نصل فيه إلى أمريكا هو يوم ١ يناير أي أول يوم في السنة الجديدة . وبهذا أكون تركت العالم القديم في آخر يوم من السنة القديمة . . ووصلت إلى أمريكا العالم الجديد

في أول يوم من السنة الجديدة . . انها مصادفة غريبة تفاءلت بها . وانفتحت بها آفاق جديدة مشرقة لنفسي . . والفأل طيب ومرغوب فيه والتشاؤم مكروه ومنهي عنه . . . وفي لحظة من لحظات التفكير وانا فوق المحيط فكرت في أولئك المغامرين الذين قطعوا هذه المسافات الشاسعة في هذا المحيط المتلاطم الأمواج على بواخر لم تكن بالمستوى الذي يرتاح إليه المغامر . . لقد خاطر هؤلاء الرواد بأنفسهم . . وركبوا الأهوال والأخطار مرة تلو أخرى حتى اكتشفوا هذا العالم الجديد الذي هو أمريكا ثم بدأوا يغزونه في موجات متتالية حتى تكاثروا . . وصاروا يحاربون سكان البلاد الاصليين الذين هم الهنود الحمر . . حتى استطاعوا أخيراً أن يتغلبوا بالكثرة وبأنواع الأسلحة الحديثة على الهنود الحمر الذين كان سلاحهم بدائياً . . الرماح والسيوف والنبل بالقوس . . واستطاع الغزاة الجدد أن يقتلوا من يقاوم . . أما البقايا فقد حددوا اقامتها في أماكن معينة وانعموا . . عليهم ببعض فتات العيش الذي يسد رمقهم وتركوهم على بدائيتهم وعلى عاداتهم وتقاليدهم المتوارثة والجهل والمرض يفتك بهم . . ولم يحاول الغزاة أن يعلموهم . . أو يطوروهم . . في تعمير البلاد وتطويرها . . . واستغلال مواردها الطبيعية .

وقد كاد الهنود الحمر الذين هم سكان البلاد

الأصليون أن ينقرضوا حيث لم يبق منهم الا بقايا بسيطة ترى أشكالهم في الأفلام فقط . . فكرت في هذا كله وعجبت من أنانية الانسان . . وعجبت من ديمقراطيته المزيفة .

ولنترك الآن الهنود الحمر . . ولنرجع إلى الحديث عن سير الطائرة . . لقد غادرنا لندن في الساعة الثانية بعد الظهر وقد بقي على غروب الشمس ساعتان تقريباً . . وجاءت الساعة الرابعة . . وغابت الشمس عن لندن . . ولكنها لم تغب عنا . . اننا نسير مع الشمس إلى أمريكا . . ولذلك لم تغب عنا هكذا يخيل إلي . . ولكن الواقع غير الخيال اننا نتحرك فوق الأرض . . والأرض تتحرك من تحتنا حول الشمس ولكن حركة الأرض أسرع من حركتنا . . ولذلك لم نصل إلى شيكاغو . إلا عند غروب الشمس . . وسألت عن الطائرة التي أستقلها هل ستتوجه بعد شيكاغو إلى كلورادو . . فقيل لي ان نهاية رحلتها في شيكاغو . . واصبت برعب شديد . .

في أجواء شيكاغـــو .

علمت أن نهاية رحلة الطائرة هي شيكاغو . . ولهذا فسوف أغير الطائرة فأترك طائرة الخطوط البريطانية . . وأركب على طائرة أخرى من طائرات الخطوط الأمريكية . . وهذا يتطلب مني بحثاً عن مكان الحجز ، ومكان الانتظار

ومكان باب الخروج . . ورقم هذا الباب . . وأنا لا أعرف اللغة الانجليزية ولا أعرف كيف آخذ وأعطي . . ولا كيف أسأل . ولا كيف أفهم ما يقال ولكن كل مشكلة ولها حلال . . ان معي في الطائرة بعض الطلاب الليبيين الذين أنست بالحديث معهم في الطائرة . . فقال لي أحدهم . . انني سوف أرافقك في المطار حتى أصل إلى باب الخروج الذي سوف تستقل منه الطائرة إلى كلورادو .

وأظهرت لهذا الطالب أنني أخشى أن لا أجد مركبا فأضطر للاقامة في شيكاغو يوماً أو بعض يوم وأنا أخشى الاقامة في شيكاغو وأعتبرها كوادى محسر الذى يجب أو ينبغي أن لا يمره الحاج الا مسرعا . . وقد تسألني أيها القارىء الكريم لماذا أشعر نحو شيكاغو بهذا الشعور . . فأقول لك إن السبب هو أنى سمعت الكثير عن لصوصها وعصابتها . . وما يقومون به من أعمال السرقة والسلب والنهب في غفلات الناس . . وعندما تغيب عين الرقيب . . ان هؤلاء اللصوص والعصابات يترصدون غفلات الناس . . ويرقبون أحوالهم . . فاذا علموا أن شخصاً يملك ثروة طائلة . . تتبعوه . . حتى يصطادوه . . ثم يسلبون ما معه . . أو يفرضون عليه . . ان يحولهم على بعض البنوك بالمبلغ الذي يفرضونه عليه . . وأنا قد اشتريت معطفاً جديداً من لندن وقد حاولت أن يكون هذا المعطف جميل المظهر مفيد

المخبر . . وفعلا كان كذلك . . وقد لبست هذا المعطف لاظهر آثار نعمة الله علي .

وقد أضفى علي هذا المعطف رونقاً . . وجمالا . . ستر الكثير من عيوبي . . وعيوب الملابس الداخلية التي ألبسها . . وقد خشيت ان أقمت في شيكاغو بعض الوقت أن يراني بعض اللصوص فيعتقدون أن مخبري مثل مظهري وأنني مليونير أملك ثروة طائلة . . فيترصدني . . ويترقب غفلة من غفلاتى فيهددنى ويطلب مني شيئاً من من المال وأنا لا أحمل من المال الا قدر ما يكفيني في رحلتي . . فقد جعلت لرحلتي ميزانية خاصة رسمتها بدقة . . وحددت بنودها بندا بندا . . ولهذا فان أي اختلال في هذه الميزانية سوف يحدث اختلالا في مسار رحلتي . وهذا ما لا أريده . . وأنا أكره المزعجات واتفادى بكل ما أستطيع من قوة ما يثير الاعصاب . . أو يبعث على الاضطراب . . لأن الاضطراب إذا حصل لا قدر الله بقيت معي آثاره عدة أيام . . حتى مع زوال أسبابه وقد حاولت أن أغير طبعى هذا ولكنني لم استطع . . انني أعلم أنه لا مبرر للاضطراب والحزن بعد زوال أسباب هذا الاضطراب والحزن . . ولكنني لم أستطع التحكم في عواطفي ومشاعري . . وبقيت هكذا إذا تأثرت من بعض الأمور الشاذة . . أو التي أراها على الأقل شاذة . .

بقيت آثار هذا فترة طويلة من الزمن ولم تفارقني الا شيئاً فشيئاً وبعد فترة طويلة . .

والمهم أنني كنت حريصاً أشد الحرص على أن لا أبقى في شيكاغو إلا أقصر مدة ممكنة لا أغادر فيها المطار . . وانما انتظر فيه حتّى انتقل من طائرة إلى طائرة . . ولا أبقى في بلاد سمعت عنها هذه الأخبار التي لا أعرف هل هي صحيحة كلها . . أو أن فيها شيئاً من التهويل والتزيد . . وسواء صح ما قيل أو لم يصح فان خطة الحزم تقضي بأن احتاط لنفسي وأن أفترض أسوأ الفروض . . وأن أبتعد عن الشر ومواطن الشر . . بقدر ما أستطيع .

في أمريكا

في مطار شيكاغو .

قربت الساعة من الثامنة بتوقيت لندن وبدأت الطائرة في الهبوط شيئاً فشيئاً . . ونادت المضيفة في المكرفون بأننا قربنا من مطار شيكاغو وبدأنا نقترب من الأرض قليلا . . وبدأت تظهر لنا بعض المعالم . . اننا لا نزال نطير فوق المحيط ورأينا البحـــر . . ان معظم أجزائه مغطى بطبقة بيضاء . . لم أعـــرف بادىء ذى بـــدء ما هى . . انه لا يخلو من هذه الطبقة البيضاء إلا بقع صغيرة . . وبدأت تتضح الرؤية واتضح لي أن هذه الطبقة البيضاء التي تغطى معظم أجزاء الماء هي الثلوج التي تتساقط على المحيط بكثرة هائلة . . وتكون على معظم أجزائه ثلوجاً متراكمة لا يزيلها من أمام السفن والبواخر الا كاسحات خاصة تشق للبواخر طريقها بين هذه الثلوج التي تختلف خفة أو كثافة ما بين مكان واخر . . واضيئت الأنوار التى تدعو الركاب إلى ربط الاحزمة والامتناع عن التدخين . . وبدأنا نرى اليابسة . . ونرى بعض المبانى . . ان الارض كلها مغطاة بالثلوج انه لا يخلو من هذه الثلوج إلا الطرقات التي تمشى فوقها السيارات فتمسح حركتها جيئة وذهابـــا تراكم الثلوج فوق الطرقات . . أما إذا توقف سير

السيارات فان الثلوج تتراكم فوق تلك الشوارع ولكن هناك كاسحات خاصة تكتسح تلك الثلوج وترميها يمينا وشمالا . . لتفتح الطريق لسير السيارات .

وهبطت الطائرة البريطانية في مطار شيكاغو في الموعد المحدد وتزلنا منها واتجهنا إلى مكان استلام الأمتعة . . وكنت أسير مع الطالب الليبي وألازمه ملازمة الظــل للشاخص . .

فهو دليلي بين هذه الأمواج المتحركة من البشر . . وسار بي هذا الطالب حتى سلمني لأحد موظفى المطار . . وأخبره بأنني قادم من لندن واريد السفر إلى كلورادو . . وأنني لا أحسن اللغة . . ولا أعرف كيف أتصرف . . فأخذني هذا الموظف بعد أن ودعت الطالب الليبي وشكرته . . وقادنى كالخروف بين مجموعات بشرية تروح وتجيء وتزدحم بها طرقات المطار وردهاته . . ودخل بى إلى مكتب احدى موظفات المطار فأعطاها تذكرتى إلى دنفر عاصمة ولاية كلورادو . . فاخذتها وفحصتها . . ثم قالت لدليلي الموظف اذهب به وأجلسه في الصالة الفلانيه . . تعني صالة قريبة من مكتبها . . وسوف أبعث إليه من يقوده إلى باب الخروج . . عندما يحين الأوان . . وجلست في هذه الصالة . . وعيناي معلقة في باب الصالة في كل لحظة أترقب وصول الدليل الذي سوف يقودني إلى باب

الخروج . . وطال انتظاري . . ومضت ساعة . . ساعة ونصف . . وسئمت الانتظار . وقلت في نفسي لعل الموظفة نسيتني . .

وقمت من مكاني وذهبت مرة ثانية إلى هذه الموظفة وقلت لها آسف لازعاجك للمرة الثانية . . هل أبقى هناك حتى يأتي رسولك . . فقالت احدى الفتيات نعم ابق هناك وفي الموعد المحدد سوف آخذك ولن أتركك الا في مكانك الخاص من الطائرة . فعدت إلى مكاني ثانية بعد أن أطمأنت نفسي إلى أنهم لم ينسونى . .

آه . . لقد نسيت أن أخبرك أيها القارىء الكريم بما حدث لي في مطار شيكاغو والذي لم يحدث لي في أي مطار سابق قبل الآن . . لقد سألونى هل أنت مدخن أو غير مدخن فأجبتهم على سؤالهم . . ولم أعرف سبباً واضحا لهذا السؤال ، لكنه اتضح لي فيما بعد أنهم يعزلون المدخنين عن غير المدخنين فيجعلون المدخنين في المؤخرة وغير المدخنين في المقدمة أو العكس لا أدرى . . والمهم أنني بقيت منتظراً مجيء الدليل أو الدليله ما يقرب من ثلاث ساعات . . ولكن نفسى مطمئنة إلى أنهم لم ينسونى . . وبعد قليل جاءتني الموظفة وقادتني حتى ادخلتني الطائرة ونظرت إلى بطاقة دخول الطائرة فاذا مكتوب فيها كرسى الجلوس وتلك الأرقام هي التي تفصل ما بين المدخنين وغير المدخنين .

في الطائرة إلى ولاية كلورادو .

لدي أيها القارىء الكريم استدراك حول ما ذكرته في صفحة سابقة عن الهنود الحمر في أمريكا وما عوملوا به بعد انتصار المهاجرين الجدد عليهم من وضعهم في شبه معتقلات .. وعزلهم عزلا كاملا .. عن مجتمعات المهاجرين الجدد .. واعطائهم ما يقوم بشئون معيشتهم البدائية البسيطة التي رضوا أن يعيشوها على عوائدهم ومعتقداتهم .. وآرائهم وقد رضوا بهذا الوضع وهذا العزل جهلا منهم بالعواقب الوخيمة التي ستنجم عن واقعهم هذا .. واحب أن أنبه القارىء الكريم أن معلوماتي التي ذكرتها هي معلومات قديمة جدا .. وان الوضع قد تغير بالنسبة الى الهنود الحمر تماماً .. فقد اندمجوا في المجتمعات الجديدة وفتحت أمامهم أبواب العمل .. وأبواب الدراسة .. وأبواب ممارسة أي مهنة يختارونها .. صحيح أنهم عوملوا بعد الانتصار عليهم بتلك المعاملة لأنه بطبيعة الحال كل جسم دخيل يلقى مقاومة عنيفة من الجسم الأصيل .. وقد كافح الهنود الحمر كفاحاً مريراً في محاربة هؤلاء الدخلاء .. وقتلوا من قتلوا .. وقتل منهم من قتل .. ولكن الكثرة تغلب الشجاعة .. والعلم يغلب الجهل والبدائية .. فتم النصر للمهاجرين الجدد على الهنود الحمر واستسلموا للغزاة .. ورضوا بواقعهم الذي لا مناص

منه . . وعاشت الأجيال القديمة منهم في عزلة تامة عن المجتمعات الجديدة . . عاشوا على عاداتهم وتقاليدهم . ومعتقداتهم . . ولكن أفكار المهاجرين تغيرت بالنسبة إلى الهنود . . كما أن الأجيال الجديدة من الهنود الحمر . . قد تغيرت . فتم الاندماج التام بين أولائك وهؤلاء . . وصار السائح العادى لا يفرق بين الهندي الأصيل . . والمهاجر الدخيل . . وهم الآن لا يلبسون ألبستهم التقليدية إلا في مناسبات محدودة . . حيث يجتمعون في تلك المناسبات ويلبسون ألبستهم التقليدية . . ويحيون بعض عادات وطقوس آبائهم واجدادهم . . أما فيما عدا هذه المناسبات فانك لا تكاد تميزهم من بين سكان أمريكا الجدد . .

وقد طلبت من أحد أبنائى الطلاب الذى كان له أصدقاء من الهنود الحمر . . أن يجمعني ببعضهم . . . فلبى طلبي . . وجمعني ببعض أشخاص منهم فلم أر فارقاً بينهم . . وبين المهاجرين الجدد . . ما عدا سحناتهم فانهم يميلون إلى السمرة قليلا . .

هذا ما أحببت أن استدركه سريعا بشأن الهنود الحمر . .

والآن فلنعد إلى ما وصلنا إليه . . وهو الركوب في إحدى طائرات الخطوط الأمريكية . . وعندما تكامل الركاب في الطائرة تحركت . . وسارت في أول الأمر

رويدا رويدا . . وعندما بلغت مدرج الطيران . . توقفت
قليلا . . ثم انطلقت وحاولت الطيران ولكنها لم تستطع . .
ان صوت المحركات تظهر عليه آثار الاختلال . .
فتوقفت الطائرة ما يقرب من نصف ساعة ثم حاولت
الطيران مرة ثانية . . ولكن الخلل في المحركات لا يزال
موجودا . . فتوقفت للمرة الثانية ما يقرب من نصف ساعة
أيضاً . . ثم اشتغلت المحركات للمرة الثالثة فظهرت عليها
آثار القوة . . وسارت في المدرج بقوة وعنف . . حتى
ارتفعت إلى الجو واخذت طريقها إلى دنفر عاصمة
كلورادو . . لقد بقينا في الطائرة ساعة كاملة قبل أن
تقلع . . وبقيت في مطار شيكاغو ثلاث ساعات . هذه
أربع ساعات تضاف إلى الثماني الساعات التي قضيتها في
طائرة لندن . . هذه اثنتا عشرة ساعة . يضاف إليها ساعتان
مدة قطع المسافة من شيكاغو إلى دنفر . . هذه أربع عشرة
ساعة متواصلة ما بين طيران واجراءات في المطارات . .
وانتظار لركوب الطائرات . . لقد اجهدت كثيراً . .
ولكنني بحمد الله قربت من الهدف وهو الوصول إلى بعض
أولادى . . الذين كلفت نفسي هذا الجهد من أجلهم . .

في مدينة كلورادو

في مطار دنفر — ولاية كلورادو .

بعد ساعتين تقريباً من اقلاعنا من مطار شيكاغو . . حطت بنا الطائرة في مطار دنفر في ولاية كلورادو . . ونزلت مع الركاب في المطار . . وذهبت لاستلام متاعي . . وتطلعت إلى أولادى في المطار فلم أجدهم لأن المعلومات التي أعطيتهم اياها من لندن كانت خاطئة .

فقد قلت لهم أنني سوف أصل اليكم في الساعة الثامنة على طائرة تابعة للخطوط البريطانية ورقم رحلتها ٥٦٩ وكانت هذه المعلومات صحيحة بالنسبة لمطار شيكاغو أما بالنسبة لمطار دنفر فهي خاطئة . . . فانني لم أصل إلى مطار دنفر إلا بعد ست ساعات من هذا التوقيت قضيت منها أربع ساعات في شيكاغو وساعتين في الجو . . ان الخطأ ليس خطئي . . وانما هو خطأ هؤلاء الذين أعطوني هذه المعلومات وقالوا لي اتصل باولادك . . وأخبرهم بها . . والمهم . . انني عندما لم أجد أولادى في المطار . . ركبت سيارة أجرة . . واريته عنوان أولادى . . وقلت له هل تعرف هذا العنوان فأجاب بالايجاب وسار بي إلى مدينة دنفر . . وكنا في منتصف الليل تقريباً .

وكل قد أوى إلى فراشه . . وبقينا ندور في المدينة دون أن نهتدي إلى ما نريد . . وقلت لسائق السيارة اذهب إلى أقرب أوتيل في هذه المنطقة لأقضى فيه ليلتي هذه . . والصباح رباح وذهب بي هذا السائق إلى أوتيل . . وأخذت فيه غرفة . . ووضعت متاعي فيها . . وطلبت من صاحب الأوتيل أن يتصل بأولادى تليفونياً . . فاتصل بهم . . فوجدناهم قد رجعوا من المطار في تلك اللحظة . . وأخبرناهم بعنوان الأوتيل الذي أسكن فيه . . وفي خلال نصف ساعة كانوا عندي . . لقد تعبوا في انتظاري وبقوا في المطار حتى آخر رحلة تأتي من شيكاغو تلك الليلة . . وسألوا عن اسمي بين الركاب القادمين من شيكاغو فلم يجدوا اسمي بين الركاب القادمين من شيكاغو في جميع الرحلات . . والسبب في ذلك أنهم في مطار لندن جعلوا اسمي في التذكرة عزيز فقط . . ولم يكتبوا في التذكرة عبد الكريم ولم يكتبوا في التذكرة الجهيمان . . ومن هنا نشأ الخطأ الثاني والذي جعل أولادى لا يعلمون بوجودى بين الركاب القادمين من شيكاغو . .

لقد تعبت في تلك الليلة تعبا شديدا . . لأن من عادتي أن لا أنام في الليلة التي تسبق السفر . . لأنني أحمل للاسفار هما ثقيلا ثم أعقب هذه الليلة التي لم أنم فيها الاجراءات التي أخذت منا ثلاث ساعات في مطار لندن ثم أعقب ذلك

طيران ثماني ساعات متواليات .. ثم أعقب ذلك أربع ساعات في مطار شيكاغو .. وتبع هذه كلها ساعتان من الطيران ما بين شيكاغو ودنفر في كلورادو بعد هذا كله بقينا ما يقرب من ساعتين نبحث عن عنوان الأولاد .. انها سلسلة من المتاعب والارهاق .. وحمل الهموم .. ولكن كل هذه المتاعب والهموم زالت في لحظة واحدة عندما رأيت أولادى .. واهتديت اليهم .. أو هم اهتدوا الي .

ان السفر مهما كان مريحا فهو قطعة من العذاب .. أو ان العذاب قطعة من السفر .. وقد أنست بأولادى كثيراً وأظن أنهم أنسوا بى أكثر .. وألقيت عن كاهلي هما ثقيلا كنت أحمله .. بالنسبة للمطارات واجراءاتها المعقدة التي تتطلب معرفة لغة القوم .. ومعرفة ما يقولون وما يجب أن يقال لهم .. ولقد قررت أن اتعلم اللغة الانجليزية مهما كلفني ذلك من جهد ووقت .. لأنني رأيت الكثير من التجارب التي مرت بي .. والأخطاء التي حصلت بسبب اعتمادي على الوسيط أو المترجم الذي قد يفهم مني غير ما أريد .. ويترجم غير ما قلت له .. ويترجم لي غير ما قيل .

والآن فلننطلق سويه في اجواء دنفر .. وفي شوارعها

.. وبين بيوتها ولنمد ابصارنا إلى ما يحيط بتلك المدينة من مناظر خلابة ..

من أعظمها منظر سلسلة جبال روكي المغطى معظمها بالثلوج وبعضها الآخر بالثلوج والأشجار وسوف آخذك معي فيما بعد إلى هذه السلسلة العظيمة التي تمتد من شرق الولايات المتحدة .. ولا تنتهي إلا في غربها .. لقد عرفت طول هذه السلسلة .. ولكنني لم أعرف عرضها .. وقد أعرفه فيما بعد فأخبرك به كما سمعته أو كما رأيته ان قدر لي ذلك ..

لقد سعدت بلقاء جزء صغير من أسرتي .. أما الجزء الأكبر فقد خلفته ورائي في بلادي العزيزة .. التي بدأ شوقي يتزايد نحوها .. وبدأت أشعر بالغربة وثقل الغربة .. انني كلما فكرت بأنها تفصلني عنهم الاف الأميال من صحارى ومحيطات شعرت بالحزن والأسى .. ولكنني إذا عدت إلى التفكير السليم .. وأنه يمكن أن اتصل بهم تليفونياً .. في خلال دقائق معدودات وانه يمكنني أن أصل اليهم عن طريق الجو أيضاً خلال يومين أو ثلاثة اذا فكرت في هذا هدأت نفسي .. وارتاح بالي وانطلقت فيما أنا فيه في هدوء واطمئنان .. لقد ترابط هذا العالم فلم يبق فيه شيء بعيد ، ان كل شيء في متناول يدك في أى جزء

من أجزاء العالم إذا كانت لديك الامكانيات المادية . .
وقد أعطانا الله ما لم نكن نحلم به من الثراء الطويل العريض
ارجو أن نتصرف فيه باتزان وان نستغله أحسن استغلال . .
وأن نتفادى أضراره فالثراء له اضرار . . كما أن له فوائد .
والحكيم هو الذى يستقبل هذا الثراء ويتصرف فيه بحكمة
وروية . . ثم يتفادى اضراره ويحاول بقدر ما يستطيع أن
يحصرها في اضيق نطاق .

عرض علي أولادى أن اسكن معهم في الشقة التي
يقيمون فيها . . ولكنني رفضت . . وعللت هذا الرفض
حتى اقتنعوا . . أو تظاهروا بالاقتناع لأنني أعرف أنني
لن ارتاح معهم . . كما أنهم قد لا يرتاحون معي . . هذه
هي الحقيقة لأن حياة الشيوخ وطباع الشيوخ . . تختلف
عن حياة الشباب وطباع الشباب . . ولذلك طلبت منهم أن
يختاروا لي فندقا متوسطاً . . يكون بعيداً عن المدينة
وضوضائها . . وحاولوا أن يزحزحوني عن هذا الرأى
ولكنني صممت عليه .

فاختارورلي فندقاً يسمى (رمادىان) أي فندق رمادى.

وكلمة رمادى هذه لا أعرف معناها . . ولا اعتقد
أيها القارىء الكريم أنه يهمك معناها فلنتجاوزها إلى ما هو
خير منها وأولى بالاهتمام .

في فندق رمادى ان .

قلت لك أيها القارىء الكريم انني اخترت أن أسكن في فندق . . وقد وفقنا لاختيار فندق جميل جداً يقع على ربوة مرتفعة من الأرض في ضاحية من ضواحي دنفر . . وهذا الفندق مؤلف من عدة بنايات تتألف من طابقين فقط . . وهو في غاية البساطة . . ولكنها تتوفر فيه جميع وسائل الراحة فالغرفة التي أسكن فيها يقرب طولها من ثمانية أمتار وعرضها يقرب من أربعة أمتار . . وهي مفروشة فرشاً فخماً . . وتحتوي على سريرين كبيرين . . وعلى راديو وتليفزيون ملون . . وعلى حمام ومغسلة وعلى دولاب للملابس .. وبها عدة كنبات للزائرين .. ومكتب به عدة أدراج . . وتليفون يصلك بجميع بقاع الأرض . . وتدفئة كاملة . . ان الثلوج نراها عن يميننا وشمالنا تملأ الأرض . . ولكننا لا نحس ببرودة هذه الثلوج . . اننا نخفض درجة الحرارة في ميزان التدفئة إلى الدرجة المنخفضة . . ومع ذلك نحس بالحر أحيانا فنطفىء التدفئة كلية . .

هذا وصف غرفتي التي أسكن فيها وايجارها في الليلة عشرون دولاراً فقط . . وقس على هذه الغرفة بقية الغرف الأخرى أما الأكل فان الفطور لا تتجاوز قيمته الدولارين . والغداء لا تتجاوز قيمته الأربعة دولارات . . والعشاء كذلك . . مع النظافة التامة في كل شيء . .

هذا وصف الفندق ووصف غرفتي .. أما خارج الغرفة حيث يخرج المرء إلى الفضاء .. المحيط بالفندق فانك ترى مدينة دنفر تمتد في سهل منبسط من الأرض لا يدرك المنظر مداه .. وتحف بها من الجنوب سلسلة جبال روكي التي ترتفع تارة وتنخفض تارة أخرى .. وتغطى الثلوج قممها وبعض وهادها .. ان منظر هذه السلسلة من الجبال منظر بديع وخلاب .. حيث يختلط بياض الثلوج . بخضرة الغابات التي تغطي معظم سفوح تلك الجبال والوهاد .. انه منظر ساحر .. ولا سيما حينما تسطع الشمس فوق قممه ووهاده ..

ولقد ذهبنا إلى سلسلة جبال روكي هذه حيث الثلوج والغابات وتغلغلنا داخلها ما يقرب من ثلاثين ميلا .. وقصدنا مكانا للتزلج وهذا المكان يسمى « لاف لا ند » أي أرض الحب .. وفي هذا المكان استراحة واسعة وفيه حمامات نظيفة .. وفيه مقهى ومطعم يقدم كل الأنواع التي يطلبها الزائرون لهذا المكان .. ولقد وجدنا هذا المكان مكتظا بالرجال والنساء والأطفال .. وكل معه أدوات التزلج .. فمنهم من يتزلج من قمم الجبال .. ومنهم من يتزلج من سفوحها .. ومنهم من يتزلج كالأطفال في مواطن منخفضة .. بحيث إذا وقع لا يتدحرج فيصيبه شيء من الرضوض أو الكسور .. ورأينا تلك الكراسي

المعلقة التي تصعد بالراغبين إلى قمم الجبال . . ثم تعيدهم إذا شاءوا إلى المكان الذي أخذتهم منه . . أما بعض الصاعدين . . فانه يهبط من تلك القمم العالية متزلجا على الثلوج . . في طرق وأماكن معروفة لهؤلاء المتزلجين لأنه ليس كل مكان صالح للتزلج . .

وقد أخذتنا هذه المناظر فبقينا نشاهدها حتى كادت أيدينا تتجمد من البرد . . فعدنا سريعا إلى الاستراحة حيث التدفئة . . والقهوة والشاي . . ورأينا الناس لا يرمون شيئاً من الفضلات في الأرض ان هناك غرامة باهظة يدفعها من يرمي شيئاً من الفضلات في الأرض حتى أرض الصحراء . . ان هناك أمكنة وصناديق خاصة بالفضلات . . حيث يجب على كل انسان ان يحتفظ بما معه من فضلات . . حتى يأتي إلى احد صناديقها فيرمي كل ما معه فيها . . لقد تربى القوم على هذه التربية . . وصار عليهم رقيب من أنفسهم . . لا يعصونه . . ولا يخالفون أمره .

انها التربية الصالحة . . انها الرقابة الشديدة من الحكومة والشعب . .

بيوت دنفر وشوارعها .

والآن فلنذهب أيها القارىء الكريم معاً لنتجول في شوارع دنفر وبين بيوتها . . ان مدينة دنفر نموذج من

مدن أمريكا . . إذا عرفته . . فانه يمكن أن تقيس عليه بقية المدن . . أو معظم المدن تقريباً مع أن هناك اختلافاً كبيراً بين كل ولاية وولاية أخرى . .

ان هذه الولايات تختلف اختلافاً كبيراً في سعة الثراء . . وفي كثرة الموارد . . وفي ضخامة العمران واتساعه . . وفي الانظمة والقوانين التي تحكم بها البلاد . . ان بعض الولايات تحرم بعض الأمور أو تمنعها بينما الولايات الأخرى تبيحها . . وهذا لم يمنع من أن تتحد هذه الولايات فتكون دولة عظيمة بلغت أعلا مستوى عرفه الانسان في هذا الزمان . . أما في الأزمنة الغابرة فانني لا أحكم عليها فقد يكون سبق حضارتنا حضارة تشبهها أو تفوقها أو تقرب منها فقد قص علينا القرآن الكريم قصة سليمان بن داود وكيف كانت تسير به الريح في أجواء هذا الكون . وتلك اشارة تجعل المرء لا يستبعد أن تكون سبقت حضارتنا هذه حضارات . . ثم دمر بعضها بعضاً . ورجعوا من حيث بدأوا . . وهذا ما نخشاه الآن . . وهو أن يتولى زعامة روسيا رجل متسرع . . ثم يتولى زعامة الولايات المتحدة رجل أكثر منه تسرعاً . . ثم ينشأ خلاف . . ويتطور هذا الخلاف ثم يكون الاحتكاك . . ثم تشتعل نار الحرب فيكون الخراب والدمار لهذه الحضارة بأجمعها . . ثم نبدأ من جديد . . وهكذا .

ان هذا الأمر ليس بعيدا ونحن نرى أن كل دولة من الدولتين الكبيرتين تستعد بالصواريخ عابرة القارات . . لماذا . . انها لم تصنعها عبثا . . بل صنعتها لتستعملها وقت الحاجة . . ولقد رأيت طائرات تحلق في سماء أمريكا على مستويات عالية . . وسألت عن هذه الطائرات فقيل لي . . أنها طائرات تحلق في جميع أجواء أمريكا بالتناوب ولمدة أربع وعشرين ساعة . . وهذه الطائرات معدة بأجهزة دقيقة بحيث يعرف طياروها جميع ما يتحرك حول بلادهم .

أرانا أيها القارىء ذهبنا إلى الجو بينما هدفنا أن نتجول في مدينة دنفر وضواحيها . . ان مدينة دنفر تقع في سهل ممتد لا يدرك البصر مداه كما قلت سابقاً . . وشوارعها واسعة جدا ومعظم بيوتها لا يتجاوز الطابق أو الطابقين . . ولا يوجد عمارات كبيرة وعالية إلا في جزء صغير من قلب المدينة . .

وأنت ترى بين هذه البيوت أراضي واسعة غير معموره وقد سألت لماذا لم يعمروا هذه الأراضي . . فقيل لي انها حدائق عامة . . انها في الربيع تبدو زاهية مشرقة بالخضرة والزهور وهي متنفس لما يحيط بها من بيوت الأهالي . . وملاعب لأطفالهم . . وقل أن تجد في شوارع دنفر من يسير على قدميه . . ان كل مواطن لديه سيارته التي يستعملها

فى غدوه ورواحه . . ولا تجد سيارة الأجرة تمشي في الشوارع . . ان لها مكاتب خاصة . . تطلب منها بواسطة التلفون . . ولو مر بك صـــدفة وأنت في الشارع سيارة أجرة فطلبت منها أن تقف وتنقلك من مكان إلى مكان آخر لما توقفت . . وفي كل سيارة أجرة تليفون يصل هذه السيارة بالمكتب الذي انطلقت منه .. فيوجهونه الى أقرب طلب من المنطقة التي هو فيها . .

وهناك سيارات النقل الكبيرة . . والتي لها محطات ومواقف معروفة لأبناء البلاد . . وتجد في كل حارة ما ما تتطلبه حياتك من غذاء ودواء وأدوات . . وكل ما تريده أو يخطر على بالك . . ان كل حي متكامل بجميع ما يحتاج إليه . . والاسعار محددة . . والحياة ثابتة مستقرة ليس فيها تقلبات . . وليس فيها صعود وانخفاض . . كل مواطن يعرف ما يكسب وما يصرف . . وما يدخر . . والمرأة تشارك الرجل في جميع الأعمال . . ولا سيما الأعمال الكتابية والادارية . . ان معظم القائمين بخدمة سكان الفنادق من النساء . . ومعظم القائمين على المطاعم من النساء وجميع السكرتاريات من النساء . . ان المرأة تشارك الرجل في العمل . . وتشاركه في الكسب . . وتشاركه في البناء والتعمير والخدمات العامة .

والسير في الشوارع منظم تنظيما دقيقاً . . ان كل شارع له سرعة محددة بالميل لا يحق لقائد السيارة أن يتجاوزها . . حتى ولو كان الطريق خالياً كما أن السرعة محددة في الطرق الصحراوية الطويلة . . انه لا يحق لك أن تتجاوز ما أعطيته حتى ولو كان الطريق خالياً تماماً .

انه النظام الصارم الذي يكفل السلامة للجميع ولذلك قل أن تجد اصطدامات . . وقل أن ترى سيارة مهشومة الجانب أو مهشمة المقدمة . . ان الكل يحترم هذه الأنظمة والتعليمات التي قصد من ورائها سلامته والسلامة منه ورجال المرور منتشرون في كل مكان وهم لا يمشون على الأقدام وانما تحملهم سيارات مجهزة بآلات التصوير والتسجيل والاتصال بمراكزهم . . وهذه السيارات تقف في أماكن خفية لا يراها السائرون فاذا خالف أحد السائقين أنظمة المرور فتجاوز السرعة المحددة له . . فان سيارة المرور تتبعه وتسجل سرعته وتصورها في فيلم واضح . . ثم تستوقفه . . وعليه في هذه الحالة أن يقف . . وأن يبقى في مكانه . . وان يضع يديه فوق عجلة القيادة . . حتى يأتيه رجل المرور . .

ولو خالف ذلك فحاول أن ينزل لعرض نفسه للرمي بالرصاص . .

الاحتفال بتولى رئيس أمريكا الجديد .

وأزف يوم تولى الرئيس الجديد لأمريكا جيمي كارتر وهو يوم الخميس ٢٠ يناير عام ١٩٧٧ م الموافق ١٣٩٧/٢/٢ . . وجاء الرئيس الجديد من ولايته إلى واشنطن يوم الأربعاء أي قبل يوم التولي والاحتفال بيوم واحد وسكن هو وعائلته في قصر الضيافة ولم يذهب إلى البيت الأبيض . . لأنه لا يحق له أن يسكن فيه إلا يوم الخميس ٢٠ يناير . . وجاء يوم الخميس . . وكان الشعب الأمريكي قد استعد لهذا الاحتفال . . بجميع ولاياته . . ورأيت الرئيس الجديد يخطب في قصر الكابيتول وهو قصر الحكومة في واشنطن . . وظهر الرئيس على منصة الخطابة وزوجته على يمينه وطفلته الصغيرة على يساره . . وألقى خطابه على جموع زاخرة من الشعب الأمريكي وكانوا يصفقون ويهتفون في كثير من مقاطع هذا الخطاب . . وكان جيمي كارتر هادئا في القائه . . هادئا في حركاته . . يقرأ عبارات الخطاب برفق وتؤدة .. انه يلقيه بلا تحمس ولا تشنجات.. ولا ادعاءات . . انه يلقى خطابه القـــاء عادياً جداً . . وكان رزينا في القائه إلى أبعد الحدود . .

ولو سألتني أيها القارىء الكريم عن مضمون هذا الخطاب لما استطعت أن افيدك بشيء . . لأنني سمعته من

الرئيس الجديد في التلفزيون . . ولم أفهم منه إلا بعض الكلمات البسيطة ولكنني أتخيل أن الخطاب يرسم الاطار العام لسياسة الرئيس الجديد الداخلية والخارجية وهي سياسة مرسومة أهدافها ، والرئيس الجديد لايمكن أن يشذ عنها أو يخالف شيئاً من أهدافها ونصوصها . . انه قد يأتي . . ببعض الحواشي والمقبلات . . لاسترضاء جميع الفئات ولكن الأساس مرسوم طريقه ومرسومة أهدافه .

وانتهى الخطاب بتصفيق حاد من جموع المشاهدين . وركب الرئيس كارتر سيارته الخاصة هو وعائلته وسارت بهم السيارة في شارع واسع قد خلا وسطه من المارة . . واصطفت الجماهير على يمينه وشماله . .

ونزل كارتر هو وزوجته من سيارته وصار يمشي على قدميه هو وزوجته هي تمسك بيده اليسرى . . وهو يمسك بيدها اليمنى . . وصاروا يمشون في هذا الشارع الذي يسمى بنسلفانيا . . والذي يقع البيت الأبيض . . في جانب من جوانبه . . وسار موكب الرئيس الجديد مشيا على الأقدام وكان يحيي الجماهير المتراصة من اليمين وزوجته تحيي الجماهير من الشمال وقد يحيي كل منهما تلك الجماهير من اليمين والشمال . . واختفت الطفلة من بين أبويها . . ثم فجأة ظهرت . . وأمسكت بيد

أبيها اليسرى . . وأمسكت بيد أمها اليمنى . . وصارت تسير معهما . . وتأتي ببعض الحركات الصبيانية البريئة . . وأخيراً تعبت الطفلة من السير . . فتركت يدي أبويها لتتشابك من جديد . . وكان الرئيس كارتر يلبس لباسا عاديا بسيطا . . كما أن زوجته تلبس فستانا عاديا أيضا . . غير أن هذا الفستان هو نسيج وحده في ذلك الموكب فقد كنت إذا أضعت كارتر في تلك الجموع الحاشدة . . أعرفه بوجود زوجته بجانبه . . وكان لون فستان زوجه كارتر أزرق فاتحاً . . ولم أر فتاه أو امرأة في ذلك الموكب تلبس مثل ذلك اللباس . . ولهذا كنت أعرف كارتر إذا أضعته بوجود زوجته بجانبه .

واستمر سير الموكب في ذلك الشارع الواسع الطويل ما يقرب من نصف ساعة . .

ووصل الرئيس الجديد إلى البيت الأبيض . . وجلس هو وزوجته في ردهة من ردهاته المطلة على شارع بنسلفانيا . . وصارت وفود الولايات تمر بالقرب من منصته وتحييه فيرد لها التحية هو وزوجته بأحسن منها وكان يرسم على فمه ابتسامة تكبر في بعض الأحيان إلى أن تملأ وجهه الذي تظهر عليه آثار الطيبة والبراءة . . وقد تصغر هذه الابتسامة في بعض الأحيان حتى لا يكاد يحس بها المشاهد . . وكذلك زوجته التي تظهر بجانبه . . أما الطفلة الصغيرة . . فانه

كان لا يعنيها من هذه الجموع والمواكب إلا أن تنظر إلى بعض المواكب والحركات العجيبة التي تظهر أمامها .

وطال مرور الوفود أمام الرئيس وسئمت من طول المشاهدة . . وأظنك أيها القارىء الكريم قد سئمت مثلي . . وإذا فلنكتف بما سبق . . ويكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق . .

أما الرئيس القديم فورد . . فقد رأيته هو وزوجته في بعض المشاهد تظهر عليه بعض مظاهر الانكسار والتقلص والهزيمة . . فقد سلطت على غيره الأنوار واتجهت إلى غيره الانظار . . وبقي في ذلك الموكب الكبير كالبدر الكاسف الذي فقد هالته المضيئة . . وفقد سلطاته التي كانت تضفي عليه هيبة وجلالا . .

ثم رأيت الرئيس القديم فورد هو وزجته في المطار . . وقد أقيم له احتفال رسمي بسيط في المطار لتوديعه . . وسار هو وزوجته بين جموع المودعين . . وهو يحييهم . . ويغتصب الابتسام . . ولكن يظهر على ابتسامته أنها قد اجترت بقوة وعنف ففقدت تأثيرها . . وفقدت جاذبيتها .

وركب الرئيس القديم في الطائرة المعدة لرحيله . . . وصعد إلى الطائرة وصار يحيي جموع المودعين . . الرسميين . . والمجاملين . . ثم تحركت الطائرة . . وحلقت

بالرئيس القديم في جو واشنطن . . ثم اتجهت به إلى حيث لا أدرى . .

أفكـــار وهواجس .!!

ما أوسع آمال الإنسان وما اضيقها . . ما أكثر غروره . . وما أسرع ما يتلاشى هذا الغرور انه لا يرى أبعد من مواطىء قدميه . . ولا يعرف ماذا تخبيء له الاقدار انه يسير في هذه الحياة . . ولا يعرف ما هي نهاية هذه الحياة .

انه يتعلق بها بكل ما يملك من قوة . . لماذا . . لأنه لا يدرى ماذا يكون مصيره بعد هذه الحياة . . انه يسير من مجهول صار معلوما . . إلى مجهول لا يعرف من أموره شيئاً ولو كان يعرف ما هو مصيره بعد هذه الحياة لكان له موقف آخر غير موقفه هذا . . الذي يتشبث فيه بهذه الحياة مهما طال به العمر . . ومهما امتدت به الأيام . . ان خوفه من المجهول هو الذي يجعله دائماً في خوف شديد من هذا المجهول . . هذه أمور فكرت فيها عندما أصبت في سفرتى هذه بثلاث وعكات متتاليات . . الأولى في جدة . . وقد حاولت مقاومتها والصبر عليها . . حتى استطعت أن أتغلب عليها بقوة الله سبحانه ثم بقوة الإرادة . .
الوعكة الثانية في لندن وقد ذكرت لك عنها في الصفحات السابقة ما فيه الكفاية . . والثالثة أصبت بها في أمريكا في عاصمة كلورادو دنفر . .

فقد نمت ذات ليلة .. وأنا لا أحس بأى تأثر في صحتي .. واستيقظت آخر الليل .. وذهبت إلى الحمام .. واحسست عند المضمضة والاستنشاق أن دما يخرج من أنفي .. وواليت غسل أنفي وتوالى خروج الدم .. مع قطرات الماء التي استنشقها .. وخفت وداخلني الرعب من هذا النزيف المفاجىء .. وأنا في آخر الليل .. ليس من السهل أن أجد دكتوراً في تلك الساعات .. فسددت أنفي بقطنه .. واستلقيت على ظهري فوق الفراش .. ولزمت الهدوء التام .. بحيث لا يتحرك مني أى عضو ونمت وأنا على هذه الحالة .. وقمت في الصباح . فوجدت أنه لا يزال هناك بقايا من الدم تخرج من أنفي .. لكنها بقايا قليلة وخشيت أن يتطور هذا النزيف .. وأن يكون له تطورات ومضاعفات .. لا أعرف ماذا تكون نتائجها .. وكان أولادى قد سافروا إلى ولاية أخرى من أجل شئون دراستهم .. وكنت لا أحسن اللغة الانجليزية إلى الحد الذى أستطيع به أن أصف ما أصابنى في تلك الليلة .. فقررت أن أعتمد على لغة الاشارة وهي اللغة التي يعتمد عليها الأخرس .. كما يعتمد عليها الأعجم .. فأخذت نموذجاً مما يخرج من أنفى في منديل .. وذهبت به إلى إدارة الفندق الذى أسكن فيه وهو فندق رمادى ان .

فوجدت فيه احدى الموظفات فأريتها الدم في المنديل . . وأشرت بأن هذا الدم خرج من أنفي وأنني أريد أن أذهب إلى طبيب في الحال . . أو أن يأتى إلي طبيب في الحال ففهمت الفتاة من لغتي الانجليزية المكسرة ومن اشاراتى ما أريد . . وأخذت التليفون واتصلت بأحد الأطباء . . وأخبرته بحالتى . . وأخذت منه موعدا بأن آتى إليه في الحال . . وأعطاها عنوانه كاملا . . فكتبته في ورقة وأعطتني اياها . . ثم طلبت لي سيارة أجرة من أحد مكاتب التأجير . وفي خلال نصف ساعة كنت عند الدكتور . واعتمدت في إيضاح ما أصابنى على لغة الاشارة أكثر من اعتمادى على العبـــارة . . فأعطانى الطبيب بعد الفحص الدقيق نوعين من الحبوب وقطرة للانف . . وعدت إلى الفندق . وقد ارتاح بالي نوعا ما . . واستعملت الدواء . . وياليتني لم أستعمله . . لقد كان أحد نوعي الحبوب استرومايسين . . وهذا النوع من الدواء لدي حساسية ضده شديدة . . فبمجرد ما استعملت هذه الحبوب لأول مرة . . أحسست بحشرجة في حلقي وازدادت هذه الحشرجة حتى التهب فمى . . وبعض مواضع من جسمى . . وتذكرت الحساسية التي عندي ضد الاسترومايسين ونظرت إلى الحبوب فاذا نوع منها يشبه تلك الحبوب التي سببت لي مرضاً في بلادى ألزمني الفراش ما يقرب من نصف شهر .

وفي هذه الأثناء . . عاد أحد أولادى من سفره . .
وكان الدكتور قد أعطانى كرتا بعنوانه ورقم تليفونه . .
فاتصل به ولدى حالا . . وأخبره بحالتي . . فقال له
الدكتور تعالوا إلى حالا فأنا في انتظاركم وكان ما توقعته
صحيحاً . . فان تلك الحبوب التى سببت التهاب حلقي
وبعض أجزاء من جسمى هي حبوب الاستروما يسين .

فأعطانى هذا الطبيب أدوية مضادة لذلك الالتهاب . .
والتشقق الذي حصل في فمي وبعض أعضاء من جسمى . .
فخف الالتهاب عنى قليلا . . ولكنه لم يزل . . وكنت
قد حجزت مركباً في إحدى الطائرات لزيارة بعض أولادى
الذين يدرسون في ولاية أرزونا . .

واتصلت بهم تليفونياً بأنني قادم اليهم في اليوم الفلانى
في الساعة الفلانية . . وعلى الرحلة رقم كذا . . على
خطوط كذا . .

وترددت في السفر . . وأنا على تلك الحالة . ولكنني
أخيراً عزمت وتوكلت على الله أولا وأخيراً وقلت لعل
في تغيير الجو ما يساعد على التغلب على المرض . وركبت
الطائرة من دنفر عاصمة كلورادو إلى فينكس عاصمة
أرزونا . . واستغرق طيراننا من ولاية إلى ولاية ما يقرب
من ساعة وربع . . وهي مسافة أقدرها على وجه التقريب

من جدة إلى الظهران . . ووجدت أولادى في استقبالي عند باب المطار الداخلي فاستقبلوني بفرحة غامرة . . وسعادة لا يستطيع وصفها القلم . . وكنت أكثر سعادة وسرورا بهذا اللقاء . . وحف بي أولادى من كل جانب وأساريرهم تفيض بالبهجة والفرحة . . الأمر الذى جعلنى أشعر بتحسن في صحتي منذ أن التقيت بهم .

مصارعة الثيران لدى الأمريكان .

وفي يوم من الأيام شاهدت مباريات سنوية . . أو ان شئت نقل عدة مباريات سنوية في مصارعة الثيران . . واستعراض أنواع من الخيول .

وقد بدأت المسابقات باستعراض كوكبة من الفرسان والفارسات ان صح هذا التعبير . . فقد امتلأ الملعب بخيول هؤلاء المتسابقين ثم صاروا يتسابقون في الملعب . . ولكن إلى غير هدف . . انهم بعض المرات يسيرون في اتجاه واحد وفي بعض المرات يتخالفون ثم يوقفون خيولهم في جوانب الملعب . . ويكونون في هذا الوقوف أنواعاً من التشكيلات المتعددة . . فمرة يكونون مربعات وأخرى يكونون مثلثات . . وتارة يكونون دوائر متناثرة . . وخيولهم تساعدهم على ما يريدون . . انها تقف في تلك المثلثات والمربعات . . والصفوف المتعارضة كما يريد فرسانها

وفارساتها ثم ينطلقون من شكل إلى شكل آخر بعد دورات في الملعب .. وقد عجبت منهم كيف لا يتصادمون .. مع كثرة الخيول التي شاركت في هذه الاستعراضات .. انه التدريب الطويل لهذه الخيول لكى تقف كما يريدون . ثم تنطلق في الاتجاه الذى يريدون .. وبعد هذه المسابقة يظهر أن الفائز فيها هو الذى يوقف حصانه في المكان المخصص له في أسرع وقت ممكن ..

بعد هذه الاستعراضات .. أعلن في الملعب أنهم سوف يستعرضون كوكبة صغيرة من الخيول العربية الأصيلة .. وعندما سمعت كلمة الخيول العربية وجهت نظري إلى الملعب أكثر من ذى قبل .. لقد أحسست بأن العروبة تحركت في مشاعري .. وركزت انتباهي إلى الملعب .. إن خيول بلادى سوف تشارك في هذه المسابقات .. والتي سوف أشاهد بعض ما تنتجه بلادى من هذه الحيوانات الجميلة التي يقولون عنها في أمثالهم الخيل عز للرجال وهيبة ..

وبعد انتظار لم يدم طويلا .. انتشر في أرض الملعب عدة فرسان وفارسات يمتطون هذه الخيول .. وصاروا يدورون في الملعب ويرسلون خيولهم مسرعة تارة .. وتارة أخرى تسير الهوينا وقد أعجبت بهذه الخيول ..

وأعجبت بأشكالها والوانها . . وأعجبت بسرعة عدوها وبتناسق أعضائها وألوانها . . ثم ذهبت هذه الكوكبة . .

ووضع في أرض الملعب ثلاثة براميل . . وصار الفرسان يأتون واحدا بعد الآخر في سرعة مذهلة . . ثم يدور كل واحد منهم حول هذه البراميل الثلاثة ثم يختفي . . ويأتي فارس آخر بغاية ما يستطيع من السرعة أيضاً ليدور حول هذه البراميل . . ثم يختفي مسرعاً ليأتي غيره . . وهكذا حتى انتهت هذه المسابقة .

ثم جاء دور مصارعة الثيران . . وهي مصارعة تختلف عن مصارعة الثيران لدى الاسبان . . انهم هنا في أمريكا يصارعون الثور حتى يصرعونه . . ثم يربطون يديهورجليه ويتركونه ممددا على الأرض فترة قصيرة من الزمن . ثم يطلقون قيوده . . ويتركونه ينطلق . . ويذهب إلى القطيع من أبناء جنسه .

أما الاسبان فانهم يصارعون الثور ويطعنونه عدة طعنات حتى ينزف دمه . . وأخيراً يطعنه المصارع بحربة تصل إلى قلبه . . وعندئذ يخر الثور صريعاً . .

ولنستعرض نوعين من أنواع مصارعة الأمريكان للثيران .

النوع الأول أن يقف فارس عند الباب الذي ينطلق منه الثور إلى الميدان ويكون معه حبل طويل قد جعل في طرفه أنشوطة يديرها في يده . . لتتسع تارة وتضيق تارة أخرى كما يريد هذا الفارس . . فاذا فتح الباب للثور انطلق بغاية ما يستطيع من السرعة فيتبعه الفارس حتى يقرب منه . . ثم يرمي بتلك الأنشوطه في رقبته . . ويجذبها حتى تضيق . . ثم يوقف الحصان بسرعة مذهلة . . ويعدو إلى الثور . . فيطرحه أرضا . . ويربط يديه ورجليه فترة من الزمن ثم يطلقونه بعد ذلك . . والظاهر أن الفائز هو الذى يصرع الثور ويربطه في أسرع مدة ممكنه . .

أما النوع الثاني فهو أن يقف فارسان عند الباب الذي يخرج منه الثور فاذا فتح للثور وانطلق بغاية ما يستطيع من السرعة اكتنفه الفارسان احدهما عن يمينه والآخر عن عن شماله . . ثم حاولا أن يعدوا بسرعة الثور . . ثم يقفز أحد الفارسين من فوق ظهر حصانه . . ويمسك برقبة الثور . . ويصارعه حتى يطرحه أرضا . . ثم يربط يديه ورجليه بغاية ما يستطيع من السرعة . . ثم يتركه هكذا ممددا على الأرض فترة قصيرة . . يفكون بعدها قيوده . ويطردونه من أرض الملعب ليخرج من باب آخر . . ثم يتوالى خروج الثيران . . ويتوالى تتبع الفرسان لها . على نفس النمط الذي ذكرته سابقاً .

انها أنواع من الرياضات . . لها عشاق يرفهون بها عن أنفسهم . . في أيام الآحاد . . وفي أيام الأعياد . وهناك أناس يتدربون عليها ويمارسونها ويكسبون لقمة العيش عن طريقها . . وللناس فيما يعشقون مذاهب . .

من هنـــا وهنـــاك .

انني في هذه الرحلة لا أكاد استقر في مكان حتى أرحل منه إلى مكان آخر وكل انتقال من مكان إلى مكان آخر . . يكلفني غالياً . . انه يكلفني جهدا . . ويكلفني وقتا . . يثقلني هما وارهاقا وقلقاً ان السفر هو السفر منذ زمان وحتى الآن . . انه قطعة من العذاب . . لقد اختصروا لنا الوقت بهذه الوسائل الحديثة من طيارات وقطارات وسيارات . . ولكنهم لم يختصروا من الهم والقلق والارهاق في تلك الرحلات القصيرة الوقت الكثيرة الهموم والهواجس . . وهناك هموم الغربة الكثيرة التي تزيد الطين بلة . .

ومن أشد هذه الهموم إيلاماً فقدان الأحبة والأصدقاء الذين ترتفع الكلفة فيما بيني وبينهم . . والذين أرسل نفسى بينهم على سجيتها . . وأطلق لسانى بالحديث بينهم بلا تكلف . . وبلا حساب . .

أما في هذه الرحلات . . فانني لا أفهم كثيراً مما يدور حولي من أحاديث ولذلك فانني أقضى معظم الوقت

صامتا . . وأسمع لغة غير لغتي . . لا أفهم منها قليلا ولا كثيراً . . ثم أنني أعيش غريباً بين قوم لا أعرفهم ولا يعرفونني . . ولا أعرف الكثير عن تقاليدهم وأخلاقهم . . ولذلك فانني أحسب حسابا لكل حركة اتحركها أو كلمة أنطقها . . انني لا أريد أن أكون شاذاً في أي تصرف من تصرفاتي . . وهذا طبعاً يكلفني يقظة مستمرة . . وحذرا دائماً من أن ارتكب شيئاً من التصرفات التي تلفت الي الانظار . . ولا يخفى ما في هذه اليقظة وهذا الحذر من ارهاق ومخاوف تقلق راحتي . . وتجعلني أقرب إلى التمثيل . . من الصدور عن الطابع الأصيل . . وأنا انسان حساس . . وأنشد الكمال في كل أمر من أموري . . وبلوغ الكمال فوق مستوى الآمال . .

شعرت وأنا في أمريكا بمتاعب المدنية وتعقيداتها . . ومتاعب المجتمعات المتحضرة . . ومتطلبات حياتهم الكثيرة المتعددة التي ترهق نفوسهم وترهق جيوبهم بما تتطلبه من أمور كثيرة لا حصر لها ولا عد . .

وعرفت من هذا مزايا المعيشة البسيطة التي ليس فيها تعقيد . . وليست لها متطلبات مرهقة . . وقد لا يشعر بهذا الفارق العظيم بين المعيشتين إلا من جرب هذه وتلك . . وعرف مزايا هذه . . وعرف متاعب تلك . .

كنت أتصور سابقاً أن كل أمريكي غني .. وكل أمريكي ثاقب الفكر .. متوقد الذهن .. خارق الذكاء .. يفوق الآخرين في خبراته .. يفوق الآخرين بقدراته .. ولكنه اتضح لي أخيراً أنني مسرف في هذا التصور .. متجاوز فيه حدود الواقع .. صحيح أن النوابغ عندهم كثيرون ولكنهم ليسوا كلهم نوابغ .. ثم ان أفكارهم ومعلوماتهم اقليمية محدودة انهم لا يعرفون من احوال الأمم الأخرى مثل ما نعرف عنها .. فلا أدرى هل مصدر هذا أنهم يرون أن يهتم بهم الأخرون .. وأن لا يهتموا هم بالأخرين .. أم أن أمور معيشتهم تشغلهم عن المعلومات العامة عن الأمم الأخرى .. أم أن هناك سبباً آخر يفرض عليهم هذا المسلك ..

ان النوابغ من الأمريكان متفوقون في تخصصاتهم التي حصروا حياتهم ونشاطهم فيها .. فاذا خرجت بأحدهم من هذه الدائرة الضيقة لم تجد عنده شيئاً ذا بال .. بل انك قد لا تجد عنده شيئاً على الاطلاق .. والسواد الأعظم من الأمريكان ليسوا أغنياء .. بل ان ما يكسبون من ثمار أعمالهم لا يكاد يكفى متطلبات حياتهم ..

ولذلك فانك تجد معظم مشترياتهم بالتقسيط .. انهم لا يملكون كل ما يحتاجونه ولذلك فانهم يلجأون

إلى هذه الطريقة في معظم مشترياتهم مثل السيارة وأثاث المنزل .. ومعدات المطبخ .. وأقيام المنازل التي قد يشتريها بعضهم .. ويدفع أقيامها في أوقات قد تطول وقد تقصر .. والأمريكي يدفع قيمة هذا التقسيط . ان التاجر يأخذ مقابل هذا التأخير في الدفع مبالغ يضيفها إلى القيمة الأصلية .. ويتحملها المشتري تحت طائلة الضرورة .. ثم يبذل جهودا مضنية لزيادة الدخل .. وإذا عجز عن الدفع في ظرف من الظروف فان السلعة التي اشتراها تستعاد منه ويكون ما دفعه من أقساط مقابل ما استهلكه في استعمال تلك السلعة التي اشتراها ..

تجولنا في سلسلة جبال روكي .. ودخلنا في أعماقها عدة مرات .. ومن طرق مختلفة .. وقد كنت تحدثت اليك أيها القارىء الكريم عن طولها وهي أنها تشق أمريكا من طرفها الشرقي .. وتمتد إلى طرفها الغربي .. أما عرضها فانني لا أعرفه .. وقد تعمقنا فيها ذات مرة ما يقرب من أربعين ميلا ومع ذلك فاننا لم نصل إلى نهاية عرضها .. ولقد شاهدت في تلك الجبال .. مختلف المناظر البديعة الأخاذة .. من قمم عالية مكسوة بالثلوج وسفوح هادئة مليئة بالأشجار والأعشاب .. ووديان قد تجمد الماء فيها . وتراكم في تلك المجارى .. ينتظر الصيف ليذوب .. ويجري في تلك المجاري صافياً سلسالا .. ورأيت بين

تلك الجبال بحيرات متعددة قد تجمد الماء فيها أيضاً . . وصارت مكانا مفضلا للتزلج وممارسة هذه الرياضة المحبوبة لدى الأمريكان . .

أفكار شي عن الأمريكان .

نسيت أيها القارىء أن أذكر لك في وصف الغرفة التي أسكنها أن بقرب الباب سلسلة من الحديد القوي مثبته في الحائط فاذا أقفلت الباب وضعت طرف هذه السلسلة فيه . بحيث إذا دق عليك أحد باب غرفتك في أى ساعة من ساعات الليل أو النهار فانك تفتح الباب فينفتح قليلا بحيث ترى من عند الباب بينما السلسلة الحديدية تشده إلى الحائط فلا يتمكن من عند الباب من الدخول ما دامت السلسلة مربوطة . . فإذا رأيت من عند الباب وعرفته ورغبت في دخوله عندك فما عليك إلا أن تقفل الباب ثانية ثم تفك السلسلة منه . . ثم تفتح الباب ثانية ليدخل من عنده . . وقد عملوا هذه الطريقة خوفاً من اللصوص والعصابات التي قد تحاول الدخول على شخص من السكان . . فتهدده وتطلب منه مبلغاً من المال إذا لم يدفعه فقد يكون الثمن أن يفقد حياته لامتناعه عن دفع ما يريدون . .

وقد سمعت أنه معلق على أبواب بعض غرف الفنادق عبارة تقول إذا أتاكم اللصوص فلا تقاوموهم .. بل ادفعوا لهم ما يريدون واربحوا النجاة بحياتكم . .

أي حياة هذه . . ان هذه المظاهر المخيفة هي بعض الثمن الذي يدفعه الأمريكان مقابل الحرية الكاملة لكل مواطن . . ومقابل السماح لأي مواطن بنقل السلاح واقتنائه . . وقد يؤخذ هذا السلاح بحجة الدفاع عن النفس بينما هو يستعمل للاعتداء على الآخرين .

وامر آخر لفت نظري . . وهو أن الأمريكان رجال جد وكدح وعمل وانتاج ولكنهم خارج العمل يعودون كالأطفال . . انهم يعجبون بما لا يعجب . . ويطربون مما لا يطرب . . أقول هذا الكلام بعد أن زرنا مطعماً كبيراً يسمى المطعم المكسيكي . . ان هذا المطعم غريب في كل أمر من أموره غريب في تصميمه . . غريب في صالاته . . غريب في طريقة تقديم الطعام لرواده . . وهو واسع جداً يتسع لآلاف الرواد . . وهذا المطعم على سعته مسقوف بسقف يشبه السماء . . فيه نجوم وأقمار . . إذا رأيتها ظننت أنك تحت السماء . . بينما أنت تحت سقف متواصل الحلقات . . وفي جو مكيف بحيث لا تشعر بحر ولا برد . . ولا شيء من المزعجات وعند باب هذا المطعم رأيت الناس يدخلون أفواجاً أفواجاً . . فقلت في نفسي أن هذا المطعم لن يتسع لهذه الالاف المؤلفة . . ولكني عندما دخلت إلى داخله . . وجدت صالات واسعة وكثيرة . . تفرق الرواد فيها ولم يملأوها .

وطريقة هذا المطعم في تقديم الطعام هي أنهم يعطون الزبون أول ما يدخل قائمة بأنواع الأطعمة الموجودة .. فتمشي في طابور من الزبائن .. حتى تصل إلى أحد موظفى المطعم الذي يحمل في يده تليفوناً فتخبره بما تريد .. فيكلم المطعم لاحضار ما تريد .. ووضعه على طاولة في طريقك وانت سائر في ذلك الطابور الطويل من البشر .. فاذا قربت من طاولة الطعام وجدت في طريقك صحنا كبيراً وحزمة فيها شوك وسكاكين فتأخذها في يدك .. فإذا وصلت إلى طاولة الطعام كان طلبك جاهزا .. يصفونه في صحنك .. ثم تسير بك إحدى موظفات المطعم فتجلسك في إحدى الصالات .. هذه كلها أمور قد لا تهم القارىء .. ولكن الشيء الذى لفت نظري وجعلني أكتب عن هذا المطعم هو طباع الأمريكان رجالا ونساء .

فعندما ينتهى الرواد من طعامهم .. فان هناك سراديب ضيقة من الصخور التي تشبه المغارات .. وهي مضاءة اضاءة خافتة .. فيتجولون في تلك السراديب .. وبين تلك الصخور .. ثم هناك بركة عميقة .. يتدفق اليها الماء من شلالات تراها مرتفعة .. وهناك سباح يقف في أعلا الشلال ثم يقفز في وسط هذه البركة من أعلا مكان . وهو يكرر القفز في هذه البركة .. وفي كل مرة يأتى بقفزة جديدة .. فمرة يكون أول ما يصل الماء رأسه ومرة

تصل قدماه ومرة يقفز وقد ادار ظهره ثم يتقلب في الجو عدة مرات قبل أن يصل إلى الماء . . والأمريكان يصفقون له . . ويطربون من قفزاته وحركاته في الهواء .

ثم هنالك ألعاب سحرية يقوم بها بعض الحواة . . ثم هنالك فرق موسيقية يرقص على أنغام موسيقاها رجل قد لبس جلد دب كبير . . يرقص ويشد بأيدي بعض الأطفال فيرقص بهم معه . . والأمريكان رجالا ونساء يضحكون ويطربون ويصفقون لهذه الحاجات . . التي لم أر فيها فناً . . ولم أر فيها ابداعا . .

انهم قد بلغوا حدا من البساطة . . بل السذاجة لفت نظري . . وقد أكون بتفكيري هذا في نظرهم أنا البسيط الساذج . . ان تربيتهم غير تربيتي . . والمجتمعات التي عاشوا فيها غير المجتمعات التي عشت فيها . . ومن هنا صار التفاوت في وجهات النظر وفي طريقة الحياة . .

انهم قد بلغوا مستوى من الرقي والتقدم لم أبلغه . . هذا شيء لا شك فيه . . ولذلك فاني ابدي رأيي فيهم بتحفظ شديد .

هذا ما أردت أن أقوله عن الأمريكان وطبائع الأمريكان وطريقة الأمريكان في ممارسة شئون الحياة . . في ساعات الفراغ والانطلاق على سجيتهم . .

الصحة . . والمرض . . والأمل .

هذا تعليق خاطف على الصحة والمرض والامل أحببت أن أعرضه عليك أيها القارىء الكريم قبل أن نواصل سيرنا في ضواحي فينكس وصحاريها . فلقد أحسست بعد هذه الوعكات الثلاث بشهية للطعام ما كنت أجدها من قبل وأحسست بنوع من النشاط والحيوية وحب الحركة كنت أفتقدها من قبل وتذكرت في هذه الحالة قول أحد الشعراء وهو ربما صحت الابدان بالعلل وتذكرت حادثة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وهي أنه خطب امرأة من احدى قبائل العرب . . فأجاب أهلها بالقبول طبعاً لأن زواج الرسول باحدى فتياتهم شرف للقبيلة كلها . . وعندما كاد كل شيء أن يتم أراد أبو الفتاة أو ولي أمرها أن يصف الفتاة بصفة قلّ أن يتمتع بها سواها فقال يا رسول الله انها لم تصب بمرض منذ أن ولدت حتى الآن .

فقال رسول الله لا حاجة لي بفتاتكم . . وعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخطبة بسبب هذه الكلمة التي أراد قائلها أن يضيف مزية جديدة إلى مزايا الفتاة . ولكنها كانت وبالا عليها . . وكم من كلمة قالت لصاحبها دعني . . وكم من أمر يريد الانسان أن يجني من ورائه خيرا فيحدث العكس .

والذى اراه سبباً حسب فهمي القاصر في رفض الرسول صلى الله عليه وسلم للزواج من هذه الفتاه التي لم تمرض منذ ولدت أن هذا أمر غير طبيعي فالحياة صحة . ومرض . وفرح . . وسرور . . وحزن . . انها أطوار أو حالات طبيعية لابد أن تمر بالبشر فهذه الفتاة التي خطبها الرسول لم تكن طبيعية بل هي شاذة في هذا الأمر ثم ان المرض تمحيص للذنوب وتكفير للخطايا وهذه الفتاة لم تتمتع بهذه الصفة . . ثم ان المرض إذا شفي منه الإنسان أعطاه قوة ومناعة . . ما كان يتمتع بها قبل المرض .

ولقد تذكرت في هذه المناسبة أن أحد الشعراء ـــ وهو على ما أذكر جرير قال بيتين من الشعر في إحدى قصائده وهما :

كاد الهوى يوم سلمانين يقتلني
وكاد يقتلني يوما بعسفــانــا

وكاد يقتلني يوماً بذي سلـــم
إذ فرق الجمع واستبقيت ولهانا

هذان البيتان قد نسيتهما . . أو نسيت معظم البيتين . . فأثبت المعنى الذي أراده الشاعر ولكن قد يكون بعض ألفاظهما ليس من ألفاظ الشاعر وانما أتيت بهما من عندي

لاقامة الوزن والقافية . والشاهد هو أن هذين البيتين قرئا على بعض الأعراب فقال هذا رجل نجا من الموت ثلاث مرات والله لا يموت أبدا . . وهذا طبعاً من مبالغات الاعراب المحبوبة . . ومن تفسيراتهم الغريبة . . وهذا الأعرابي يعرف تمام المعرفة أن كل حي سيموت إلا الحي القيوم . . موجد هذا الكون ومبدعه فهو الباقي وحده .

ان الأعرابي يعرف هذا تمام المعرفة سواء عن طريق الدين . . أو عن طريق مجريات الأمور . . وسيرة الطبيعة . . ولكن الأعرابي أراد أن كل سلامة من مرض تكسب المرء قوة ومناعة ضد تلك الأمراض . وضد أمراض أخرى قد لا يكون الانسان أصيب بها .

ولذلك قال أحد الحكماء كل ما لا يقتلني يزيدني قوة .

والذى أريد أن أصل إليه انني تفاءلت بهذه الوعكات الثلاث التي أصبت بها ثم نجوت منها . . والفأل طيب ومرغوب فيه والتشاؤم سيء ومنهى عنه . .

وأنا لا أقول كما قال الأعرابي ان ذلك الشاعر الذي نجا من الموت ثلاث مرات لن يموت ولكنني أقول انى ان شاء الله قد أكسبت بهذه الوعكات الثلاث مناعة وقوة إلى حين . . والموت والحيـاة بيد الله وحـده . . ولا

أعتقد أنني سوف أرى في هذه الحياة أكثر مما رأيت . .
ثم ان الحياة هي الشباب فاذا ذهب الشباب ذهبت
معظم ملذات الحياة . . صحيح أنه يبقى للشيوخ كثير
من المتع الروحية . . وكثير من الذكريات الحلوة الجميلة .
ولكن الحياة ليست روحا فقط . . انها روح وجسد . .
ولكي تتكامل للمرء ملذات الحياة فلابد أن يتمتع بالمذات
الروحية . . وأن يتمتع معها بالملذات الجسدية من مطعم
وملبس . . ومشرب ومركب . . لأن المرء في حاجة ماسة
ان ينتقل بين تلك المتع ولأنه إذا داوم على متعة واحدة
سئمها وملها . . فلابد أن يتركها لفترة من الزمن للتمتع
بمتع أخرى يعود بعدها إلى ما سبق أن تمتع به وملّه .

واتذكر بهذه المناسبة كلمة للخليفة الأموي المعروف
عبد الملك بن مروان قال لقد ركبت الفاره وتبطنت
الحسناء . . والان لم يبق لي من متع الحياة إلا محادثة الرجال
.. ومجاذبتهم أطراف الحديث قال هذا الكلام بعد أن كبر
في السن وفقد القدرة على التمتع بالمتع الجسدية فتركها أو
تركته وانتقل منها إلى المتع الروحية .

وقال أحد الشعراء الذى لا يحضرنى اسمه الان :

ولقــد سئمــت مــآربــي

فكــأن أطيبهــا خبيــث

الا الحــــديث فــانـــه

مثـــل اسمه أبـــدأ حـــديث

انتهت هذه الفذلكة التي لا أدرى كيف سيكون موقعها من نفوس القراء .. انني اتلمس الطريق إلى الوصول إلى نفوس قرائى الكرام .. وإلى مداعبة مشاعرهم . وقد أصل بعض الأحيان إلى ما أريد وقد أضل الطريق في بعض الأحيان .. وأخطىء الهدف الذي أرمي إليه .. ولكن شفيعي عند الخطأ .. انني لم أرد الا الصواب والله وحده هو حسيب عباده .. وهو المطلع وحده على سرائرهم وخفايا نفوسهم .

في ولاية ارزونا

جولة في ضواحي فينكس العاصمة .

سرنا إلى الضواحي ومررنا بجبل متوسط الارتفاع ونحن نسير على طريق معبد . . وقال لي احد أولادى أن هذا الطريق يسمى طريق ظهر الجمل . . وقال أنظر إلى الجبل فرأيت أنه يشبه الجمل ذا السنامين . . ثم قال لي أنهم شبهوا هذا الجبل بالجمل وسموا هذا الطريق بهذا الاسم لأنه يتصل بذلك الجبل . . وقال لي أيضاً أنظر إلى إلى سفح ذلك الجبل الذى سموا الطريق باسمه . . ونظرت فرأيت بيوتا متناثرة في سفح ذلك الجبل . . وكانت النظرة من بعيد . . بحيث لم أستطع أن أميز بعضها من بعض . . وقال لي ولدي أن هذه البيوت لكبار الأثرياء والممثلين . . انهم يهربون من أعمالهم إلى هذه البيوت لينعموا بالهدوء والراحة وليتمتعوا بهذا الجو الصحراوى الجاف . . . وليمتعوا ابصارهم بهذه المناظر الطبيعية الهادئة . . الساحرة .

وخرجنا من العمران إلى الصحراء فقال لي ابني انهم يحافظون على نباتات الصحراء على طبيعتها . . ثم قال لي أنظر إلى تلك الشجرة فنظرت اليها فاذا هي نوع من الصبار البطيء النمو . . الذي ليست له أغصان ولا أوراق . .

Phoenix. Arizona



مدينة فينكس ــ عاصمة ولاية ارزونا

ولا فروع ايضاً إلا بعض الفروع القصيرة .. ان هذه الشجرة تشبه العمود الصاعد إلى أعلى في استقامة تامة .. وسألت عن هذه الشجرة فقال ان اسمها الكاكتّس ولا تنبت إلا في هذه الولاية فقط .. وهم هنا في أرزونا يحرمون قطعها أو نقلها .. ويفرضون عقوبات صارمة على من يعتدي على هذه الشجرة .. وهي على أنها فرع واحد تقاوم هبوب الرياح .. بحيث لا تستطيع أي ريح مهما قويت أن تطيح بها أو تقتعلها من جذورها .. وهي كالأسطوانة .. وداخلها مجوف ومملوء بالماء .. فاذا جاءت الريح من جهة اتجهت تلك المياه التي في جوفها في اتجاه معاكس لاتجاه الريح .. بحيث تعطي هذه الشجرة قوة في المقاومة وفي الكفاح ضد الريح .. وسرنا في الصحراء بين جبالها ووديانها وسهولها وشعابها .. ان ارض أرزونا وجبالها تشبه ارض الطائف وجباله .. ولذلك أنست بهذه المناظر وانسجمت معها .. حتى تخيلت أنني أتجول في ربوع بلادي .. وأنني أسير بين جبالها ووهادها .. وأسرح الطرف في سهولها وربواتها ..

واستمر بنا السير حتى وصلنا إلى بحيرة صناعية .. وفيها نافورة هائلة تشتغل بالعقل الالكتروني .. وفي كل ساعة تشتغل ربع ساعة .. وهم يدرسون بواسطتها أحوال الجو وتقلبات الرياح واتجاهاتها .. وقد يكونون يدرسون بواسطتها أمورا أخرى لا أعرفها .

وبقينا ننتظر اشتغالها في موعدها المحدد . . وكان الهواء شديداً والبرد قارساً . . انه جو صحراوي يشبه جو بلادنا حره شديد وبرده شديد وصبرنا على البرد القارس .. في انتظار اشتغال النافورة . . وفي موعد اشتغالها تماماً لم نشعر بها إلا وقد انطلقت في الهواء . . بقوة هائلة . . وصار الماء يتصاعد إلى أعلا في دفعات متوالية وصارت المياه تعلو من هذه النافورة حتى بلغ ارتفاعها ٥٦٠ قدماً . . وهو أعلا ارتفاع في العالم تبلغه نافورة . . وقد صنعت هذه النافورة في سويسرا أما العقل الالكترونى فهو صناعة أمريكية .

وهذه النافورة أو هذه البحيرة مع نافورتها تقع في مكان يسمى وادي الشمس . . ويحف بهذا المكان جبال ووديان وسهول هي غاية في الروعة والجمال .

وقد أزعجنا البرد القارس في ذلك اليوم فعدنا سريعاً ومشينا على الأقدام إلى مقهى بقرب هذه البحيرة . . وجلسنا فيه . . وتناولنا بعض ما يحلو لنا من مطعوم ومشروب .

في مضارب الهنود الحمر .

ثم سألنا صاحب المقهى عن مضارب الهنود الحمر التي سمعنا أنها بالقرب من هذه البحيرة . . فوصف لنا مضاربهم . . وسألناه هل هم خطرون . .؟ هل يخشى



نافورة في احدى ضواحي فينكس

منهم عندما نتجول بين مضاربهم . . فقال أنهم مسالمون . . ولكنهم هم الذين يحكمون في تلك المضارب . . ولهم أنظمتهم وعاداتهم الخاصة . . وعليكم إذا وصلتم إلى مضاربهم أن تسيروا بسيارتكم بهدوء وبطء .

ذهبنا نبحث عن مضارب الهنود الحمر ونسير فوق طرق منها ما هو مسفلت . . ومنها ما هو معبد فقط . . وطال بنا السير . . وأخيراً وصلنا إلى أمكنة موغلة في الصحراء . . وبها بعض الأكواخ المصنوعة من الصفيح والخشب . . ولكننا لم نر فيها سكانا . . انها خالية تماماً من البشر ورأينا بعض الخيول المربوطة عند بعض تلك البيوت أو الأكواخ . . ان في هذه الأكواخ سكانا . . ولكن أين سكانها الآن . . أننا لا ندرى أين ذهبوا . . ولا اين يوجدون . .

وبعد أن يئسنا من وجود أحد منهم عدنا القهقرا من حيث أتينا لم نحصل على شيء مما كنا اردناه . .من الاجتماع بهم . . ومعرفة أحوالهم ومشاهدة سحنهم وملامحهم . . ولعل فرصة أخرى تتاح لي للاجتماع ببعضهم لأحدثك عنهم . . وعن أحوالهم وأفكارهم وتقاليدهم . .

الصحة . . والمرض . . والغربة .

أشعر أيها القارىء الكريم أن الحديث عن المرض

كفاك الله شره ثقيل .. ومملول ولكن لا باس أن تتحملني في بعض ما نكره لنصل جميعاً إلى ما تحب . . وكما أشركتك في السراء والأحاديث السارة . . فلابد أن تشاركني في . . الضراء . . والأحاديث الحزينة . لقد شعرت بثقل المرض في الغربة . . أكثر مما شعرت بثقل المرض في بلادي . . لان الغريب فيما اعتقد يفتقد كثيراً من أنواع العطف والحنان التي يجدها في بلاده . . ولأن الغريب يشعر أن أمامه طريق طويل وشاق يجب عليه أن يقطعه . . وكل ما يعوقه عن قطع هذا الطريق يعوقه عن الوصول إلى وطنه . . ولأن الغريب تحيط به المخاوف والمجاهل من كل جانب ويحس بأحاسيس ومشاعر لا يحس بها المقيم في بلاده وبين أهله وذويه . . وأصدقائه ومحبيه .

فلا تستغرب أيها القارىء إذا أطلت عليك في هذا الحديث فقد يجد فيه بعض القراء سلوة . . وقد يجدون فيه عزاء .

لقد انتقلت من الجزء الأكبر من أسرتى إلى الجزء الأصغر . . وكان من الممكن أن يعوضني هذا الأصغر . . عن الجزء الأكبر ولكن أين وطني . . أين أصدقائى . . أين مجتمعى الذي ألفته وألفني كل هذا قد افتقدته في بلاد

الغربة . . فلا تضجر أيها القارىء الكريم من أحاديثي عن المرض ودعني أحدثك عما صادفني في سفري هذا من من أحاديث السراء والضراء . . من أحاديث الآلام والمسرات .

والآن فلنعد إلى حيث وقفنا . . لقد وصلت إلى ولاية أرزونا وشعرت بتحسن في صحتي منذ أن وطئت قدماي تلك الأرض لماذا لا أدرى . . هل لأن جوها يشبه جو بلادى .؟ هل لأن أولادى استقبلونى بفرحة وحرارة منقطعة النظير . ؟ هل هو الشعور . . بأنني انتقلت من جو مرضت فيه إلى جو رجوت فيه الشفاء ؟ . هل وهل . . انها كثير من التساؤلات لا يجزم المرء بأن واحدا منها هو السبب . .

والمهم أنني بعد وصولي إلى أرزونا ذهبت أنا وأولادى إلى بعض الصيدليات وأخبرت الصيدلي بالتهاب حلقي . . والتهاب بعض أجزاء من جسمى وطلبت منه أن يعطيني بعض الأدوية التي تفيدنى في استعادة صحتي وان تكون الأدوية . . من النوع الذي لا يحتاج إلى وصفة طبيب . . ولبى هذا الصيدلي طلبي واعطاني مرهماً لأدهن به المواطن الملتهبة في جسمي . . وأعطاني سائلا أزرق اتمضمض به ثم ابتلعه . .

وفي خلال يوم ونصف من استعمال هذه الأدوية التي أعطانيها الصيدلي عادت إليّ صحتي .. وعادت الابتسامة إلى شفتي .. وشعرت أنني أسير إلى استعادة صحتي بخطوات سريعة جدا .. وكان يعلو لسانى مادة بيضاء عندما اجوع أو عندما أقوم من النوم .. فزالت هذه المادة من لساني بفضل الله ثم بفضل استعمال هذا الدواء الذى اتمضمض به ثم ابتلعه ..

وكنت وانا في بلادى شكوت هذا الأمر على أحد الأطباء .. فقال لي أنه شيء عادى لا خـوف منه .. ثم أخرج لي لسانه وقال انظر .. فنظرت فاذا هو مغطى بمادة من نوع المادة التي تغطي لساني .. فسكت وقلت في نفسي ان هذا الدكتور لو كان لديه دواء يزيل هذه المادة لداوى نفسه ..

ها لقد نسيت أن أقول لك أنني شكوت إلى ذلك الصيدلي يبوسة في شفتي وتشققاً في ملتقى الشفتين من اليمين والشمال .. فأعطانى أصبعاً يشبه أصبع الروج الذي تستعمله النساء لصبغ شفاههن .. فاستعملته .. فزالت اليبوسة من شفتي .. وزال التشقق من أطرافهما حيث يلتقيان .

وفي خلال ثلاثة أيام من استعمال هذه الأدوية رجعت

سوياً قوياً متفتح النفس لأرى واسمع كل ما يحسن سماعه أو تجدر رؤيته .

والآن وما دمت أيها القارىء الكريم قد شاركتني في الأحاديث الحزينة عن المرض والدواء .. فشاركني فيما يسر ويبهج من المناظر الخلابة .

داخل المدينة وخارجها .. لقد ذهبت مع الأولاد نتجول في شوارع المدينة فينكس عاصمة أرزونا انها تشبه في شوارعها وبيوتها وحدائقها وميادينها مدينة دنفر عاصمة كلورادو .. ولكن عاصمة أرزونا تمتاز بالجفاف وتمتاز في نظري بقلة الأمطار والثلوج .. وتمتاز بالصحارى التي تشبه صحارى بلادنا .. انها تشبهها من بعض الوجوه ثم إن في داخل المدينة بعض الجبـــال الصغيرة تركت على حالها بصخورها وأشجارها الصغيرة التي ابقوها بوضعها الطبيعي الجميل .. انهم لم يحاولوا أن يغيروا من وضعها . ولا من نباتاتها شيئاً .. بل تركوها كما خلقها الله وهو أحسن الخالقين فاذا رآها المشاهد .. رأى فيها نموذجاً من الطبيعة الساحرة .. ورأى فيها صناعة الخالق بجانب صناعة المخلوق .. فتجتمع له أنواع من المتع .. ما كان ليشعر بها لو غير وضع هذه الجبال .. المتناثرة في أجزاء كثيرة من مدينة فينكس .

وهم لا شك قد أبقوها هكذا على طبيعتها .. لأنهم

يعرفون ما تضفى هذه الجبال على مدينتهم من روعة وجمال .. يجمع بين المناظر الطبيعية والمناظر الصناعية ..

والآن فلنتوقف عن السير في شوارع مدينة فينكس .. فقد عرفتها .. ولنستعد لجولة أخرى قد تكون أكثر متعة وأكثر جمالا .

ما أرخص الحياة عندهم وما أغلاها .

نعم انها رخيصة على مستوى المطامع .. وعلى مستوى اللصوص والعصابات والحزازات .. ولكنها غالية جدا بالنسبة للدولة .

لقد أعطت الحكومة الأمريكية للشعب حرية كاملة وفتحت لشعبها جميع مجالات العمل .. ومن هذه الحريات التي منحتها الدولة لشعبها حرية نقل السلاح ومجتمع واسع متلاطم الأمواج كهذا لابد أن يكون فيه فاشلون . لابد أن يكون فيه منحرفون لابد أن يكون فيه مجرمون ..

لابد أن يكون فيه أناس سئموا حياة الترف والنعيم فأرادوا أن يسلكوا طريقاً آخر هو طريق الصعلكة .. طريق الارهاب .. طريق السلب والنهب والمغامرة .. ومن هذه الأمور كلها تنشأ مشكلات السلب والنهب ..

والاعتداء بالقتل والضرب .. ولهذا قل أن يمضى يوم واحد دون أن تقرأ فيه أو تسمع عن أحداث القتل والسلب والنهب والاعتداء على الأموال وعلى الأنفس .. وعلى الأعراض أيضاً ـ لأن هذه العصابات واللصوص تعلم أنه ليس هناك عقوبات صارمة عن قتل من يقتل .. أو قطع يد من يسرق .. أو جلد أو رجم من يعتدي على الأعراض .. ان العقوبة هي السجن .. ثم التحقيق .. والتحقيق قد لا تتوفر فيهالاثباتات التي يلزم توفرها لاثبات الجريمة ثم تكون النتيجة أن يبقى المجرم في السجن عدة أيام .. يمر فيها بتجربة قد يكون يهواها ويريدها وهي تجربة السجن ثم يتولى المحامون مهمة الدفاع عن هذا السجين فالعصابات لديها الكثير من الامكانيات التي تستيطع بها أن تدافع عن أحد أفرادها إذا وقع في الفخ . ولديها وسائل كثيرة للضغط على بعض الجهات ليكون الحكم براءة للمجرم لعدم توفر بعض الدلائل المادية التي يتطلب الحكم ثبوتها ثبوتاً قاطعاً .

ولقد سمعت في هذه الأيام أن شخصاً قتل شخصاً آخر لا أدرى لماذا قتله .. هلْ لمشاجرة جرت بينهما .. أم لمطمع من مطامع الدنيا .. المهم أنه قتله .. ثم قتل جندياً تابعاً للدولة .. فقبض على هذا القاتل وسجن ومرت محاكمات طويلة عريضة .. ثم يظهـــر أن هذا القـــاتل

استيقظ ضميره وندم على ما فعل . . ورأى أن التكفير عن جريمته أن يعامل بمثل عمله . . وأن يقتل قصاصاً . وألح في طلب القتل وكان المفروض أن يسجن سجنا مؤبداً ولكنه بناءً على طلبه وعلى الحاحه نفذ فيه حكم الاعدام .

هذا ضرب من ضروب الجرائم التي تقع في أمريكا كثمن من أثمان الحرية التي منحوا اياها والتي يسيء بعض الأفراد استعمالها واستغلالها .

أما غلاء الحياة عندهم فانهم يسنون لها السنن ويضعون لها مختلف الأنظمة والقوانين . . ثم يجندون قوى كبيرة لمراقبة تطبيق هذه النظم والقوانين .

فالمرور مثلا هو الذى يحافظ على أرواح المواطنين من حوادث السير . . تراه في كل مكان وقد يندس في أمكنة خفية . . لا يشعر المخالف لانظمة السير الا بخروجه منها . . وايقاف المخالف بكل أدب واحترام ثم سؤاله عن مخالفته فان اعترف بها . . نفذت فيه عقوبتها من غرامة مالية أو خلافها . . وان أنكرها . . أثبتوها أمامه مسجلة تسجيلا كاملا بالتصوير . . ورقم السرعة وما إلى ذلك . . ثم ان رجال المرور ليس حكمهم قاطعاً يجب تنفيذه فاذا كان للمواطن أي اعتراض فان هناك محاكم خاصة تنظر في هذه المخالفات . وتثبت ما يثبت وتنفي

ما ترى عدم ثبوته . . وللمواطن الحق كل الحق في الدفاع عن نفسه واختيار المحامي الذي يرضاه ليتولى مهمة الدفاع . . ولكن بعد صدور حكم المحكمة لابد من التنفيذ.

هذا نوع من المحافظة على أرواح المواطنين . . والنوع الثانى هو فرق اطفاء الحرائق . . ان هذه الفرق منتشرة في معظم أجزاء المدينة ولها مركز رئيسي . . يكون على اتصال بجميع هذه المراكز . . والفرق . وإذا شب الحريق فما على المرء الا أن يضغط على رقم واحد فقط ثم يتصل بالمركز الرئيسي ويعطيه العنوان كاملا وفي خلال دقائق معدودات تكون فرق الاطفاء وفرق الأنقاذ . . وفرق الأسعاف قد تجمعت حول مكان الحريق . . فتكون مهمتهم الأولى انقاذ الأرواح .

ان رجال الاطفاء لديهم المام كامل بالاسعافات الأولية . . فتراهم يجسون النبض . . ويضمدون الجراح . . ويضعون في أفواه المصابين بعض الأجهزة لانقاذهم بالأكسوجين ان النفوس على المستوى الرسمي مقدسة . . ولها الأولوية على كل شيء . . فأنظر هذا التفاوت . . بين من يهدر الأرواح ومن يحافظ عليها بين من يحاول حياتها . . ومن يحاول قتلها . .

انه مجتمع المتناقضات . مجتمع يعج بالعجائب والغرائب.

وهذا طبعا لا يستغرب من شعب باغ أعلا مستوى فيما أعلم من الرقي والحضارة والتقدم وعرف من أمور هذه الحياة الدنيا ما لم يعلمه شعب قبله فيما نعلمه .

فاسمع واعجب . . واغضب أو اطرب . . انها الحياة بخيرها وشرورها . . بأفراحها واتراحها .

التفرقة العنصرية أو مشاكل السود .

كان الاسود في أمريكا سابقاً أقل مستوى من الحيوان . فالحيوان ينال شيئاً من الشفقة والعطف والعناية . . أما الأسود فكان يساق إلى العمل بالسوط ويعطى من الطعام أردأه وأخشنه . . وكان هؤلاء السود من سكان أفريقيا . . ولكن الأمريكان صاروا يأتون بهم في السفن كقطعان الماشية . . ثم يستخدمونهم في حرث الأرض وزراعتها واستخراج كنوزها من ثمار ومعادن وما إلى ذلك . .

وكثر هؤلاء السود في أمريكا . . وكثرت القسوة عليهم . . والمعاملة غير الانسانية وتحرك الضمير الأمريكي بزعامة زعيمه البطل أبراهام لينكولن . . ونادى هذا الزعيم بتحرير السود . . ونشأت مشاكل طويلة عريضة بسبب هذه الدعوة ونشأت فتن وانقسامات وحروب . . ولكن رأى الرئيس ابراهام تغلب على هذه المشكلة فتحرر العبيد من نير الرق . . ولكنهم انتقلوا منه إلى نير آخر

هو حرمانهم في كثير من مجالات الحياة من توظيف ودراسة وعمل وما إلى ذلك وكثرت مشكلاتهم بسبب هذا الحرمان . . وصاروا يسببون لحكام الولايات أنواعاً من القلق والارهاب . . واستمر السود يطالبون بالمساواة بالبيض وبذلوا جهودا جبارة في هذا السبيل . . وكان قد نشأ فيهم بعض العباقرة البارزون الذين تبنوا قضية أبناء جلدتهم . . وأخيراً انتصر السود ونالوا الآن حقوقهم كاملة . . بل انهم قد عوضوا عن حرمانهم في الماضي بأنواع من التسهيلات . . التي قد لا يحظى بمثلها البيض في بعض الأحيان . . وصار من المحتم على الإدارات الحكومية وعلى الشركات الأهلية . . وعلى إدارات الصحف والتليفزيون أن تجعل نسبة عشرة في المائة من موظفيها وعمالها من السود . . فهدأت الأمور . . وانطفأت نار تلك الفتن والقلاقل التي كان يثيرها السود ضد البيض . .

ولقد بلغ من عنف السود . . أن الأسود يضرب جندي الحكومة فيذهب به إلى المحاكمة فيدعي الأسود أن الجندي الأبيض هو الذي اعتدى عليه أولاً . . احتقاراً له لأنه أسود فيؤخذ بقول الأسود وتقام الحجة على الأبيض من كثرة ما قسا على السود . .

وأصبح الآن من حق الأسود . . أن يدخل في أي مكان عام . . بحيث لا يحق لصاحبه أن يمنع الأسود من

دخوله كما كان سابقاً . . ولو فعل ذلك لكان من حق الأسود أن يطلب بوليس النجدة ليساعده على نيل حقه كانسان مواطن لا يصح منعه من دخول أى مكان عام يريد الدخول فيه .

هذه حالة السود سابقاً وهذه حالتهم الآن . . أما الهنود الحمر فقد حدثتك عنهم سابقاً بأحاديث متفرقة . . ولكنها لم تكن متكاملة . .

والهنود الحمر .

وأعتقد أنه لا بأس من أن أكتب إليك بما يجد علي من معلومات عن الهنود الحمر . . الذين هم سكان البلاد الأصليون . . والذين لقوا من البيض ألواناً من الضغط والحرمان في بادىء الأمر ولكن هذه الأمور انتهت الآن وفتحت الأبواب للهنود الحمر في المدارس والأعمال على مختلف أنواعها وأشكالها . . وقد سألت أحد أبنائى هل يعرف أحدا من الهنود الحمر فقال ان لنا زملاء في المدرسة يدرسون معنا . . فطلبت من ابني أن يجمعني بأحدهم ففعل . . واجتمعت بهذا الهندي المتحضر وسألته هل يعرف شيئاً من لغة آبائه وأجداده . . فإذا هو لا يعرف منها إلا كلمات تعد على أصابع اليد الواحدة . . وقال لي هذا الهندي إن آبائي يعرفون لغة آبائهم وأجدادهم . .

ويحاولون أن يعلمونا اياها ولكنها لغة ميته لا نستفيد منها في مجال المجتمع .. ولا في مجالات الحياة .. ولذلك فان النشء الجديد من الهنود الحمر لا يعرف إلا القليل من لغة الآباء والأجداد .

وسألت هذا الهندي لماذا سموا بالهنود الحمر مع أن الذين رأيتهم من الهنود كلهم سمر .. فقال ان هذه التسمية ألصقها بنا البيض .. ولم نكن نعرفها من قبل .. وسألته عن عدد قبائل الهنود الحمر فقال انهم يزيدون على مائة قبيلة .. فقلت له وهل يتفاضلون في النسب فقال إنهم لا يتفاضلون في النسب ولكنهم يتفاضلون في الكثرة والشجاعة ..

فقلت وكيف يعيش أباؤكم وأجدادكم .. فقال ان من القبائل من يعيش على الصيد والقنص .. ومنهم من يعيش على تربية المواشي .. ومنهم من يعيش على الزراعة . ولكن زراعتهم كانت بسيطة وبدائية ومنهم من يعيش على السلب والنهب والغزو على مختلف القبائل .. فقلت له والآن هل يوجد أحد من القبائل لا يزال يعيش كما يعيش أباؤه وأجداده فقال أما الشباب فقد هجروا تلك الحياة .. ونزحوا إلى المدن .. واندمجوا في المجتمعات الجديدة .. ومارسوا جميع الأعمال التي يمارسها السكان

الجدد . . وقد بقي بقايا من الهنود الحمر كبار السن لايزالون يعيشون في بعض الأراضي التي تركتها لهم حكومات الولايات . . انهم يعيشون في هذه الأراضى معيشة بدائية بسيطة وهم راضون بها وقانعون بما توفره لهم من وسائل العيش الخشن البسيط . . وهم ينظرون إلى هذه المدنية التي غزت بلدهم نظرة احتقار وازدراء . . ولو استطاعوا منع شبابهم من الاندماج فيها لفعلوا . . ثم بدأ بعض الهنود الكبار في السن على مر الزمن في الهجرة مع أولادهم إلى المدن . . ولن يمضي وقت طويل حتى تتلاشى تلك البقايا الباقية في الصحارى . . وتنزح إلى المدن شيئاً فشيئاً هذا ما أتوقعه . . وانتهى حديث الهندي عند هذا الحد . .

عودة إلى مدينة فينكس .

والآن أيها القارىء الكريم فلنعد إلى مدينة فينكس عاصمة أرزونا لنتجول فيها جولة جديدة . نرى فيها شيئاً جديداً . فقد قال لي أولادى هل تريد أن ترى مدينة فينكس ليلا ومن أعلا مكان في المدينة تقريباً .

فقلت نعم إنني أريد . . فذهبوا بى من شارع إلى شارع . . ورأيت أثناء سيري كثيراً من الجسور المنصوبة على مفارق الطرق . . ورأيت أنهم في بعض الأحيان

لا يكتفون بجسر واحد . . بل انك ترى في بعض الأحيان جسرا فوق جسر . . وهناك بعض الطرق في المدينة . . يسمونها هاى وى أي الطرق المرتفعة وهذه الطرق لا تجد فيها تقاطعاً ولا اشارات ضوئية بل ان السيارة تسير فيها بلا توقف . . ومع ذلك فان السرعة في مثل هذه الشوارع محددة لا يمكن لأى شخص أن يتجاوزها . . والذي تحدثه نفسه بتجاوزها فيزيد في سرعة سيارته عن السرعة المحددة . لا يشعر إلا ببوليس المرور يطارده حتى يوقفه . . ويجري معه تحقيقاً دقيقاً . . ثم يفرض عليه عقوبة معروفة للجميع . . انهم يعاقبون المخالف لقوانين السير حتى ولو كانت سرعته في أوقات تكون الطرق فيها خالية .

ان النظام وتنفيذ النظام عندهم شيء مقدس يجب احترامه ويجب تنفيذه . . وهم لا يعتمدون على ضمائر المواطنين في تنفيذ الأنظمة . . بل ان هناك قوى هائلة وموزعة في أمكنة مختلفة للمراقبة الدقيقة . . المراقبة البشرية . . ومراقبة بعض الالات الصناعية التي يضعونها في بعض الأمكنة الخفية وبعض المرتفعات المشرفة على الطرق . . ومررنا في طريقنا إلى أعلا عمارة في المدينة بعمارة كبيرة لفت أحد أولادى نظري إليها . . انها عمارة كبيرة مؤلفة من خمسة طوابق أو ستة . .

وقال لي أحد أولادى إن هذه العمارة بناها أحد الأثرياء . . وخصصها للكبار في السن الذين يحبون الهدوء ويضايقهم الصخب . . وكثرة الحركة . . وقال ان هناك سناً معينة لا يسكن في هذه العمارة إلا من بلغها ولو حاول أحد الشباب أن يسكن في هذه العمارة لما استطاع مهما بذل من اغراءات ومهما بذل من نقود . . وهؤلاء الكبار في السن لا يسكنون مجانا . . بل يسكنون بأجور . . وانما يوفر لهم في هذا السكن الهدوء . . وعدم الازعاج بالأصوات المرتفعة . . والحركات المثيرة للأعصاب .

واستمر بنا السير . . واردت أن أذهب إلى حمام لقضاء الحاجة وسألت أحد أولادى هل يوجد حمام قريب . . فقال ان الحمامات العامة موجودة في كل مكان . . انهم يحتمون على كل صاحب مطعم أو مقهى . . أو محطة بنزين أو أى محل عام أن ينشىء حمامات عامة تكون مفتوحة للجميع في جميع ساعات الليل والنهار . .

وتوقف بى أولادى . . عند احدى محطات البنزين ودخلت الحمام فاذا هو نظيف جداً . . لا تشم فيه رائحة كريهة . . ولا ترى فيه أى شىء يؤذي بصرك أو يعكر مزاجك . . ووجدت فيه الصابون والماء الحار والبارد . . ومناديل الورق . . ورأيت أنهم يضعون في مدارج الماء

أقراصاً بيضاء . . تشبه الصابون وهي ليست صابونا . . وانما هي مواد مصنوعة لقتل الجراثيم . . والقضاء على الروائح الكريهة التي قد تترسب في أى مكان من تلك الحمامات . .

وسرنا في طريقنا إلى العمارة العالية . . انها مؤلفة من ستة وعشرين طابقاً وهي أعلا عمارة في المدينة تقريباً وفي أعلا هذه العمارة برج دوار يدور حول نفسه في كل ساعة دورة واحدة وقد جعل في هذا البرج مطعم تتوفر فيه جميع المأكولات والمشروبات . .

وصعدنا إلى هذا البرج . . وأخذنا مكاننا بين الجالسين وطلب كل منا ما يريد من مطعوم أو مشروب . . وصرنا نأكل ونشرب . . وتمد أبصارنا إلى مختلف أنحاء المدينة التي نراها تحتنا بشوارعها وميادينها . . وعماراتها وطرقها وسيارتها . . وأنوارها البديعة . . التي تختلف قوة وضعفاً ما بين شارع وآخر . . وقد حاولت أن أرى نهاية المدينة في أى اتجاه من الاتجاهات . . فلم أستطيع . . انها مدينة واسعة . . متباعدة الأطراف . كثيرة الأنوار والطرقات . . ورأينا السيارات في الشوارع تسير في نظام بديع . . انها تسير في كل شارع بسرعة معينة لا تعدوها . . ولذلك نراها تسير في اتســاق لا ترى فيه شذوذا . .

ولا ترى فيه ازعاجاً . . وقل أن تسمع صوت منبه السيارات . . انهم لا يستعملونه إلا في حالات نادرة جداً .

وانتهت ساعة كاملة . . ونحن نأكل ونشرب ونمتع أبصارنا بمختلف المناظر الخلابة . . التي نراها هنا وهناك وهبطنا من تلك العمارة . . بعد أن تمتعنا بأنواع من المتع المحبوبة . . وقد تركت تلك المناظر في نفسي أثراً لا ينسى .

مع ابنائى الطلاب السعوديين .

واجتمعت بكثير من أبنائي الطلاب السعوديين . . منهم من زارني ومنهم من زرته . . وقد سعدت بلقائهم . . كما سعدوا بلقائى . . ودارت بيني وبين كثير منهم أحاديث ومناقشات في شتى المواضيع . . منها ما هو عن بلادنا ومنها ما هو عن أوضاعهم وأحوالهم . . ودراساتهم . . وكانت الأحاديث بينهم وبيني طريفة وشيقة . . انني أسأل عن كل شيء أجهله . . وهم يجيبون على أسئلتي . . بأجوبة هي غاية في الفهم والدقة . . الأمر الذي جعلني ارفع رأسي فخرا واعتزازا بهذا المستوى الرفيع الذي بلغوه . . من الفهم والادراك لشئون الحياة . . ومن الفهم والادراك . . لما ابتعثوا من من أجله . . انهم كلم ولله الحمد سائرون على الطريق السوي الذي يصبو إليه كل محب لبلاده . . وأنا أقول

كلهم سائرون على الطريق السوى .. واعتبر ان هذه قاعدة .. ومن المعروف أن كل قاعدة لا تخلو من شواذ .. وهذه الشواذ تثبت القاعدة وتعززها .. وأنا أقول هذا من جانب الاحتياط .. وإلا فالذى عرفته والذي شاهدته كله يسير ضمن القاعدة .. وفي اطارها .

وسألني بعض أبنائى الطلاب عن بلادهم .. وعن أحوال بلادهم .. فاجبتهم بما سرهم واثلج صدورهم .. وقلت لهم فيما قلت إن بلادكم سائرة ان شاء الله بخطوات واسعة إلى كل ما تصبون إليه وتحبونه لبلادكم ومواطنيكم .. وسوف تعودون ان شاء الله قريباً إلى بلادكم فتساهمون بعلمكم وبخبرتكم وممارستكم لحياة الأمم الراقية .. في رفع شأن بلادكم .. والسير بها إلى المستوى الرفيع الذي يتطلع إليه كل مواطن مخلص لحكومته وبلاده ومواطنيه وقلت لهم فيما قلت ان بلادنا حديثة النهضة .. وكل شيء فيها يحتاج إلى بناء وتعمير .. والبناء والتعمير يتطلب دراسات وبعد الدراسات إنشاءات .. وبعد الإنشاءات صيانات .. وهذه الأمور تتطلب وقتا وتتطلب خبرة .. وتتطلب أيد عاملة وتطلب مادة وتموينا .. فأما المادة فهى متوفرة لدينا بفضل الله ثم بفضل ما منحنا الله اياه من ثروة ما كانت تخطر على بال أحد حتى في الأحلام والتخيلات .. وهذه المادة التي

تملكها هي الشيء الأساسي أو هي من الأسس الهامة في نهضة أى بلاد . . ومادامت لدينا الامكانيات المادية . . فان ما بعدها سوف يتحقق . . ولكن تحقيقه يحتاج إلى صبر والى كفاح واصرار على بلوغ الأهداف التي لابد أن حكومتنا السنية قد رسمت الطريق للوصول إليها . . مهما كلفها ذلك من بذل وعطاء . . وجهد وكفاح . . وقد علمت من أحد أبنائي الطلاب . . أن الطلاب السعوديين يكونون مجموعة ضخمة . . من الطلاب الوافدين إلى أمريكا . . وعلمت أنهم منتشرون في معظم الولايات الأمريكية . . يدرسون شتى أنواع العلوم والفنون منهم من هو على حساب اهله وذويه . . ثم بعد فترة قصيرة يضم إلى سلك الدارسين على حساب حكومتنا السنية . . والكثرة الكاثرة على حساب الحكومة ابتعثوا على حساب مختلف الوزارات والجهات الرسمية . . وهم يدرسون ويشاهدون مظاهر الحضارة الحديثةويعيشونها . . ويقتبسون الصالح منها . . فيضمونه إلى تراثهم العريق الذي ورثوه عن الاباء والأجداد . .

ولقد علمت يقينا أن حكومتنا السنية بهذا النهج الحكيم في ابتعاث الكثير من الطلاب السعوديين إلى أمريكا . . علمت أنها تريد أن تنقل بلادها . . إلى حياة جديدة . . تتمشى مع التطور الحـــديث الذي تسير

إليه الشعوب . . وتتسابق في مضمار الحياة المتطورة على الدوام . . والسائرة إلى التجديد والتقدم إلى الامام .

وقد شاركت أبنائي الطلاب في كثير من المناسبات. التي منها ما هو جاد . . ومنها ما هو دون الجد . . ولكنه يساعد على حياة الجد والعمل والكفاح .

ومن جملة ما شاهدته . . مباراة جرت بين فريق سعودي وفريق أمريكي . . وتابعت هذه المباراة بشوق ولهفة . . وكانت كل عواطفي ومشاعري مركزة على هذه المباراة . . انني متحمس لها أكثر من أى مشاهد آخر . . انني اريد أن ينتصر الفريق السعودي . . واستمرت المباراة وانا مركز جميع حواسي في سيرها وتطوراتها . . وجاءت الخاتمة . . وكانت النتيجة هي انتصار الفريق السعودي على الفريق الأمريكي . . فشعرت بأنني أكاد أطير من الفرح والابتهاج . . وهذه العواطف لم أظهرها أمام المشاهدين . . ولم أظهرها أمام اللاعبين انها مشاعر من الفرح والاعتزاز كتمتها في صدرى . . واحتفظت بها لنفسي فقط . . لأنه من العيب أن يشمت المـــرء بفريق مهزوم . . ومن العيب أن يتظاهـــر بالتعصب الفاضح لفريق دون فريق . . انها الأخـــلاق الرياضية . . التي يجب أن لا تسرف في الفرح عند الانتصار

.. كما يجب أن لا تسرف في التخاذل والانكسار عند الهزيمة .. فان كل منتصر سوف يهزم .. وكل مهزوم قد تتاح له فرص أخرى ينتصر فيها .

مع الأطباء في أمريكا .

كنت قد اجتمعت مع أحد الأصدقاء في جدة .. وأخبرته برحلتي والغرض من رحلتي وهو إجراء فحص عام على جسمي .. واجراء كشف خاص على عيني .. ونصحني هذا الصديق بأن تكون جميع العلاجات والفحوص في أمريكا .. وقال ان الطب في أمريكا قد بلغ الذروة في الدقة في الفحص والتشخيص .. وطرق العلاج .. واخذت نصيحة هذا الصديق قضية مسلمة .. ولهذا فعندما مرضت في لندن لم أحاول الا أن آخذ أدوية موقته تحفظ على صحتي حتى أصل إلى أمريكا .. ووصلت إلى أمريكا .. وطلبت من أولادى أن يختاروا لي طبيباً عاماً يجري على جسمي فحصاً عاماً من جميع الوجوه .. واختاروا لي فعلا طبيباً انسانياً مخلصاً في مهنته .. وأراد أن يحدد لي موعداً متأخراً فأخبرناه بأنني زائر وان ايام اقامتي محدودة .. فاستجاب هذا الطبيب لرغبتنا في سرعة الفحص .. وحدد لنا موعداً مبكراً وذهبنا إليه في الموعد المتفق عليه فوجدناه في انتظارنا وأخذ نموذجاً من الدم والبول والبراز .. وأخذ ضغط الدم .. ثم صور حركات

القلب أو على الأصح عمل تخطيطا للقلب . . وأخذ صوراً للصدر من جميع الجوانب ثم شكوت إليه ألماً في ركبتي . . فصورها أيضاً . . وبقيت تحت هذا الفحص العام . . أربع ساعات . . والدكتور والممرضة يعملون في جد وعناية منطقعة النظير . . وخرجت بعد اربع ساعات نتائج التصوير بالأشعة . . وكانت سارة وسليمة . . ما عدا الركبتين . . فقد أراني الدكتور فيهما بعض النتوءات التي تسبب آلاماً عندما أكثر السير على قدمي . . وسألته عن علاج لهما . . فقال إنه لا علاج إلا مسكنات فقط . . وهذه المسكنات هي أن آخذ حبات من الأسبرين لا تعدو في اليوم الواحد ثلاث حبات .

وبقيت نتائج الفحص عن الدم والبول والبراز واتصل بنا الدكتور بعد يومين وذكر أن النتائج سارة وسليمة . . ثم طلبنا من هذا الطبيب أن يختار لنا طبيباً ممتازاً للعيون . . فاختار لنا واحداً من الأطباء . . وأخذ التليفون ليحجز لنا موعداً لديه . . ولكنه لم يجده فأعطانا اسم هذا الطبيب

وقال اطلبوه وخذوا منه موعدا . . وقولوا له اننا مرسلون من قبل الطبيب الفلاني .

وفعلا اتصلنا بطبيب العيون . . فقالت لنا الممرضة إن أول فرصة لديه بعد شهرين . . فأخبرناها بان اقامتنا

في دنفر محدودة واننا مرسلون من قبل الدكتور الفلانى . فقالت الممرضة انتظروا قليلا على التليفون . . وانتظرنا ويظهر أنها اتصلت بالدكتور واخبرته بما قلنا لها . . فحدد لنا هذا الدكتور موعداً مبكراً بعد يومين من اتصالنا به . . وسررنا بهذه المعاملة الكريمة التي خصونا بها . . وذهبنا إلى طبيب العيون في الموعد المحدد . . وفحص عيني فحصا دقيقاً بالنظر وبالالات . . وبالأنوار الكشافة . . ووضع في عيني قطرات متعددة ليرى مدى تأثيرها على العينين . . وبعد ذلك أخبرنى بالاسباب التى تسبب لي عدم وضوح الروية ولا سيما في الليل . . وقال لي انك في حاجة إلى نظارتين احداهما للقراءة والأخرى للاستعمال في جميع ساعات الليل والنهار . . وقال لي ان سبب عدم وضوح الروية لديك ناشيء عن مواد مترسبة في حدقات العينين . . فإذا أردت أن يجرى لك عملية لنستبدل الحدقتين الطبيعيتين بحدقتين من البلاستيك . . فإن في الامكان أن أجري لك هذه العملية . . وقد أجريت هذه العملية نفسها لشخص في هذين اليومين ونجحت مائة في المائة . . وإذا أردت أن تبقي على عينيك كما هما . . فانه يمكن أن يبقى نظرك كما هو لمدة سنة ونصف أو سنتين . . ثم بعد ذلك سوف تضطر إلى إجراء هذه العملية فقلت له وما هو مدى نجاح هذه العملية فقال انه خمسة وتسعون

في المائة .. وقال ان هذه العملية لم تمارس في أمريكا إلا منذ خمس سنوات ولكنها كانت تعمل في بريطانيا منذ خمسة وعشرين عاما ..

فشكرت الدكتور على هذه المعلومات . . وطلبت منه أن تركب لي نظارة واحدة مزدوجة تصلح للقراءة وتصلح للنظر لدى السير في أي ساعة من ساعات الليل والنهار .

وأعطانى قطرة للعينين لاستعمالها لدى الحاجة إليها . . وودعت هذا الطبيب الماهر الذي استمر في فحص عيني ما يقرب من ساعتين . . أفتدرى ماذا أخذ هذا الطبيب بعد هذا الفحص الدقيق . . والوقت الثمين الذي قضاه في هذا الفحص .؟. إنه لم يأخذ الا ستة وثلاثين دولاراً فقط .

أما الطبيب العام الذي أجرى لي تلك الفحوص المتعددة واستغرق الوقت الذي قضاه في إجراء هذه الفحوص ما يقرب من أربع ساعات فانه لم يأخذ إلا مائه وأربعين دولارا . .

انه أجر ضئيل بالنسبة إلى ما بذلوه من جهد ووقت . . هذا حديثي عن الأطباء في أمريكا وأنا أعلم أن الحديث عن النفس ممل وثقيل . . ولكن هذا الحديث فيه ما هو

أكثر من الحديث عن النفس . . فتحمل مني أيها القارىء الكريم في بعض ما يثقل عليك . . في مقابل ما أقصه عليك من أمور قد تخف على نفسك وقد تجد فيها بعض ما هو جديد ومفيد ان شاء الله . .



إلى ولاية تكساس

إلى هيـــوستن .

وحان موعد الرحيل إلى تكساس . . وحجزت مركبا في إحدى طائرات (تى . دبليو . ايه) وفي الموعد المحدد تحركت الطائرة . . وفي الموعد المحدد وصلنا إلى مطار هيوستن . . إحدى المدن الكبرى في ولاية تكساس . . وهي ليست عاصمة الولاية . . وانما عاصمتها تسمى أستن . . وهي أصغر حجماً . . وأقل عمراً من هيوستن . . ان هناك ولايات كثيرة لا يكون مقر حكومتها في أكبر المدن . . وانما يختارون لمقر الحكومة مدنا صغيرة هادئة . . وقد تكون هناك اعتبارات أخرى تبرر هذا الاختيار .

واستمر طيراننا ساعتين . . وصلنا بعدها إلى مطار هيوستن . . وكنت قد اتصلت قبل اقلاع الطائرة بنصف ساعة بصديقى الأستاذ عبد العزيز المنقور المستشار الثقافي في أمريكا . . وطلبت منه أن يحجز لي غرفة في احد الأوتيلات القريبة من مكتبهم . . ليسهل علي زيارتهم في المكتب سعياً على الأقدام . . فرحب بقدومي إلى مدينتهم . . ووعد باختيار أوتيل قريب من المكتب . . وقال لي أنه سوف يرسل من يستقبلني في المطار . .

فشكرته .. وعندما وصلت إلى المطار .. تطلعت إلى المندوب .. فلم أجد في استقبالي احدا .. وقلت لعل المندوب لم يعرفني .. أو لعله خالفني في احدى طرقات المطار .. ولكن تساؤلاتى .. توقفت بعد لحظات .. حيث رأيت هذا الصديق يستقبلني بنفسه .. ويأخذنى معه إلى الأوتيل الذى اختاره لسكناى .. وهو أوتيل يسمى هولي دي ان .. وكان اختياره موفقاً .. فالأوتيل نظيف .. ولطيف .. وفيه جميع الخدمات التي يحتاجها الساكن .. بحيث لا يحتاج إلى شيء من خارجه ..

وقد أنست بالأستاذ عبد العزيز المنقور .. لأنه كانت تربطني به علاقة صداقة وود منذ ما يقرب من ثلاثين سنة .. انها فرصة لنا جميعاً لاستعادة ذكريات الأيام الخوالي .

ولي قصة غريبة مع الأستاذ عبد العزيز .. لا أرى مانعاً من ذكرها .. وهي أنني منذ ستة عشر سنة كنت اتجول في بعض مدن أوربا .. ووصلت إلى إحدى الدول الاسكندنافية وهي الدانمرك .. وكان الجو فيها باردا جداً فأصبت ببرد في المعدة .. نشأ عنه أمور لا أريد ذكرها .. وكنت ذات يوم أمشي في احد شوارع العاصمة كوبنهاجن .. وأتتبع مساقط الشمس أملا في أن تعطيني شيئاً من الدفء الذي يزيل البرودة من معدتى .. والتفت

ذات مرة لاتطلع إلى الغادين والرائحين . . فرأيت أخي عبد العزيز بقامته المديدة التي أخذت من الطول أكثر مما أخذت من العرض . . فاستغرب من وجودى في الدانمرك . . واستغربت من وجوده هو أيضاً . . وسألني قائلا ما الذى جاء بك إلى هنا في هذا الفصل البارد . . فقلت انني سائح . .

وسألته كما سألني .. وما الذى جاء به إلى هذه البلاد .. فقال انني في طريقي إلى أمريكا . . لأقوم بمهام وظيفتي الجديدة . . فقلت وما هي .؟ فقال انها القيام ببعض مهام الاشراف على شئون طلابنا السعوديين في أمريكا . . فدعوت له بالتوفيق في مهمته . . ثم شكوت إليه ما أعانى من آثار البرد في معدتى . . فقال انني أعرف دواء ممتازاً لمثل هذه الحالة . . واخذنى إلى أقرب صيدلية فاشترينا الدواء . . وتناولت منه جرعة في الحال . . ومنذ أن لمست معدتى هذه الجرعة . . شعرت بتحسن كبير . . وبعد فترة تناولت الجرعة الثانية . . فزال هذا البرد وزالت آثاره بحمد الله وتوفيقه ثم افترقنا هو توجه إلى أمريكا . . وأنا واصلت جولتي في أوربا . . فذهبت إلى عاصمة السويد . استكهلم . . وكنت بعد ذلك كلما شكوت من برد في معدتى تناولت من ذلك الدواء الذي وصفه لي صديقي عبد العزيز . . ثم تذكرت تلك الصدفة الغريبة التي جمعتني

به في تلك البلاد النائية التي لا يرى فيها أحد أحدا الا بميعاد .. ولكنها الصدف وغرائبها .. وكم من صدفة خير من ميعاد .. كما يقولون في الأمثال .

وبعد أن استقر بى المقام في الفندق .. ذهبت إلى مكتب المستشار الثقافي مشيا على الأقدام .. انه قريب من الفندق .. لقد وصلت إليه في خلال ربع ساعة .. والتقيت بعبد العزيز مرة ثانية في مكتبه .. فرأيت مكتباً منظما أحسن تنظيم .. انه يشغل طابقاً كاملا في احدى العمارات النظيفة الجميلة .. وهـذا المكتب يعج بالموظفين والغادين والرائحين .. وجلست عنده في مكتبه ورأيت تلك الموجات المتعاقبة من الموظفين الذين يدخلون عليه ويخرجون .. وأيديهم ملأى بالأوراق والمعاملات المتعلقة بطلابنا في أمريكا والذين يبلغ عددهم ما يقرب من الستة الاف طالب .. وهم موزعون في معظم ولايات أمريكا .. وفي شتى معاهدها وكلياتها .. ومنابع العلم فيها .

وبقيت فترة قصيرة في مكتب الملحق .. وكان رنين جرس التليفون لا يتوقف .. فالطلاب من مختلف الولايات يتصلون بالملحق .. منهم من يشكو عدم وصول راتبه .. ومنهم من يريد الانتقال من ولاية إلى ولاية أخرى .. ومنهم من لديه مشكلة لا يستطيع حلها الا الملحق وهكذا

يرى الجالس عند الأستاذ المنقور . . أن جرس التليفون لا يكاد يتوقف بينه وبين أبنائه الطلاب .

انهم يفزعون اليه في كل أمر يطرأ عليهم في مجال دراستهم وهو يهتم بمشاكلهم الخاصة . . ومشاكلهم العامة . . ويعالج بخبرته الطويلة . . كل مشكلة بالعلاج الناجع بتوفيق الله .

في مكتب المستشار الثقافي .

وأخذ بيدى الأستاذ عبد العزيز وذهبنا في جولة على المكاتب والموظفين . . ان في هذا الطابق ما يقرب من خمسة واربعين غرفة كلها ملأى بالموظفين . . وكل مكتب مختص بجانب من شئون الطلاب . . انهم يبلغون ما يقرب من ستة آلاف طالب لكل طالب عنوان وله كليه أومعهد وكل طالب قد يتعرض للمرض فيحتاج إلى علاج وكل طالب قد تعرض له مشكلة . . وقد يضطر للانتقال من معهد إلى معهد . . أو من ولاية إلى ولاية أخرى . . وكل هذه الأمور يجب أن تكون معروفة ومسجلة لدى المستشار . . انها شئون كثيرة ومتعددة الأشكال والألوان وهي تحدث يومياً . . وبشكل مستمر . . ووصلنا في تجوالنا إلى مكتب خاص بالالكترونيات ورأيت الكمبيوتر . . أو العقل الالكترونى . . انه عجيب غريب . . انه يختزن

جميع المعلومات التي تلقى اليه بعد ترتيبها وتبويبها . .
يختزنها في داخله ويحتفظ بها فلا يختلط بعضها ببعض . .
فإذا اردت معلومات عن أى طالب من هؤلاء الطلاب . .
فما عليك إلا ان تضغط على زر خاص . . فيعطيك
جميع المعلومات التي تريد في لحظات معدودات . . ثم
يعطيكها ان شئت مسموعة . . أو شئتها مكتوبة . . انه
يعطيك صورة من المعلومات . . أما الأصل فهو محفوظ
بداخله . . يبقى لترجع اليه كلما أردت ذلك .

ان العقل الالكترونى عجيبة من عجائب هذا العصر.
وعنصر هام للمساعدة في جمع المعلومات والاحتفاظ
بها . . ثم الرجوع إليها في أى وقت من الأوقات . . لقد
أصبح هذا العقل الالكترونى ضرورة من ضرورات هذا
العصر . . انه يوفر الوقت . . ويوفر الجهد . . ويوفر
الكثير من الموظفين . . ويمنع الكثير من فوضى العمل . .
وفوضى المعلومات وتضاربها . .

ويا حبذا لو أكثرنا من استعمال هذه الآلات الالكترونية
في جميع الوزارات والمصالح . . ويا حبذا لو أكثر
تجارنا ومؤسساتنا استعمال هذه العقول . . انها سوف
تقدم لهم خدمات جلى . . وسوف توفر لهم . . أضعاف
ما يدفعونه ثمناً لها .

ان هناك بعض المصالح والادارات هي ضرورية بالنسبة إليها مثل الخطوط السعودية للطيران . . حتى لا تعتمد على معلومات الموظفين الصغار الذين يتخبطون في كثير من الأوقات في حالات الحجز . . وفي حالات كثيرة أخرى . . انها ضرورة ملحة للجوازات ولادارات الاحصاء . . ولديوان الموظفين ولإدارة معاشات التقاعد .

وعلى العموم فهذه الآلات الدقيقة السريعة . . ضرورية لشتى الادارات الحكومية . . ولكثير من المؤسسات الوطنية الكبيرة . .

وأراني أيها القارىء الكريم أطلت الحديث عن هذه الآلات الالكترونية وهي في نظري تستحق هذه الاطالة . . بل تستحق حديثاً أطول لبيان منافعها وفوائدها التي تفوق الحصر . . وأنا لا أستطيع أن أتحدث عن هذه الآلات حديث خبير . . فأنا أجهل هذه الآلات . . ولا أعرف دقائقها . . ولا أعرف جل فوائدها . . وانما اتحدث عنها حديثاً عابراً . . لألفت النظر اليها . . وأوجه اليها اهتمام رجال حكومتنا السنية . . ورجـــال الأعمال فيها . . ولعل في حديثي هذا ما يدفع المخلصين من أبناء بلادى إلى تبني هذا الموضوع . . وإلى ادخاله في حياتنا الرسمية . وحياتنا الاقتصادية وحياة مؤسساتنا الشعبية . . ولا سيما الكبيرة منها . .

والآن فلنخرج من هذا الحديث إلى موضوع آخر قد يكون أكثر مساساً بنفوس المواطنين وهو الحديث عن طلابنا في أمريكا . .

فقد كنت تحدثت عن طلابنا في أمريكا في صفحة سابقة . . وهو حديث استنتجته من مشاهداتى الخاطفة . . ولكنني هذه المرة سوف اتحدث إليك بحديث أدلى به إلى مستشارنا الثقافي . . وهو الخبير بشئون الطلاب المطلع على الخبايا والزوايا من مجريات حياتهم الخاصة . . وحياتهم الدراسية فقد قال لي المستشار الثقافي ان طلابنا في أمريكا على كثرتهم . . من أحسن الطلاب الوافدين إلى أمريكا من جميع الجنسيات . . صحيح أن بعضهم قد يتعثر في مبدأ حياته الدراسية . . وأقول بعضهم أو القلة منهم . . ولكنهم يعودون إلى حياة الجد والمثابرة بعد فترة قصيرة . . ثم يحاولون أن يعوضوا ما كان فاتهم في أوقات التعثر . . ويعودون إلى الجد والكفاح والمثابرة . . فيصلون في أسرع وقت إلى نتائج طيبة ومشرفة وإذا حاولنا أن نقارن بينهم وبين الطلاب الاخرين من مختلف الدول والشعوب . . فاننا سوف نجد الفرق شاسعاً بين طلابنا وبين الطلاب الآخرين . . حيث نرى أن كثيراً من الطـلاب الآخرين يفشلون في كثير من أدوار حياتهم الدراسية . . وقد يتعثرون في دراستهم ثم يطول تعثرهم . . بينما الطالب السعودى

إذا تعثر عاد إلى نفسه والى التفكير السليم ثم اتجه إلى حياة الجد والاجتهاد حتى يعوض ما كان قد فاته في أيامه الأولى .

لقد سررت بهذه الحقائق أعظم السرور .. لأنها أولا قد اتفقت مع نظرتي السابقة .. ولأنها ثانياً تبشر بمستقبل مشرق لبلادنا عندما يعود اليها ابناؤها وفلذات أكبادها .. فيشاركون في بنائها .. ويشاركون في تطوير مرافقها .. ويشاركون في رسم الخطط السليمة للوصول إلى أهداف تخدم البلاد .. وتوصلها إلى ما تطمح إليه من عز وسؤدد وفخار .

جولة في مدينة هيوستن .

والآن سنذهب أيها القارىء الكريم إلى جولة في مدينة هيوستن إحدى المدن الكبار في ولاية تكساس .. ان مدينة هيوستن لا تختلف عن المدن الأخرى الأمريكية التي رأيتها .. من حيث الشوارع والميادين والجسور المعلقة .. والعمران .. انها صورة طبق الأصل لما كنت رأيته .. أما ما لم أره فانني لا أحكم عليه .. ولا اتحدث عنه ..

وهناك فوارق بسيطة جداً بين مدينة وأخرى مما كنت رأيته قد لا يشعر بها الزائر لتلك المدن ..

وهناك أمور متفرقة أحب أن أحدثك عنها قبل أن نذهب إلى هذه الجولة . . وهي أن النظام ـ كما كنت قلت لك أيها القارىء في صفحات سابقة ـ شيء مقدس لا تدخل فيه العواطف ولا العنصريات . . ولا التحزبات . . ومما يساعد الأمريكان على سلوك هذا المسلك أنهم من أمم شتى بحيث لا يعرف بعضهم بعضاً . . في الغالب الأعم . . ثم إنهم يربون أطفالهم منذ نعومة أظفارهم على احترام النظام وتنفيذه حتى على أقرب الأقربين . .

وشيء ثان وهو أن جو تكساس جو دافىء مشمس في أغلب الأحيان . . اننا في تكساس كأننا نعيش في فصل الربيع . . أو في أوائل الصيف . . بينما كنا في دنفر ولاية كلورادو التي تبعد عن تكساس ساعتين على الطائرة كنا نعيش بين الثلوج . . وفي جو شتوي قارس في معظم الأحيان . .

وشيء ثالث وهو أن ولاية تكساس تعتبر من أغنى الولايات الأمريكية . . لأنها بلاد زراعية . . ولأنها بلاد ذات ثروة حيوانية . . ولأنها من أغنى ولايات أمريكا بمخازن البترول الذى يستخرج من البر والبحر . .

ان معظم شركات النفط موجودة في هيوستن . . حتى شركة أرامكو التي كان مكتبها الرئيسي في نيويورك .

نقلت مركزها هذا إلى هيوستن منذ سنة تقريباً . .

والآن فلنذهب معاً للتجول في هذه المدينة . . ان جوها جاف صحراوي وهي نادراً ما تنزل عليها الثلوج . . كما أنها تمتد في أرض لا جبال فيها ولا وهاد . . بل ان أرضها منبسطة . . يمتد فيها النظر إلى جميع الآفاق المحيطة بها . . ومررنا في تجوالنا بالمدينة . . بأعظم مستشفيات العالم التي تعالج شتى الأمراض وفيها أمهر الأطباء لمختلف الأمراض التي قد يصاب بها الانسان . .

وهذه المستشفيات . . وهؤلاء الأطباء لهم شهرة عالمية واسعة . . بحيث يقصدها المرضى لا من الولايات المتحدة الأمريكية فحسب . . ولكن من جميع أنحاء العالم . . وممن قصدها في أيامه الأخيرة المطرب المعروف فريد الأطرش . حيث كان يشكو من ضيق في صمامات القلب . . وكان له طبيب خاص قد سبق أن فحصه وأعطاه حبوبا ليستعملها حسب ارشادات طبيبه وهذا الدكتور هو دكتور دبيكى المختص بأمراض القلب . . وزراعة القلب وطلب فريد الأطرش من طبيبه هذا أن يجري له عملية يستبدل فيها صمامات القلب بأنابيب من البلاستيك . . ولكن الدكتور دبيكى لم يوافق على إجراء هذه العملية . . لأنه لم يكن واثقاً من نجاح هذه العملية . . ولأن صحة فريد لم تكن

تتحمل مثل هذه العملية . . وننصحه الدكتور بالاستمرار على تناول الدواء الأول الذى . . يستعمله سابقاً . . فأصيب فريد بنوع من اليأس . . وكأنه شعر من كلام طبيبه بدنو اجله . . فرجع إلى بيروت . . وشعور اليأس يسيطر على نفسه . . وتوفي بعد رجوعه من هيوستن بشهر واحد فقط.

وتجولنا في حي المستشفيات . . وحي الأطباء والعيادات . . ان هذه المستشفيات تحتل رقعة كبيرة من الأرض . . وتتخللها الشوارع والميادين ومواقف السيارات الخاصة بالأطباء والموظفين . . ومواقف السيارات الخاصة بالزائرين وهذه المستشفيات قد ربط بعضها ببعض بطرق داخل الأرض بحيث تخرج من مستشفى وتذهب إلى آخر بواسطة هذه الطرق النظيفة المضاءة . . التي تلمع ارضيتها . . وتلمع حيطانها من شدة نظافتها . . وقد مررنا بعدة مستشفيات منها مستشفى الولادة . . ومنها مستشفى الأطفال . . ومنها مستشفى الصدر . . ومنها مستشفى القلب . . ومنها ومنها إلى آخر ما قد يخطر على بالك . . أو ما لا يخطر على بالك من المستشفيات التي قد تخصص كل مستشفى منها لنوع من الأمراض كفانا الله واياك شرها انه سميع مجيب . .

وقد دخلنا أحد هذه المستشفيات . . وتجولنا في

طرقاته وبين غرفه .. انه مستشفى القلب .. علاجه وزراعته .. وهذا المستشفى يديره ويشرف عليه طبيب عربي من أصل لبناني .. انه الطبيب دبيكى .. وهذا الطبيب يعتبر أشهر طبيب في أمراض القلب .. وزراعته .. وقد بلغ هذا الطبيب من العمر سبعين سنة .. ولكنه لا يزال قوياً .. شاب الروح .. شاب البدن .. وقد أخبرنى دليلى وهو شاب أردنى الجنسية فلسطيني الأصل اسمه سامي عبد الرحمن أخبرنى هذا الدليل أن زوجة الدكتور دبيكى توفيت منذ زمن قريب .. وسافر هذا الطبيب إلى ألمانيا لالقاء بعض المحاضرات .. ولإجراء بعض العمليات هناك .. وقد تعرف في أثناء وجوده في ألمانيا بفتاة ألمانية في سن العشرين فتزوج بها .. ثم عاد بها معه إلى أمريكا ..

حيث تعيش معه .. أو هو يعيش معها في هيوستن بتكساس .. في وئام وصفاء .. هو موضع العجب من فتاة في سن العشرين وطبيب في سن السبعين .. ومع ذلك فقد رضي كل منهما بالعيش معاً ..

ولا تعجب أيها القارىء .. ان الحب المتبادل يمحو الفوارق .. ويذيب كل ما يمكن أن يعكر صفو الحياة المشتركة .

في متحف الصواريخ ومحطة إطلاقها .

لا تنس أيها القارىء الكريم أننا لازلنا نواصل جولتنا في مدينة هيوستن إحدى المدن الكبار في تكساس ومركز التجارة والصناعة . . ومركز شركات البترول . . وأيضاً مركز الطب والأطباء . .

ومررنا في تجوالنا بعمارة شاهقة انها تتألف من خمسين طابقاً ولفت دليلي نظري إليها . . وقال انها ملك لإحدى شركات البترول . . انها شركة اكسن وقال ان هذه العمارة تحتوى على آلا ت الكترونية . . وكمبيوترات تتحكم في جميع أنابيب البترول التابعة لهذه الشركة . . لا في أمريكا فقط . . وإنما في جميع أنحاء العالم . . وتعجبت مما سمعت . . فقال لا تعجب . . فانك سوف ترى في محطة اطلاق الصواريخ ما هو اعجب وأغرب . . واستمر دليلي في الحديث فقال . . انهم في هذه البناية يستطيعون معرفة كمية الانتاج في كل بئر . . ويتحكمون من هذه البناية في جميع شئون البترول التابع لهم في أى بقعة من بقاع الأرض من مضاعفة الانتاج أو تقليله . . أو ايقافه . . وحدثني في هذا المجـــال بما هو أغرب من الخيال . . ثم واصلنا سيرنا إلى متحف الصواريخ . . وإلى محطة اطلاق الصواريخ .

ورأينا العجب العجاب .. رأينا مختلف الصواريخ . . وكيف طورت . . ورأينا رواد الفضاء . . وكيف يتدربون على مهماتهم الصعبة . . ورأينا عربة أبولو ١٧ التي بقيت على سطح القمر ثلاثة عشر يوما . . ورأينا الأحجار التي جاءوا بها من القمر . . وقد وضعت داخل إطار سميك من الزجاج . . وهي بنية اللون . . ترى فيها بعض اللمعان . . ورأينا البسة الرواد . . ورأينا نماذج من الحبوب الغنية المركزة التي كانوا يتناولونها أثناء قيامهم بتلك الرحلات التي قد تطول وقد تقصر . . لأنهم لا يمكن أن يبولوا أو يتغوطوا . . لأنهم مثبتون على كراسي في تلك العربات. لا يتحركون منها إلا في حالات نادرة . . وإذا تحركوا منها . . فأن البستهم تمنعهم من كثير من الأمور التي نمارسها فوق الأرض ولذلك فان هؤلاء الرواد تفرغ بطونهم من جميع الفضلات والمياه التي فيها . . ويخضعون لتغذية خاصة لا تفرز شيئاً من الفضلات ورأينا نموذجاً للعربة الروسية . . حين التحمت في الجو بالعربة الأمريكية . . ورأينا كيف التحمت هاتان العربتان . . وكيف التقى روادهما . .

ثم رأينا ما هو أعجب من ذلك وأغرب وهو الصالة الكبيرة التي تحتوي على آلات كثيرة وعجيبة من الآلات الالكترونية والكمبيوترات التي يطلقون بواسطتها الصواريخ

والعربات التي تغزو الفضاء .. ثم يتحكمون في هذه الصواريخ والعربات ويسيرونها ويصلحونها إذا حدث فيها خراب أو خلل وهي في الجو .. تبعد عنهم آلاف الأميال .. انه أعجب من العجب .. انهم دائماً على اتصال بهؤلاء الرواد يعرفون أحاسيسهم ومشاعرهم .. ويتحكمون في إطلاق هذه الصواريخ وصعودها وهبوطها وسرعتها وتريثها .. ويعرفون كل ما يطرأ على روادها من دقيق أو جليل ..

والغريب في الأمر أن هذه الصواريخ تصنع في فلوريدا في محطة كيب كندي .. وهي تبعد عن هيوستن بأربع ساعات بالطائرة .

انها تهيأ للانطلاق إلى الجو من هناك .. ولكن اطلاقها إلى الجو .. والتحكم فيها إذا صعدت .. وانزالها عندما تنتهي مهمتها .. كل ذلك يكون من هيوستن .. بواسطة تلك الآلات والأزارير التي تحتويها تلك الصالة الكبيرة التي وصفتها لك آنفا .. والتي يديرها ويشرف عليها نخبة ممتازة من العلماء بشئون الفضاء .. والمهندسين الماهرين في شئون الصواريخ وعربات الفضاء .. إنها أمور تفوق تصور الانسان .. توصلوا اليها بعد تجارب طويلة ومريرة ولا يزالون يواصلون جهودهم في هذه المجالات

.. انهم كلما وصلوا إلى درجة من العلم انتقلوا منها إلى درجة ثانية .. ولا يعلم إلا الله ما سوف يتوصلون اليه في المستقبل القريب .. أو المستقبل البعيد ..

ان قدرة الانسان من قدرة الله .. وهذه الأمور التي استخدموها في هذه المجالات من صنع الله .. ان الانسان لم يوجدها .. بل أوجدها خالق هذا الكون .. وليس للانسان من جهد إلا أنه جمع هذه مع تلك .. وركب تلك مع هذه فتكون من هذا الجمع وذلك التركيب ما نرى آثاره في حياتنا الحديثة من كهرباء .. واتصالات سلكية ولاسلكية .. وما إلى هذه الأمور التي توصلوا اليها بعد كفاح مرير وتجارب مريرة .. يخفق أكثرها .. وينجح أقلها ولكن ذلك الأقل من النجاح الذي يتوصلون اليه يقودهم إلى نجاح آخر وهكذا وهكذا من الأمور التي لن تقف عند حد .. ولن يصل الانسان إلى هدف الا قاده إلى هدف آخر .

وقد رأينا العربة التي مشت على سطح القمر .. انها تشبه سيارة الجيب .. ولكنها أبسط منها في التركيب . وقد صنعت من مواد كيماوية خاصة لتتحمل تلك الأجواء التي سوف تصعد اليها ..

ورأينا الغرفة المحاطة بالزجاج .. والتي يحتجز فيها

رواد الفضاء بعد هبوطهم إلى الأرض لمدة أسبوع .. ويراهم أهلوهم من وراء ذلك الزجاج .. ولا يختلطون بهم خوفاً من أن يكون الرواد نقلوا من القمر بعض الاشعاعات التي تؤثر على صحة مواطنيهم ..

لقد مكثنا ما يقرب من ثلاث ساعات نتجول في هذا المتحف بحيث نخرج من بناية لندخل في أخرى .. انها مبان كثيرة .. أو ان شئت فسمها مدينة صغيرة فيها إنشاءات ومبان كثيرة .. منها ما هو خاص بالعلماء والمهندسين .. ومنها ما هو خاص برواد الفضاء .. ومنها ما هو خاص بموظفى الإدارة ورجال الإنشاءات والتخطيط ..

ان العلماء لا يزالون يعملون ويطورون ويخططون لمستقبل هذه الصواريخ وعربات الفضاء .

ولقد رأينا نموذجاً للصاروخ الذي يحمل فوق ظهره صاروخاً آخر ..

وهو نموذج لما يصمم الآن .. والذي سوف يطلق إلى الفضاء برواده في عام ١٩٨٠ م .. وسوف ينفصل أحد هذين الصاروخين فيتجه إلى القمر .. أما الآخر فانه

سوف يذهب إلى المريخ . . هكذا قال لي الدليل . . حسب ما قرأه من معلومات قد كتبت تحت هذين الصاروخين .

بداية فكرة الصواريخ .

وقد تسأل أيها القارىء الكريم عن بداية التفكير في صناعة الصواريخ وغزو الفضاء . . وعن أول من فكر فيها . . ومتى فكر فيها . ؟

فأقول لك انني رأيت لوحة كبيرة معلقة في هذا المتحف . . وقد كتبت على هذه اللوحة الوثيقة الأولى التي بدأ بها الانطلاق إلى صناعة الصواريخ . . لقد بدأت الفكرة في عام ١٩٠٨ م وأول من فكر فيها أخوان من سكان إحدى الولايات الأمريكية . . وعرض الأخوان فكرتهما على بعض العلماء والمهندسين . . فاقتنعوا بها . . ورأوا أن تحقيقها ممكن . .

فكتبوا تلك الوثيقة وقدم كل منهم ما يستطيعه من مال . . وعرضوا الفكرة على قيادة الجيش الأمريكي فاقتنعوا بها وساهموا في هذا المجال . .

وبدأ العمل في صناعة الصواريخ وعربات الفضاء منذ ما يقرب من سبعين عاما . . وساروا في هذا الطريق بصبر وعزم وجلد . . لقد رسموا الهدف . . ثم رسموا

الطريق للوصول إليه . . فحققوا في هذا المجال ما لم يكن يخطر على بال أحد من البشر . .

وخرجنا من مدينة الصواريخ والعربات الفضائية . . وذهبنا إلى قلب مدينة هيوستن . . وصعدنا إلى أعلا عمارة في قلب المدينة وهي تتألف من أكثر من خمسين طابقاً . . وشاهدنا المدينة بشوارعها وميادينها وعمرانها . .

انه لا جبال في هيوستن ولا وهاد . . انها تقع في أرض منبسطة . . لا شيء يحجب النظر فيها إلا بعض تلك البنايات العالية التي اقيمت في بعض الأحياء . . والتي يتجمع أكثرها في قلب المدينة فقط. أما أكثر العمران فهو لا يتجاوز الطابق أو الطابقين . . ومعظم هذه البيوت الصغيرة . . من البيوت المصنوعة من الأخشاب . . والتي يمكن نقلها من مكان إلى آخر . . انها في مظهرها في غاية البساطة . . وغاية التواضع . . ولكنها تحوي في داخلها كل عوامل الراحة من أثاث وأدوات وتكييف في الصيف. وتدفئة في الشتاء والغريب في الأمر أنهم يعتمدون في حياتهم اليومية على الكهرباء . . ان مطابخهم على الكهرباء . . وجميع آلاتهم تسير بالكهرباء . . انهم لا يستعملون الغاز إلا نادراً حسب علمى . . فلا أدرى ماذا يصنعون بالغاز سابقاً . . ولكنهم بعد ازمة الطاقة صاروا لا يحرقون

منه شيئاً . . بل يصنعونه . . ويستعملونه في مجالات أخرى لا أدرى ما هى . .

ثم واصلنا جولتنا في انحاء المدينة . . وفي ضواحيها . . ورأينا مصفاة البترول العظيمة في هيوستن . . ورأينا بواخر البترول الخام الذي يستوردونه من الخارج ورأينا إحدى ناقلات البترول التي انفجرت واحترقت منذ أيام قلائل .

لماذا انفجرت . . لماذا احترقت . . ان هذه الأمور لا أعرف عنها شيئاً . .

السياسة البترولية .

وبمناسبة ذكر البترول فانني أشير هنا إلى ان معظم استهلاك أمريكا من البترول هو مما يستوردونه من خارج بلادهم . . أما بترول بلادهم . . فهم يعرفون مخازنه في الأرض . . ويهيئون جميع وسائل انتاجه . . ولكنهم لاينتجونه . . ولا يستعملونه انهم يبقونه في مخازنه الطبيعية المصونة الامينة . . انهم يبقونه كرصيد لهم في المستقبل .. لأنهم يعرفون ان كل شيء يؤخذ منه مصيره النفاد .. ولذلك يحسبون حساب المستقبل إلى عشرات السنين . . ويرون ان من الحكمة أن يكونوا هم آخر من تنضب من عنده ابار البترول . . ويؤملون انهم في وقت قريب

او بعيد يتوصلون إلى معرفة طاقة تنوب مناب البترول . . انهم الآن يحاولون . . ويجرون مختلف الدراسات للبحث عن بديل للبترول . . ولكنهم حتى الآن لم يتوصلوا إلى ما يبحثون عنه . .

ان الطاقة الذرية هي الشيء الذي يعرفونه الآن . . ولكن الطاقة الذرية تكلف غالياً في انتاجها . . وطريقة استعمالها . . انهم يريدون ان يتوصلوا إلى بديل للبترول . ولكن بنفس تكاليف البترول . . او بشيء من الزيادة قليل . . والبحث جار . . والتجارب مستمرة . . ولكن هل يتوصلون إلى ما يبحثون عنه . . هذا أمر في علم الغيب. فلا أدرى . . وهم ايضاً لا يدرون . . ولكنني أنا لا أدرى ولا ابحث . . وهم لا يدرون ولكنهم يبحثون . . وهذا هو الفرق بيني وبينهم . . انهم بالبحث والصبر والجلد والمثابرة قد يصلون إلى ما يريدون . . أو بعض ما يريدون . أما انا فلا أصل إلى شيء لأنني لا أكلف نفسي مثلما يكلفون انفسهم . . ولأنني اتخوف واتهيب من الفشل أما هم فلا يتخوفون من الفشل . . انهم يبذلون المحاولة تلو المحاولة . . وكل طريق لا يوصلهم إلى ما يريدون . . يتركونه . . ويسلكون طريقاً آخر . .

إلى الاستاد الرياضي الكبير .

وواصلنا سيرنا أيها القارىء الكريم إلى الاستاد الرياضي

الكبير . . انه يحتل رقعة واسعة من الأرض . . وفيه مواقف للسيا رات . . بقدر العدد الذي يستوعبه من البشر . وهم يقدرون ما سوف يأتى إلى هذا الاستاد من السيارات . . ثم يهيئون لها المواقف . . واعداد هذه المواقف مبني على تقديرات دقيقة . . بحيث لا يمكن ان يأتى زائر لهذا الاستاد إلا وجد لسيارته موقفاً . . ثم تجولنا في المبانى التابعة لهذا الاستاد . . وهي كثيرة وكبيرة . . وتحيط به من بعض الجهات . .

وكان اليوم الذى زرنا فيه هذا الاستاد يوم أحد وهو عطلة الأسبوع لديهم يضاف إليه يوم السبت . . وكان سيجري في ذلك اليوم السباق السنوي للدراجات النارية . . وهذا السباق تشترك فيه منتخبات من فرق السباق من جميع الولايات المتحدة . .

وشاهدنا هذه المباريات . . أنها مباريات عنيفة وخطرة . . ان بعض المتسابقين قد تنكسر ساقه . . ومنهم من تندق عنقه . . ومنهم تنكسر اضلاعه . . ولكن هوُلاء الشباب يخاطرون بانفسهم في سبيل الفوز في هذه السباقات . . ولذلك فان إدارة الاستاد وكذلك حكومة الولاية تستعد لمثل هذه المناسبات استعدادا كاملا . . وبقدر خطورة مثل هذا السباق على أرواح شبابها . . فتعد لكل أمر عدته . وتفترض أسوأ الفروض في مثل هذه المناسبات فهي تأتي

بسيارة الاسعاف وفيها الأطباء والممرضون الذين ينتشرون في جوانب الملعب الكبير . . كما ان رجال الاطفاء بمعداتهم والبستهم المضادة منتشرون أيضاً في جوانب الملعب خوفاً من أن تنفجر بعض الدراجات على أثر ارتطام . . أو خلل يطرأ عليها . . فتشتعل فيها النار . . وقد شاهدنا أثناء السباق سقوط أحد المتسابقين وارتطامه بأحد الأعمدة . . وقد اوقف الحكم السباق حالا . . وانطلق الأطباء والممرضون إلى ذلك الشاب واحاطوا به احاطة السوار بالمعصم . . واسعفوه حالا . . ثم عرضوا عليه أن يأتوا بسرير ذى عجلات لينقلوه عليه . . ولكنه رفض . . وقال انني سوف أسير على قدمي إلى سيارة الاسعاف . . وتكنفه ممرضان أحدهما أخذ بضبعه الأيمن . . والآخر أخذ بضبعه الأيسر وسارا به إلى سيارة الاسعاف . . وقدماه لا تكاد تمس الأرض . . خوفاً عليه من أن تتضاعف آلام الرضوض التي أصيب بها . .

وقد . . اشترك في هذا السباق ما يقرب من مائة وثلاثين متسابقاً . . يمثلون معظم الفرق . . في معظم الولايات الأمريكية . . وهذه الدراجات لا تشترك جميعاً في سباق واحد . . وانما يأتون بهم اربعة اربعة او ستة ستة . . يدورون في الملعب اربع دورات . . ثم يعرف السابق

منهم فيذهبون ويأتي إلى الملعب اربعة اخرون . . وهكذا حتى تم سباق جميع المشتركين في هذه المناسبة .

وقد استمر السباق ما يقرب من اربع ساعات شاهدنا فيها ألوانًا من العنف بين المتسابقين وألوانا من المجازفة والمخاطرة . . في أثناء الدوران في الملعب . . وبعد نهاية السباق تجولنا في هذا الملعب الكبير . . انه يتسع لخمسين ألف على الكراسي الثابتة . . وحـــوالى عشرة آلاف على كراسي اضافية متحركة . . وحوالى أربعين ألفاً يقفون في شتّى جوانبه عند الضرورة . . انه يتسع لما يقرب من مائة ألف مشاهد . .

وهو مسقوف . . ومكيف الهواء . . فلا تشعر فيه بحر ولا برد . . ولاتعصف بك الرياح . . إذا كنت بداخله . . ورسم الدخول فيه خمسة دولارات . . ولا أدرى هل هذا الرسم يتغير ما بين مباراة وأخرى . . ام انه ثابت لا يتغير . . وتكلف صيانة هذا الاستاد ونظافته خمسة وعشرين ألف دولار يومياً . . انه مبلغ ضخم كما ترى . . ولكنه يتناسب مع ضخامة هذا الاستاد وكثرة المباني التابعة له .

ان عجائب الدنيا سبع كما يقولون . . وهذا الاستاد

هو ثامن هذه العجائب وارضية هذا الاستاد تكيف بحسب المباريات التي تقام فيه ففى مباريات كرة القدم تفرش أرضه بالنيل الصناعي . . وفي سباق الدراجات النارية الذي شاهدناه . . والذى وصفته لك آنفا فرشت أرضه بنوع خاص من التراب الخشن الذي يمنع تزحلق المتسابقين . . في تلك الزوايا التي يمرون بها في الملعب مسرعين . . وفي سباق قفز الخيول تفرش بتربة تناسب هذه الحيوانات . . وبالاختصار فان أرضية هذا الاستاد تأخذ أشكالا متعددة . . كل شكل يناسب ما سوف يقام فيه من أنواع الرياضات المختلفة كما أن مساحة الملعب تضيق في بعض الأحيان . . وتتسع إذا لزم الأمر لتوسيعها . .

وقد علمت أنها أجريت مباراة في الملاكمة بين محمد على كلاي . . وبعض منافسيه ففاز محمد على كلاى . . كما هي العادة .

ها . . لقد نسيت أن أقول لك ان ضربة الحظ قد لعبت دوراً كبيراً في مباراة سباق الدراجات النارية . . فبينما نرى أحد المتسابقين في المقدمة . . ويشرف على الفـــوز . . نرى الدراجة تنحرف به قليلا عن المجرى الصحيح . . فيسبقه من بعده . . ويفوز بالجائزة دونه . .

وقد حدثت هذه الحالة في عدة مباريات . . فكانت

عواطف المشاهدين كلها مع ذلك السابق الذي لم يكتب له الفوز . .

لأن أقل هفوة يرتكبها المتسابق . . قد تجعله في المؤخرة . . بينما هو قبل أن يرتكبها في المقدمة .

هوايات متنوعة .

ما أكثر هوايات بعض الأمريكان . وما أشد غرابة بعضها . . ان بعضهم يهوى مسابقة الكلاب . . فيربي هذه السلالات السريعة العدو ويهتم بغذائها . . وعلاجها . . وتعليمها . . وبعضهم يهوى مناقرة الأدياك . . يختار منها ما يصلح لهذه المناقرة . . وبعضهم يهوى التزلج على الجليد فانك تجد في المدن مباني كبيرة وكثيرة قد جمدوا فيها الماء وجعلوه صالحاً للتزلج . . ومنها أنواع كثيرة قد لا تخطر على بال احد من الناس . .

وقد رأيت في أحد الأيام نوعاً في ممارسة هواية غريبة وخطرة جداً . . هذه الهواية هي ان هناك بعض الشباب يمارسون الطيران . . بلا طائرات . . ولكن بواسطة أنواع من الباغة الخفيفة التي تعمل على هيئة طائر . . فيصعدون إلى أعلا جبل . . ثم يقذفون أنفسهم من أعلا قمة فيه . . ثم يبقون في الجو يطيرون ويحلقون مدة نصف

ساعة ، ثم يهبطون إلى الأرض . . في مكان تحت الجبل .
قد هيأوه لهبوطهم ، وإذا رأيت احد هؤلاء الهواة في الجو
ظننته نسراً ، أو طائراً كبيراً يشبه النسر فهناك الأجنحة . .
وهناك الذيل . . وهناك حديدة يتعلق فيها الهاوي . . ويوجه
بها هذا الشراع الذي صنع كما قلت من الباغة الخفيفة
ورأينا هؤلاء الهواة كيف يطيرون في الجو وكيف يهبطون
إلى الأرض . . انهم يهبطون هبوطاً هادئاً . . ليس فيه
أي خطورة على احد منهم . . ولكن الخطورة في نظرى :
لو انشق هذا الشراع الطائر في الجو ، أو انخرق ان هذا
الأمر لو وقع . . لكانت الكارثة . . ولكن هؤلاء الهواة
لا يفكرون عنـــدما مارسوا هذه الهواية . . في انشقاق
هذا الشراع . . ولا يفكرون في انخراقه . . انهم لـــو
فكروا في ذلك لما غامروا هذه المغامرة الخطرة التي قد
تكون فيها نهاية حياتهم . .

أمـــور شـــتى .

بعد وصولي إلى هيوستن بيوم أو يومين تلبدت السماء
بالغيوم . . واستمر هطول المطر يوما وليلة . . لم ينقطع
لحظة واحدة وهذا المطر من نوع الديمة التي قد لا يكون
فيها زخات كبيرة . . ولا يكون فيها رعد ولا برق . .
وعلى ذكر الرعد والبرق . . فانني طيلة الشهرين اللذين
قضيتهما في لندن وفي أمريكا لم أسمع رعدا ولم أر برقا . .

انها سحب هادئة .. منها ما ينزل المطر منه ماء ومنها ما ينزل ثلجاً على هيئةنديف القطن .. وفكرت في هذا الأمر الذي لفت نظري .. وأطلت التفكير .. ولكنني لم أصل إلى نتيجة ..

في هيوستن ما يقرب من ربع مليون مصنع .. وكل مصنع من هذه المصانع يقذف بألوان من الدخان إلى الجو .. وهذا الدخان يلوث الجو وقد يسبب أمراضاً للسكان قد يكون بعضها مستعصياً .. ولذلك فكر العلماء في اختراع طريقة تمنع التلوث .. وتصفي ذلك الدخان من تلك المواد التي قد تضر الإنسان وبحث العلماء طويلا .. وقد توصلوا إلى بعض النتائج حيث اخترعوا مصافي خاصة لذلك الدخان وقد تغلبوا بذلك على معظم المشكلة .. فقضوا بهذه المصافي على معظم مواد التلوث ولكنهم لم يقضوا عليها كلها .. والبحث والتجارب لا تزال جارية للوصول إلى نتائج ومخترعات تقضى على عناصر التلوث مائة في المائة ..

وفهمت أخيراً من أحد ابنائى الطلاب ان الهنود الحمر يكرهون هذا الاسم ويمقتونه .. لأن الذى لقبهم به هم المهاجرون الجدد فهم أولا ليسوا هنوداً .. وانما هم سكان أمريكا الأصليون .. وثانياً ان كلمة حمر مثيرة ومخيفة وبشعة .. تدل على الخطر .. ترمز للدم وتنفر منها الطباع

. . وقد رأيت عدداً من هؤلاء الذين يدعون بالهنود الحمر فلم أرهم حمراً وانما هم سمر . . وسمارهم في بعض الأحيان قد يكون شديداً . . وإذا فلماذا لقبوهم بالهنود الحمر . . انه للتنفير منهم . . لمحاربتهم لعزلهم عن المجتمع الجديد الذي غزا بلادهم . . وقد ذكرني هذا اللقب باللقب الذي ألصق بنا في عهد مضى وهو كلمة الوهابية . . نسبة إلى : محمد بن عبد الوهاب . . وهذا اللقب يوهم السامع بأن محمد بن عبد الوهاب قد اتى بدين جديد . . يخالف دين الإسلام . . بينما الواقع أن دعوته دعوة سلفية تحارب البدع والخزعبلات التى تخالف ذلك . . فدعوة محمد بن عبد الوهاب تحارب الأمور التي ادخلت في الدين وهي ليست من الدين في شيء بل ان الدين الصحيح ينهى عنها ويحاربها . .

ما أشد عناية الأمريكان بحياة الإنسان وسلامته . . لقد رأيت ذات مرة طائرة تطير وهي من نوع الهيلوكبتر . . وسألت عن هذه الطائرة : ما هي مهمتها ؟ فقيل لي إنها طيارة اسعاف . . ان معظم المستشفيات تملك طائرات من هذا النوع . . وتستعملها لنقل المصابين إلى المستشفيات . . وتنقل فيها من لا يطيق من المرضى ركوب السيارات .

وشاهدت مرة أخرى طائرة من هذا النوع تحلق في

أجواء المدينة . . وسألت عنها فقيل لي انها تابعة لرجال المرور ، وهي تراقب حركة السيارات من الجو . . وتعطى اشارات لرجال المرور بمطاردة بعض المخالفين لأنظمة السير . . وتوجه بعض السائرين في طرق مزدحمة إلى بعض الشوارع الأخرى الأقل ازدحاماً .



إلى ولاية كلفورنيا

في مدينة لوس انجلوس .

وتحركت بنا الطائرة في موعدها المحدد إلى مدينة لوس انجلوس في ولاية كلفورنيا ومن هذه الرحـــلة بدأت في خطة العودة إلى بلادي .. تلك الخطة التي سوف آخذها على مراحل متعددة .. والخطة سوف أعطيكها أيها القارىء الكريم مجملة ثم آخذ في تفصيلها مرحلة مرحلة .. و الخطة هي من دنفر إلى لوس انجلوس .. ثم من لوس انجلوس إلى سان فرانسيسكو .. ثم من سان فرانسيسكو إلى جزيرة هنولولو من جزر هاواي في المحيط الهادي .. ثم من جزيرة هنولواو إلى طوكيو في اليابان ثم من طوكيو إلى عاصمة الصين الوطنية تايبي .. ثم من تايبي إلى هنق كنق .. ثم من هنق كنق إلى البحرين .. ثم من البحرين إلى الظهران .. وهنا أصل إلى بلادي العزيزة التي اشتقت اليها .. وأحسست في هذه الغربة القصيرة بكثير من مزايا بلادى وأصالة مجتمعى .

هذه هي المراحل التي سوف أمر بها .. والتي سوف أصفها لك مرحلة .. مرحلة .. وأنت أيها القارىء الكريم ترى كثرة هذه المراحل التي استعين بالله على قطعها وأتوكل عليه في تذليل صعابها .. فأنا في كثير من المناسبات

أشعر شعوراً عميقاً بضعفي وقصور مداركى . . فاتبرأ إلى الله من حولى ومن قوتى . . وألجأ إلى حوله وقوته وأساله أن لا يكلني إلى نفسى طرفة عين . . وأن يكون عونا لي في كل لحظة من لحظات حياتى .

والإنسان قد لا يعرف ضآلته وضعفه إلا في حالات الضيق . . وحالات الشدائد . . وحالات المرض ولقد أحسست في رحلتي هذه بألوان من هذه الأحاسيس . . وشعرت بضآلة الإنسان وضعفه مهما كانت قوته ومهما كانت امكانياته .

هذه مقدمة لمراحل العودة . . والآن فلنشرع في وصف المرحلة الأولى من مراحلها . .

لقد استغرق طيراننا من دنفر عاصمة كلورادو إلى لوس انجلوس ساعتين إلا ربعاً مررنا في بدايتها فوق سلسلة جبال روكي . . تلك السلسلة الهائلة التي تشق أمريكا من غربها إلى شرقها . . أو من شرقها إلى غربها . . لا أدرى من أين ابتدأت . . ولا من أين انتهت هذا هو طولها . . أما عرضها فانني كنت ذكرت لك سابقاً أيها القارىء بأنني لا أعرفه . . ولكنني الآن سوف أحدثك عنه . . فقد حلقنا فوق هذه السلسلة . . ورأينا قممها . . وثلوجها ووديانها واستغرق طيراننا فوقها ما يقرب من

نصف ساعة . . وتصور أيها القارىء الكريم عرض هذه السلسلة التي مكثنا في قطعها عرضاً نصف ساعة . . وقدرها بالأميال أو قدرها بالأكيال ان صح هذا التعبير . .

واستمر طيراننا والمناظر الجميلة من تحتنا نشاهدها منظرا منظرا . . حتى وصلنا إلى اجواء لوس انجلوس . . انها مدينة واسعة جداً . . لقد تضاءلت المدن التي كنت رأيتها من قبل عندما رأيت هذه المدينة . . انها تقع في سهول واسعة وتحف بها سلاسل من الجبال التي منها ما هو سامق نرى الثلوج في قممه . ومنها ما هو متوسط الارتفاع ومنها ما هو في شكل الكثبان ولكنها كثبان ليست من الرمل وانما هي من التربة التي تكسوها النباتات والأشجار .

لقد شعرنا عندما حلقنا فوق مدينة لوس انجلوس أن حالة الجو قد تغيرت . . واننا انتقلنا من جو شات إلى جو صائف . . فقد كانت النباتات في دنفر قد كتمت أنفاسها الثلوج المتراكمة فلا تكاد ترى الخضرة إلا في في بعض الأشجار التي تبقى خضراء صيفاً وشتاء . . أما لوس انجلوس . . فقد رأينا الأشجار جميعها خضراء . . ورأينا جميع الأراضي تكسوها الخضرة بالحشائش والزهور ومختلف النباتات . .

وسكنا في أحد الفنادق وأحسسنا بالحر . . بعد البر د لقد كنا في دنفر نكيف الهواء بالحرارة اما في لوس انجلوس فقد صرنا نكيفه بالبرودة . . انها أجواء امريكا المختلفة ما بين ولاية وأخرى . . وسألنا عن الطقس في هذه المدينة . . فقيل لنا إنه يبقى هكذا صيفاً وشتاء . . فلا حر فيها ولا بر د ان طقسها كليل تهامه . . لا حر ولاقر ولاسآمه .

وجو هذه المدينة صاف لا غيوم فيه . . قلما تأتيها الأمطار في الشتاء . . وانما موسم الأمطار في الربيع . . ولا أدرى هل يستمر هذا الموسم إلى الصيف والخريف أم لا . . ولا يعكر صفاء جو لوس انجلوس إلا دخان المصانع الذي يتكاثف في بعض الأحيان . . ويخف في بعضها الآخر . . بحسب حركة الرياح وسرعتها . . وقد رأينا بعض التلال القليلة الارتفاع . . وقد تركوا هذه التلال على طبيعتها . . فلم يغطوها بالمبانى والعمارات . . بل تركوها تعطى المدينة شيئاً من الرونق والجمال الطبيعى . الذى يألفه النظر . . وترتاح له النفوس .

ها لقد نسيت أيها القارىء الكريم أن أذكر لك أنه استقبلنا في مطار لوس انجلوس اثنان من أبنائنا الطلاب انهما الطالب هزاع العلي والطالب عبد الله السعدون . . فذهبنا معهما إلى الفندق الذي حجزنا فيه غرفة لسكنانا

واسترحنا في الفندق بقية يومنا . . وكان الفندق الذي سكنا فيه مريحاً ويقع في حي هادىء من أحياء المدينة الواسعة الأرجاء . . الجميلة المناظر . . وفي الصباح الباكر استيقظنا واستعددنا للجولة في المدينة ومشاهدة معالمها . . ومناطق السياحة فيها . . وكنا قد ضربنا موعدا مع أبنائنا الطلاب لنذهب واياهم لمشاهدة تلك المعالم والمشاهد . .

وفي الموعد المحدد كان أبناؤنا الطلاب عندنا . .

في مدينة ديزنى لاند .

لا تظن أيها القارىء الكريم أن مدينة ديزنى لاند مدينة سكانية يقطنها عدة ملايين من البشر . . لا تظن هذا الظن . . فاننا لازلنا في مدينة لوس انجلوس ان هذه المدينة . . مدينة للملاهي . . وهي طبعاً ملاهي بريئة لا تأثير فيها على الأديان . . أو الأخلاق وانما يجد المرء فيها ألوانا من الألعاب يمارسها في أوقات فراغه . . لتكون عونا له على حياة الجد والكفاح . . والركض وراء لقمة العيش .

ولقد ذهبنا إلى هذه المدينة في أحد أيام الآحاد فوجدناها ملأى بالبشر من مختلف الأجناس والألوان . رجالا ونساء وأطفالا . . شيوخاً وشبابا ولقد رأينا فيها الأصفر والأحمر . ورأينا فيها الأسود والأبيض

انها مدينة واسعة جداً .. فقد بقينا فيها يوما كاملا ولم نستطع أن نمر بجميع أقسامها .. انها قد قسمت إلى سبع مناطق .. كل منطقة لها لون خاص وطابع خاص يختلف عن المناطق الأخرى .. وفيها مطاعم ومقاهي هي آية في النظافة والجمال .. وفيها معارض تحتوى على كل ما يتطلبه السائح من الملابس والصور ونماذج الألعاب .. وفي كل زاوية تجد فيها صناديق النفايات وقل أن تجد زائراً يرمي شيئاً من فضلاته على الأرض .. ومع ذلك فان رجال النظافة التابعين لهذه المدينة .. يتجولون في الطرقات وينظفونها ساعة فساعة .. بل لحظة فلحظة .. ويكنسون ما يكون قد سقط من بعض الزوار أو بعض الأطفال من قطع صغيرة من الأوراق .. أو ما قد يكون سقط من الزوار من أعقاب السجائر .. انهم يهتمون بنظافة هذه المدينة ونظافة طرقاتها بشكل يدعو إلى العجب والاعجاب .

وفي مدخل هذه المدينة جبل صناعي قد غطى أعلاه .. بلون يشبه الثلج .. مع أنه لا ثلوج تنزل على مدينة لوس انجلوس .. ولكنك ترى هذا الجبل من بعيد وتظن أن هذه المادة التي تعلوه ثلجاً حقيقياً وهذا نوع من لفت النظر .. وجلب الانتباه .. ونوع من أنواع الاغراء .. لدخول هذه المدينة .

وتجولنا حول هذا الجبل . . ان قاعدته واسعة قد تبلغ مئتي متر تقريباً وهو كلما علا تضاءل اتساعه حتّى ينتهي بقمة صغيرة . . قد لا تتسع الا لجلوس أربعة أشخاص . . هكذا يبدو للنظر . . من بعيد . . ولكن قمته قد تكون أوسع من ذلك .

ويبلغ ارتفاع هذا الجبل ما يقرب من مئة متر وفي داخله سراديب . . ومنعطفات كثيرة . . تسير فيها عربات سريعة بقوة الكهرباء . . وهذه العربات يركبها الزوار فتنطلق بهم في تلك السراديب والمنعطفات التي تصعد تارة وتهبط أخرى ويكون انطلاقها هذا بسرعة هائلة . . لا يتحملها ضعيف القلب أو ضعيف الأعصاب .

ولذلك فان هناك تعليمات بأن لا يركب هذه العربات من يكون يحس بعرض من أعراض الضعف لئلا يعرض نفسه لما لا تحمد عقباه . . وقد رأيت طابورا طويلا من الرجال والنساء والأطفال . . كلهم يريدون أن يركبوا هذه العربات ويمارسوا هذه اللعبة . . وترددت في الاشتراك معهم . . وتخوفت من أن لا أتحمل هذه اللعبة . . ثم فكرت في أنني ولله الحمد سليم القلب قوى الاعصاب فلماذا لا أجرب مثلما يجربون . . وأمارس ما يمارسون . . صحيح أنني متقدم في السن . . ولكنني

رأيت من هو أكبر مني قد اصطفوا في هذا الطابور
لانتظار دورهم في الركوب . . وهممت بالاشتراك معهم
والانخراط في سلكهم ولكنني سمعت صياح بعض الأطفال
والنساء الذين يركبون هذه العربات . . وذلك عندما تعلو
بهم ثم تهبط . . أو تدخل بهم في سراديب مظلمة . .
فخفت وترددت في ممارسة هذه اللعبة . . ثم قلت لنفسي
لماذا لا يكون صياحهم من باب العبث ولفت الأنظار . .
لماذا لا يكون صياحهم من باب الفرح والابتهاج ان هذا
شيء ممكن . . ولو كانت هذه اللعبة خطرة جداً لما فتحوا
أبوابها لجميع الراغبين ان حدوث أى خطر لأى زائر
من الزوار هو دعاية سيئة لهذه المدينة . . قد تنفر الناس
منها . . وتجعلهم يبتعدون عنها بأطفالهم ونسائهم
أقنعت نفسي بهذه الافتراضات . . ثم لم أشعر بنفسي إلا
وأنا في طابور الراغبين في ممارسة هذه اللعبة . . وبعد
ذلك وصلنا إلى تلك العربات . . وركبنا فيها أربعة أربعة
أى إن العربة الواحدة لا تحمل أكثر من أربعة ركاب . .
وعندما استقر وضعنا في عربتنا ربطونا في تلك العربة
بأحزمة قوية . . واقفلوا الأبواب التي دخلنا منها . .
وتحركت تلك العربات كل عربة مستقلة عن العربات
الأخرى . . ثم أخذت تلك العربات مصعدة في الجبل . .
لقد صرنا الآن مسيرين لا مخيرين . . اننا لا نملك الآن

إيقاف تلك العربات .. ولا نملك تخفيض سرعتها .. انها يجب أن تنطلق بنا إلى نهاية طريقها المرسوم .. اننا في هذه العربات لا نملك من أمرنا شيئاً . وبدأت تلك العربات تعلو وتهبط .. وبدأت تمر بسراديب مظلمة .. ومنعطفات ضيقة .. وهي في غاية السرعة فشعرت ببعض الدوار .. وصرت أغمض عيني من الخوف عندما نقبل على منعطف خطر .. أو منحدر مخيف .. انني لو كنت أملك من أمري شيئاً لاوقفت هذه العربة ونزلت منها . ولكن الدخول في الشبكات سهل والصعوبة في الخروج .. والمهم أنني عشت على أعصابي طيلة هذه اللعبة .. ونزلت من تلك العربة .. وانا أشعر بشيء من الدوار الذي بقى معي طيلة ذلك اليوم .. وقررت أن لا أمارس هذه اللعبة أو ما يماثلها مرة أخرى ولو أردت أن أحدثك أيها القارىء الكريم عن كل مشاعري لطال الحديث .. فلنترك هذا الموضوع إلى موضوع آخر .

ثم ذهبنا إلى بحيرة صناعية .. كبيرة .. تسير فيها غواصات .. أو ما يشبه الغواصات .. وركبنا داخل إحدى هذه الغواصات . . وسارت بنا تحت الماء .. وقد جعل في هذه الغواصات نوافذ من الزجاج الذى يريك جميع ما تمر به داخل هذه البحيرة فرأينا كثيراً من معالم البحار رأينا الأسماك والثعابين .. والغابات والأشجار

التي تنبت تحت الماء .. في قاع البحار .. ومررنا في جولتنا في هذه الغواصة بمناظر متعددة منها ما يجلب الفرحة والسرور .. ومنها ما يخيف ويرعب وقد استمر تجوالنا ما يقرب من نصف ساعة .. أو يزيد ..

ثم خرجنا من هذه الغواصة .. وواصلنا جولتنا في هذه المدينة .. اننا نسعى حثيثا لنرى أكبر قدر ممكن من هذه المدينة .. اما رؤيتها كلها فانه لا يتسع لها يوم واحد ولا يومان .. بل تحتاج إلى عدة أيام لتدور في جميع أقسامها .. ورأينا في أحد جوانب هذه المدينة مبنى كبيراً وغريب التصميم .. غريب الشرفات .. وقد علق في بعض حيطانه مراوح يديرها الهواء .. وتتحرك تارة بسرعة وتارة بهدوء .. وكأنها تدعو الزوار لمشاهدة ما فيها .. أو على الأصح ما تحتها من العجائب والغرائب .. التي بذل في إنشائها أموال طائلة .. ولكنها مقابل ذلك تدر على أصحابها أموالا طائلة أيضاً .. وركبنا أحد القوارب الذى يسير في ممرات مائية .. ودخل بنا هذا القارب .. تحت هذا المبنى الذي بني فوق بحيرة صناعية .. وفي جوانب هذه البحيرة كهوف وجبال .. ومرتفعات متعددة الأشكال والألوان ورأينا في هذه الكهوف صوراً متحركة .. منها ما هو يرقص .. ومنها ما يقوم بحركات بهلوانيه غريبه ..



صورة المؤلف في مدينة ديزني لاند

وهذه الصور تمثل مختلف الأمم والشعوب بالبستهم الشعبية . ورقصاتهم التقليدية .. في مناسبات الأعياد والأفراح ومررنا ببعض المشاهد التنكرية التي تضحك الكثير من الزوار .. ثم تركنا هذه اللعبة ورأينا قطاراً معلقاً .. يسير في الهواء .. فوق اعمدة وجسور قد ارتفعت عن الأرض ما يقرب من عشرة أمتار .. وزكبنا هذا القطار .. فتجول بنا حول هذه المدينة .. ورأينا ونحن نسير فيه معظم أجزاء هذه المدينة بمبانيها .. وحدائقها .. والعابها . ورأينا جموع البشر من جميع الأجناس تسير تحتنا في طرقات هذه المدينة .. المليئة بالعجائب والغرائب .. وأكمل القطار جولته .. وعاد ادراجه إلى المكان الذي انطلق منه .. وهبطنا لنرى شيئاً جديداً .. ورأينا مبنى قد تكاثر حوله الزوار فاتجهنا اليه .. وولجنا داخله .. وركبنا في مركبة تشبه الصاروخ .. وانطلقت بنا هذه المركبة مسرعة .. ولكننا لم نكن نحس بسرعتها .. فهي مقفلة من جميع الجوانب .. ولكن سقفها وجوانبها قد صنعت من الزجاج أو ما يشبه الزجاج من المواد الشفافة التي لا تحجب النظر .. فرأينا السماء بأفلاكها .. واحسسنا كأننا ندور بالقرب من هذه الأفلاك .. ورأينا مدارات النجوم والأقمار .. انها تدور في مدارات مقوسة .. بحيث أنها كلما انهت دورة بدأت في دورة أخرى ..

وهكذا دواليك حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

ثم ذهبنا إلى مجرى مائى . . يدور حول بعض الجبال والسفوح الصناعية وركبنا قاربا دار بنا في هذا المجرى . . وشاهدنا كثيرا من أشكال المبانى القديمة لمختلف الأمم والشعوب . . ورأينا بعض التصاميم الغريبة في هذه المبانى . . وكل مجموعة من المبانى قد خصص لها مكان بارز في هذه السفوح . . وكتب أمامه بأن هذه نماذج من عمران تلك الأمة . . وأكثر ما يهتمون به الكنائس . . انهم يفرغون في بنائها كل فنونهم وقدراتهم المادية . .

وقد رأينا نموذجاً لكنيسة ألمانية . . بابراجها المتعددة وقبابها المذهبة وتصميمها الجذاب .

إنك لا تكاد تترك منظراً . . حتى تنتقل منه إلى منظر آخر . . قد يلفت نظرك أكثر من ذى قبل . .

وقد تحب أيها القارىء الكريم أن تعرف معنى ديزنى لاند — فديزني هذا هو اسم الشخص الذي صنع هذه المدينة. ولاند بمعنى أرض أى ارض ديزني . .

وهذا الشخص أيضاً هو الذي اخترع أفلام الكرتون . التي نشاهدها في بعض الأحيان معروضه في التليفزيون .

وسن هذه السنه لمن بعده .. ان الزائر لهذه المدينة لا يمل من الاقامة فيها سواء اشترك في تلك الألعاب أو لم يشترك . اننا إذا مللنا السير جلسنا في أحد المطاعم أو المقاهي النظيفة في هذه المدينة فتناولنا ما طاب لنا من طعام أو شراب ورأينا الناس حولنا منهم الجالس ومنهم الماشي .. ومنهم اللاعب . ومنهم المتفرج .

هذا ما أذكره الآن عن هذه المدينة التي هي غاية في النظافة والتنسيق والجمال .. وقد أكون نسيت الكثير مما شاهدته فيها .. ولكن المهم قد علق بذاكرتي ووصفته لك وصفاً مقتضباً .. ورب قليل كفى عن كثير .. ورب اشارة أبلغ من عبارة ..

في مدينة الأفلام هوليود .

وذهبنا إلى مدينة الأفلا م والممثلين والممثلات .. هوليود .. وهذه المدينة تقع في ضاحية من ضواحي لوس انجلوس .. وتشغل مساحة واسعة من السهل والجبل .. وفيها غابات وبحيرات صناعية .. وفي بعض جهاتها سلاسل من الجبال المتوسطة الآرتفاع .. وأمامها أو خلفها لا أدرى سهل ممتد معمور بالسكان .. وهو شبه سهل البقاع في لبنان .. وعندما دخلنا هذه المدينة ركبنا قطاراً مؤلفاً من عدة عربات .. وسار بنا في طرقات هوليود ..

والدليل في مقدمة القطار يشرح لنا جميع المعالم التي تمر بنا . . وهبط القطار بنا من الجبل إلى السهل . . ونزلنا في مكان كله مملوء بالفلل والاستديوهات . . وأحطنا بالدليل وهو يوضح لنا ما نراه من مبان . . وما هي الأدوار التي تؤدى في كل منها . .

وقال لنا انكم سوف تمرون بالقرب من بعض الممثلين والممثلات . . فاياكم أن تهجموا عليه للسلام أو الكلام . . بل أشيروا اليه بالتحية من بعيد . . ثم أشار الدليل إلى بعض الفلل وقال ان كل واحدة منها تخص أحد الممثلين أو الممثلات . . يغيرون فيها ملابسهم . . ويعملون فيها المكياج الذي يتناسب مع كل دور يمثلونه . . ودخلنا إحدى هذه الفلل . . وقال لنا الدليل انها خاصة بالممثلة لوسي . . وطبعاً لم نجدها في هذه الفله . . وإنما رأينا صورها معلقة فوق الحيطان . . في عدة مشاهد مما تقوم به من أدوار . . وكانت هذه الفلة من أكبر الفلل التي رأيناها وأجملها . . وهي الفلة الوحيدة التي دخلناها من فلل الممثلين والممثلات . . وفهمت من هذا أن هذه الممثلة لها مكان رفيع في هوليود . . ولها جمهور كبير من المعجبين والمعجبات .

وخرجنا من فلة لوسي . . ووقف الدليل يوضح المراحل التي سوف نمر بها . . وفجأة قال لنا الدليل . .

فليصافح كل واحد منكم من لا يعرفه . . فضحك الزوار . . وصار بعضهم يصافح بعضاً . . بلا تمييز وبلا مقدمات . . وبلا معرفة . . ثم بعد هذا الفصل اللطيف سرنا إلى الاستديوهات التي يصورون فيها الأفلام وهذه الاستديوهات مجهزة بمعدات كثيرة وكبيرة . . وسقوفها عالية جداً وفيها انوار قوية ومتعددة الدرجات بحيث يستطيعون جعل الليل نهاراً . . والنهار ليلا . . وكذلك يستطيعون التحكم في الجو داخل هذه الاستديوهات بحيث يجعلون الجو صحوا أو غائماً . . ممطراً أو غير ممطر هادئاً أو عاصفاً . . وأرانا الدليل كثيراً من الخدع السينمائية التي قد يظنها البعض حقيقة . . مع أنها لا تمت إلى الحقيقة بصلة . . ومثل لنا الدليل خدعة من هذه الخدع السينمائية . . التي قد تريك اطلاق النار ولا نار . . وتريك قتلى . . ولكن بلا قتيل وتريك بعض الجراحات تنزف دما . . مع أنه لا جرح ولا دماء . .

وانما هي أصباغ تشبه الدماء . . وفتحات تشبه الجراح . .

وبعد أن رأيت بعض هذه الخدع التي عرضوها علينا قلت في نفسي إنه لو كان لي شيء من أمور هوليود . . لما كشفت هذه الأسرار للزوار . ولتركتها سراً مكتوماً .

ولتركت الناس يشاهدونها على أنها حقائق واقعة هذا هو تفكيري وهو طبعاً يخالف تفكيرهم .. فهم يريدون الكسب من كل طريق .. وهذا الطريق الذي فتحوه للزوار يدر عليهم أموالا طائلة تستحق ان يكشفوا لاجتلابها بعض أسرارهم .. وقد يكونون قد احتفظوا بالأسرار الهامة لأنفسهم .. إنني لا أعرف من أمور السينما والأفلام شيئاً ، وكثير من تلك الأفلام التي تعجب بعض الناس لا تعجبني ولا أشاهدها لا بثمن ولا مجانا .. ولو كان كلهم مثلي لكسدت بضاعة الأفلام .. ولكن الناس يختلفون في أمزجتهم وأذواقهم .. ومن هذا الاختلاف يكون الرواج .. ويكون الكسب .. الذي يعيش عليه كثير من البشر ..

والمهم أننا بعد أن رأينا ما رأينا ركبنا القطار مرة ثانية وسار بنا بين تلك المباني الكثيرة المتعددة الأشكال والألوان ، والتي منها ما يمثل مباني قديمة ومنها ما يمثل مباني حديثة .. ومنها ما يمثل قلاعاً حصينة .. والشوارع التي مررنا بها بين هذه المباني منها ما هو ضيق ترابي .. ومنها ما قد رصف بالحجارة .. ومنها ما قد غطي بالأسفلت .. وهذه المباني أقسام متعددة كل قسم منها يمثل عصراً من العصور أو أمة من الأمم .. انك وانت تتجول بين هذه الأقسام .. تحس وكأنك خرجت من مدينة إلى قرية ..

أو من قرية إلى مدينة . . أو انتقلت من بلاد متقدمة . . إلى بلاد تعيش في عصور موغلة في القدم . .

ثم واصل القطار الذي يحملنا سيره . . ومررنا على جسر من الخشب الذي تحته هاوية سحيقة . . وبحيرة عميقة . . وعندما توسطنا فوق هذا الجسر اهتز وتمايل وسقطت بعض اجزائه . . وسمعنا فرقعة وقرقعة . . وأصواتا مخيفة تشعر الراكب بان الجسر قد تحطم تحته ، مع أن الجسر سليم لم يتحطم منه الا جوانب لا خطر علينا من تحطمها وسقوطها . . إنها إحدى الخدع التي تعمل في الأفلام . . مارسناها عمليا . . ولو صورت في مشهد سينمائي . . لم يشك المشاهد أننا قد سقطنا في تلك الهوة . . وابتلعتنا البحيرة . .

ثم واصلنا سيرنا . . ومررنا بسفح مرتفع . . وتوقف بنا القطار . . وفي هذه اللحظة شعرنا بهزة عنيفة تشبه الزلزال ، وتحرك الجبل من فوقنا . . وانحدرت منه صخور كبيرة وبسرعة هائلة . . وصاح بعض الركاب خوفاً من ارتطام هذه الصخور بهم . . ولكن ذلك كله من الخدع السينمائية .

فلم يحصل زلزال . . أما تلك القطع التي ظنناها صخوراً فهي كتل من المطاط . . الذي حجزه عنا حاجز قوي بحيث لم يصل الينا . .

واستمر بنا السير حتى مررنا بقضبان حديدية توقف قطارنا فوقها . . وفجأة اقبل الينا قطار ضخم يسير على تلك القضبان بسرعة هائلة . . اننا أمامه . . انه لم يكن بيننا وبينه إلا مسافة قصيرة وعندما قارب هذا القطار عربات الزوار توقف فجأة مع أنه ليس من عادة القطارات أن تقف هكذا . . بل هي تقف بتخفيف سيرها لمسافات طويلة . . ولكنها بعض الخدع السينمائية التي لو شاهدتها في أحد الأفلام لظننت أن القطار قد ارتطم بتلك العربات التي يستقلها الزوار . .

ثم واصلنا سيرنا . . ومررنا في طريقنا الصاعد إلى الجبل ببحيرة صناعية . . وكانت تعترض طريق قطارنا . . وعليه أن يشقها ليستمر في سيره ولم نشعر في هذه اللحظة إلا بحاجز يرتفع من يميننا وحاجز آخر يرتفع من شمالنا . . ثم رأينا طريقنا ينضب ماؤه . . وفي لحظات كانت الأرض التي بين الحاجزين قد ابتلعت تلك المياه فمررنا بقطارنا بين ذينك الحاجزين . . والبحيرة ترتفع فوقنا ذات اليمين وذات الشمال . .

ثم سرنا مصعدين في الجبل . . ورأينا بحيرة صناعية أخرى . . في وهدة من وهاد هذا الجبل . . وكان طريق قطارنا يمر بجانب هذه البحيرة . . ولم نشعر عندما توسطنا

من هذه البحيرة الا بسمكة عظيمة من نوع القرش تخرج من الساحل الذى بجانب قطارنا انها أكبر من إحدى عربات قطارنا . . وفغرت فاها . . وكان باستطاعتها أن تبتلع إحدى العربات وألقت هذه السمكة بأصوات مرتفعه مخيفة أرعبت بعض الزوار وأنا منهم . . وأكثر ما أرعبت ركاب العربات الذين يلونها . . بصوتها المزعج وجسمها الهائل . . إلا أنها لم تمسنا بسوء . .

ثم مررنا بجبال وصخور مغطاة بالثلوج . . مع أن الثلوج لا تسقط فوق تلك المدينة انها مناظر صنعوها بأيديهم . . وهي تشبه الثلج . . ولكنها ليست ثلجاً . .

ومررنا بسرداب داخل جبل من الثلج حسب ما يرى المشاهد . . وأحسسنا ببرودة الجو فعلا . . وعندما توسطنا في هذا السرداب شعرنا بانه يميل بنا مرة يمينا ومرة شمالا . وأحسسنا بأن جوانب هذا السرداب كلها تتحرك . . منها ما هو يصعد ومنها ما هو يهبط . . حتى خشينا بأن ينقلب قطارنا بين هذه الثلوج . . أو نسقط في هوة عميقه لا نعرف مداها . . ولكنها لم تمض إلا لحظات حتى اجتزنا هذا السرداب بسلام . .

واستمر بنا قطارنا حتى وصلنا إلى استراحة في احدى سفوح هذه الجبال وفي هذه الاستراحة مطاعم ومقاهي . . ومعارض لبعض صور المشاهد التي رأيناها . .

ورأينا في تلك الاسراحة بحيرة صناعية يعوم على سطحها بارجتان حربيتان . . تقف كل واحدة مقابل الأخرى . . واحدى هاتين البارجتين تطلق النار على البارجة الأخرى . . ما بين وقت وآخر . . فنسمع دوي القنابل عند اطلاقها . . ونشعر بسقوط تلك القنابل في وسط هذه البحيرة . .

وفي تجوالنا توقف بنا القطار في أحد السفوح ولم نشعر إلا بالرعد والبرق والصواعق أو ما يشبه ذلك . . ثم هطلت أمطار غزيرة مع أن الجو كان صحوا لا سحب فيه ولا غيوم وبعد لحظات رأينا تلك الشعاب التي عن يميننا وشمالنا تنحدر فيها السهول متدافعة متراكمة حتى ظننا أن تلك السيول سوف تجرفنا في طريقها . . ولكن تلك السيول انحدرت في مجار خاصة لها . . ولم نصب منها بأذى . . ولم يمسنا من رذاذها شيء . .

ان هذه المدينة تحوى بين جنباتها . . وفي سهولها وجبالها كل ما يحتاجونه من المشاهد لصناعة الأفلام وهم يكبرون الصغير حتى يجعلوه كبيراً . . ومن الحقير عظيما أى إنهم يجعلون . الحبه قبه . . وقد يصغرون العظيم حتى يجعلونه في حجم الأقزام .

ومثلوا امامنا .

ثم شاهدنا فرقة من الممثلين والممثلات تصنع مشهدا من مشاهد الأفلام . . ورأينا الكثير من الخدع السينمائية التي يعملونها للتهويل ولفت الأنظار ثم عرضوا علينا في التلفزيون ما مثلوه أمامنا . . فرأينا في العرض اغراء وجاذبية. أكثر مما شاهدناه أثناء التمثيل . . ورأينا في العرض أمورا تشبه الحقيقة . . مع أنها لما كانت تمثل أمامنا لم يكن لها هذا الرواء وهذا المنظر الخلاب . .

وانتهينا من تجوالنا في هوليود بعد أن كدنا أن لا ننتهي . . وقضينا في ربوعه يوماً كاملا . . رأينا فيه كلما سمحوا لنا برؤيته . .

وقد قصصت عليك أيها القارىء الكريم كل ما استوعبته الذاكرة مما رأيته وقد يكون هناك مشاهد نسيتها . . أو لم تستوعبها الذاكرة . . فلم أقصها عليك . .

كما أن هناك خبايا في الزوايا لم نرها . . أو رأيناها . . ولم نلق اليها بالا . .

وقد رأينا الزوار من جميع الأجناس في هذه المدينة العجيبة . . لأن سمعة هذه المدينة قد تجاوزت حدود لوس انجلوس . . بل تجاوزت حدود الولايات المتحدة . .

إلى كثير من أنحاء العالم . . ولذلك فانك تجدها مقصد كل زائر يأتى إلى أمريكا . . وكل زائر يأتى من أى ولاية من الولايات الأمريكية الأخرى .

المليونير هوارد هيوز .

انتهينا من زيارة هوليود وعدنا ادراجنا إلى مدينة لوس انجلوس ومررنا بطريق قرب المطار . . وأشار السائق إلى أرض فضاء واسعة وقال ان هذه الأرض من أملاك المليونير الشهير هوارد هيوز الذي يعتبر من أغنى أغنياء أمريكا . . وقد توفي منذ سنوات ولم يخلف أولادا ولا زوجه . . فصارت ثروته الطائلة توزع بحسب وصاياه وبحثوا عن الوصايا فلم يجـدوه أوصى بشيء ذى بال من ثروته الطائلة فقد أوصى لبعض النساء اللاتى خدمنه . . كما ان له قصة مع أحد أفراد الشعب وهي أنه تعطلت به سيارته في إحدى الطرقات . . فأوقفها في جانب من جوانب الطريق ووقف على الرصيف وأشار إلى عدة سيارات لتحمله إلى المكان الذي يقصده ولكن احدا من ارباب هذه السيارات لم يتوقف لحمله . ما عدا واحد من افراد الشعب الأمريكي . . الذى توقف وحمله في سيارته وهو لا يعـرفه . . وأوصـله إلى المكان الذي قصـده . . وسأل هذا المليونير ذلك الرجل عن اسمه وعنوانه وعندما

توفي هوارد هيوز وجدوه قد أوصى لهذا الرجل بمائة مليون دولار انها جزء ضئيل من ثروة هذا المليونير .

وقد وجدوه أيضاً قد أوصى بدفن جثمانه في الولاية التي ولد فيها وهي تكساس . . ونفذت وصاياه التي أوصى بها . . أما بقية ثروته فانها تعود إلى حكومة الولاية . . ولكنه ولد في تكساس ودفن فيها . . أما معظم ثروته فقد اكتسبها في ولاية كلفورنيا . . وقد تنازعت هاتان الولايتان في حيازة هذه الثروة الطائلة . . واحتجت ولاية تكساس بان أصله منها . . وقد أوصى بدفن جثمانه فيها . . وثروته تكون تابعة للبلاد التي هي مسقط رأسه ومقر جثمانه . . ولكن ولاية كلفورنيا . . احتجت بانه كسب معظم هذه الثروة في كلفورنيا . . وصارت محاكمات بين الولايتين ايهما تكون له هذه الثروة . . واعتقد ان محدثي اخبرني بأن حكم المحكمة قد صدر بأن يكون ثلث ثروته لتكساس . . والثلثان الباقيان لولاية كلفورنيا . . هكذا قال لي راوى هذه القصة . . فان كان صادقاً فانا أحد الصادقين . . وان كان كاذباً فأنا احد الكاذبين . . واستغفر الله واتوب اليه . . ان كان هناك ذنب ارتكبته بسبب هذه الرواية . . ولكن الكذب إذا لم يحلل حراما ولم يحرم حلالا ولم يهدر حقاً من الحقوق فقد يكون من الكذب الأبيض الذي لا ذنب على قائله . . وأذكر حديثاً

نبوياً شريفاً بهذا المعنى . . وخلاصته على ما أذكر . . أن المرء لا بأس أن يكذب في بعض المواطن . . مثل الكذب في الإصلاح بين الناس . . ومثل كذب المرء أمام زوجته بحديثها بما يسرها ويبهج خاطرها . . ويستجلب رضاها .

إلى مدينة سان فرانسيسكو .

وانتهت جولتنا الخاطفة في لوس انجلوس . . وتحركت بنا الطائرة من هذه المدينة إلى مدينة سان فرانسيسكو واستغرق طيراننا بين المدينتين ساعة كاملة . . ووصلنا بعدها إلى تلك المدينة . . وكلتا المدينتين تقع على ساحل المحيط . . وكنا وقت طيراننا . . تارة نطير فوق المحيط . وتارة أخرى على سلاســـل من الجبال الخضراء التي تحولت خضرتها إلى زرقة بسبب ارتفاعنا عنها . . ولهذا فقد كنا نطير بين ثلاث زرقات – ان صح هذا التعبير – زرقة السماء وزرقة المحيط . . وزرقة تلك الجبال المكسوه بالأشجار والنباتات . . وكنا في بعض الأحيان نمر فوق جبال سوداء عارية من النباتات الكثيفة . . والتي ذكرتني بجبال الطائف أو جبال مكة المكرمة وكنا طيلة طيراننا نرى القرى والمزارع ما بين وقت وآخر .

وكانت المضيفة تلفت أنظارنا بواسطة مكبر الصوت إلى بعض المدن الكبيرة التي نمر فوقها . . ولا تظن أيها

القارىء الكريم أن حكومة ولاية كلفورنيا في إحدى هاتين المدينتين الكبيرتين . . ان عاصمة هذه الولاية أو مقر حكومتها في مدينة صغيرة تسمى سكرمنتو . . وقد سألت لماذا لم تكن العاصمة في إحدى هاتين المدينتين الكبيرتين . . فقيل ان الحكومة كانت قد استقرت في هذه المدينة الصغيرة التي بقيت صغيرة كما كانت . . بينما نمت وكبرت تلك المدينتان لموقعهما من المحيط ولظروف وعوامل أخرى لا أعرفها أنا ولا يعرفها محدثي . . وأنا لا أستبعد أن تكون تكون الحكومة قد اختارت تلك المدينة الصغيرة الهادئة . . وفضلتها على تلك المدن الواسعة الصاخبة المتلاطمة بأمواج البشر . . وأمواج الحركة . . وأمواج المصالح المتضاربة المتصارعة . . والتي لا يبقى منها إلا الأقوى والأصلح للحياة . . أما الأضعف فينسحق ويذوب . . أو يبقى ضعيفاً هزيلا يعيش على فتات الموائد . .

وحلقت بنا الطائرة فوق مدينة سان فرانسيسكو . . ورأيناها من الجو . . انها تقع فوق جبال وجزر متعددة تفصل بينها مياه المحيط بخلجان تتسع تارة وتضيق أخرى . ورأينا البيوت متراصة في جوانب شوارعها . . وكنا حجزنا غرفة في أحد الفنادق قبل قدومنا بيومين . . ولكننا عندما وصلنا اليه وجدناه يبعد عن قلب المدينة بعشرين ميلاً . . ومعنى هذا اننا لن نستطيع أن نرى المدينة ونرى

معالمها فاتصلنا بالدكتور عمر بن ابراهيم بن عبد الكريم وأخبرناه بوضعنا .. وكان الدكتور عمر يدرس في جامعة تقرب من مدينة سان فرانسيسكو .. وشكونا إليه وضعنا .. فقال لنا انني أبعد عنكم بما يقارب الأربعين ميلا ولكنني سوف آتي اليكم غدا صباحا .. وكنا اتصلنا به تليفونيا ..

وفي الموعد المحدد جاءنا الدكتور عمر واتصل بفندق هلتون .. وحجز لنا فيه غرفه فانتقلنا إليها حالا .. واستقر بنا المقام فيها .. وقال الدكتور أنتم الآن أقرب إلى مكاني بحيث لا يفصلني عنكم إلا ما يقرب من عشرة أميال وسوف أزوركم ما بين وقت وآخر .. فشكرناه كثيراً لتجشمه مشقة المجيء الينا مع أنه يعد نفسه لشهادة الدكتوراه وهو في السنة النهائية .. كما أنه رب عائلة وأولاد .. ثم ودعنا الدكتور إلى لقاء ..

كانت الغرفة التي سكناها في فندق هلتون واسعة وذات سريرين أحدهما صار لي والآخر صار لابني سهيل والاجر اليومي سبعة وثلاثون دولاراً ومعنى هذا أن سكنى كل واحد منا في هذا الفندق الفخم لا تكلف إلا ثمانية عشر دولاراً ونصف دولار ووجدنا في هذا الفندق جميع الخدمات التي يحتاجها السائح .

في مدينة سان فرانسيسكو .

وتجولنا في مدينة سان فرانسيسكو . انها تقع فوق جبال وجزر متعددة تفصل بينها خلجان واسعة من مياه المحيط . . ورأينا البيوت متراصة في جوانب شوارعها . . ان مياه المحيط تحتل جميع السهل . . ولم تبق لهم إلا شعاف الجبال وسفوحها . . ومررنا في تجولنا بجسر عظيم يربط الجزيرة الرئيسية وجزائر أخرى وطوله فوق البحر ميلان كاملان وهو مؤلف من طابقين أحدهما للغادى والآخر للرائح . . وقد بني هذا الجسر على قواعد خرسانية وأعمدة وسقوف ليست من الحديد ولكنها من معدن استيل الصلب الذى لا يصدأ ولا يتآكل . . وهذا الجسر يعتبر أطول جسر وأعظمه في العالم كله . . وقد مررنا على هذا الجسر في غدونا ورواحنا . . ان كل طابق من طوابقه يتسع لخمسة صفوف من السيارات انه واسع جداً والسيارات والشاحنات تسير فوقه براحة تامة . . وعندما توسطنا من هذا الجسر . . أشار دليلنا إلى جزيرة في عرض البحر . . وقال ان هذه الجزيرة من صنع الانسان . . ونظرنا إلى تلك الجزيرة فاذا هي عامرة بالمباني والأشجار . . آهلة بالسكان . .

ثم أشار الدليل إلى بناية صغيرة في الجزيرة الكبيرة من جزر سان فرانسيسكو وهي تطل على أحد الخلجان .



منظر عام لمدينة سان فرانسيسكو

وقال ان هذه البناية كانت في زمان مضى هي أعلا بناية في المدينة .. أما الآن فهي كما ترون قميئة حقيرة متواضعة أمام تلك المباني الهائلة الارتفاع والتي ترونها عن يمينها وشمالها .

ونظرنا إلى تلك البناية وما حولها .. فرأينا عمارات يبلغ ارتفاعها خمسين طابقاً .. بينما تلك الطويلة في ما مضى لا تتجاوز العشرة طوابق .

ثم أشار الدليل إلى عمارتين هما أعلا المبانى في الجزيرة الام من جزر المدينة .. وقال ان هاتين البنايتين يملكهما بنك أمريكان أف . وبنك أمريكان أف يملكه شخص بدأ حياته يبيع الخضار .. ثم تطور في تجارته .. حتى استطاع انشاء هاتين العمارتين اللتين ترونهما .. وقد فتح في احديهما بنكاً يعتبر من أقوى بنوك أمريكا .. ثم استغل ما بقى من العمارتين .

ونظرنا إلى تلك العمارتين فاذا هما تحتلان قلب المدينة .. وتشرفان على جميع عماراتها انهما ثمرة الكفاح والتفكير السليم ..

عدنا إلى الجزيرة الام من جزر المدينة وواصلنا سيرنا فيها .. ومررنا بحي قديم شوارعه ضيقة وبيوته

مترابطة بجوانب هذه الشوارع . . ولا يزيد ارتفاع هذه البيوت عن الطابقين أو الثلاثة . . وقال لنا الدليل ان هذا الحى يعتبر من أقدم أحياء المدينة وأرضه تسمى قولدن لأن الذهب كان يوجد بكثرة في هذه الأرض . . وسمع الناس بوجــود الذهب في هذه الأرض فوفدوا إليها من كل مكان . . وجنوا ما كان فيها من ذهب ثم عمروها . . وما زال العمران يمتد وينمو حتى بلغ ما ترون .

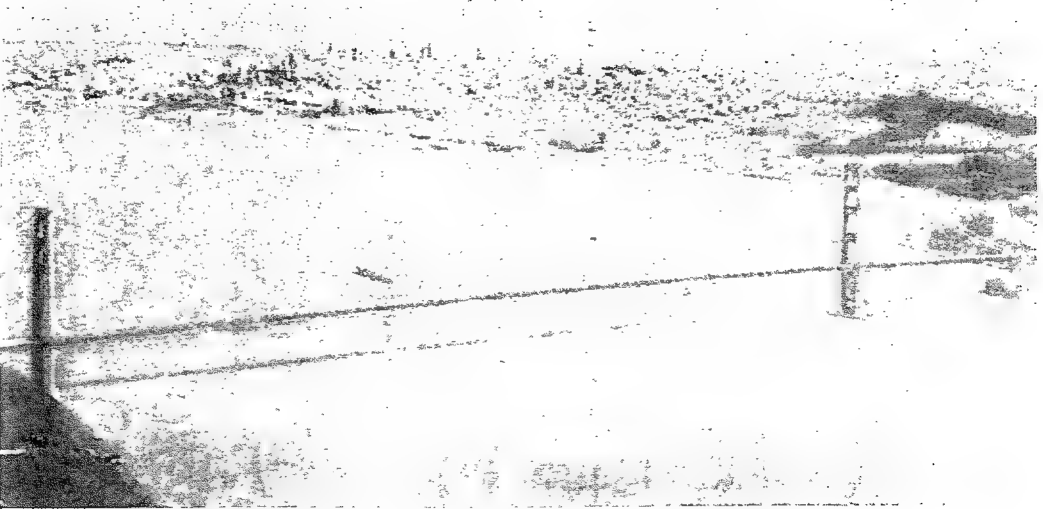
وواصلنا سيرنا حتى صعدنا إلى اعلا قمة في الجزيرة . تشرف على جميع أجزاء المدينة بجزرها وخلجانها وجبالها . فوقفنا فوق هذه القمة . . وصرنا نجيل النظر في جميع الجهــات . . ونرى الأحيــاء الحديثة . . ونرى تلك الخلجان من البحر . . وهي تحتل جميع السهول . . ولا تبقي للسكان إلا الجبال وسفوحها . . وبعض الكثبان المرتفعة عن سطح الماء ولذلك فان المبانى أخذ بعضها برقاب بعض بجوانب شوارع معظمها ضيق بعض الشيء . . وبعضها وهو الأقل واسع تسير فيه السيارات والحافلات التي منها ما يمشي بقوة البنزين . . ومنها ما يسير بقوة الكهرباء .

وهبطنا من هذه القمة بعد أن شاهدنا ما شاهدنا واستمر بنا المسير بين تلك السفوح الخضراء . . والبيوت

الصغيرة المترابطة حول شوارعها . . ووصلنا إلى حديقة عامة كبيرة وقال لنا الدليل ان هذه الحديقة تعتبر من أكبر الحدائق العامة في العالم وقد أتي لها بغرائب الأشجار والنباتات والزهور . . من جميع بلاد الله الواسعة . . وهي تحتل مساحة كبيرة من الهضاب والسفوح تقدر بألف وخمسة عشر هكتارا مربعاً . وتجو لنا في تلك الحديقة بسيارتنا . . وشاهدنا كل ما قاله الدليل عن يميننا وشمالنا . .

وخرجنا من تلك الحديقة .. ومررنا بحي آهل بالسكان كثيف البنيان وقال الدليل انه يوجد في هذا الحي خمسة آلاف كنيسة . . فتعجبنا من كثرة الكنائس . . وظننا أن هذا الحي خاص بكنائس سان فرانسيسكو . . وانه مقر الديانة والمتدينين . ولكن الدليل أردف بقوله ويوجد في هذا الحي ستة الاف ملهى . وهنا المتناقضات ورأينا الشر أكثر من الخير . . والفساد أكثر من الصلاح . . وصدق الله العظيم . . وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين . .

واستمر بنا المسير حتى وصلنا إلى جسر عظيم آخر يسمى البوابة الذهبية . . وهو يمر فوق أحد خلجان المحيط . ويربط كثيراً من الجزر بالجزيرة الأم . . انه طابق واحد ويبلغ طوله ميلين إلا ربع ميل . . أى ان الجسر الأول أطول منه بربع ميل . . وعبرنا فوقه إلى تلك الجزر . .



منظر الجسر العظيم في سان فرنسيسكو

ثم عدنا دون أن نتوغل فيها . . وقال لنا الدليل . . إن إنشاء هذا الجسر سابق لإنشاء ذلك الجسر العظيم الذى رأيناه سابقاً وان المهندس الذى فكر في إنشائه اخبر الحكومة بفكرته فجمعت كثيراً من المهندسين واستشارتهم فقالوا ان انشاء هذا الجسر صعب وقد يكون مستحيلا ولكن المهندس صاحب الفكرة كان مؤمناً بفكرته مندفعاً إليها إلى أبعد الحدود . . فشرع في إنشائه . . مع ان هناك شكاً في نجاحه . وتحققت فكرته بعد جهود شاقة . . ومصاريف باهظة في الأموال وخسائر في الأرواح . فقد مات أثناء العمل بعض العمال . . وبعض المشرفين على العمل . . وانتهت رحلتنا هذه بالانتهاء من رؤية ذلك الجسر العظيم الذى وفر لسكان تلك الجزر اتصالهم بالجزيرة الأم بطريق مختصر مأمون العواقب بينما كانوا سابقاً يعبرون ذلك الخليج المتلاطم الأمواج . . عندما يريدون الوصول إلى الجزيرة الأم . . بواسطة السفن .

ثم في فترة أخرى قمنا بجولة بحرية حول الجزيرة الرئيسية من جزر مدينة سان فرانسيسكو . . ومررنا من تحت الجسرين العظيمين اللذين حدثتك عنهما سابقاً ورأينا جسوراً أخرى تربط بين بعض تلك الجـــزر . . ولكنها ليست في ضخامة ذينك الجسرين العملاقين . .

ورأينا تلك الصبات الخرسانية الضخمة ورأينا تلك القضبان والأشرطة أو الحبال المصنوعة كلها من معدن صلب لا يصدأ .. ولا يتآكل ورأينا البناء العجيب لهذين الجسرين العظيمين من أعلا ومن أسفل ..

ورأينا جمال الهندسة وجمال التصميم .. ان هذين الجسرين إحدى عجائب الدنيا التي يندر وجودها انه العزم والتصميم .. انه الفكر السليم الذى يصنع ما قد لا يخطر على البال .. ولا يدور إلا في خيال العباقرة من الرجال .. ولقد تذكرت في هذه المناسبة قول الشاعر العربي القديم :—

أتبني بنـــاء الخالدين وإنمـــا

مقامك فيهـــا لو علمت قليل

ثم تذكرت الحكمة التي تقول اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا .. واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .. ولكن أين من يعمل بهذه الحكمة .. اننا في غمرة هذه الحياة الفانية .. ننسى الحياة الباقية .. اننا نعيش في سكرة لا يوقظنا منها إلا احداث الدهر ..

وتقلبات الزمن .. وضعف الكبر .. أو ضعف

المرض .. ألا ما أعجب هذا الإنسان وما أعجب قدرة الله التى صنعت هذا الإنسان .

ما رأيك أيها القارىء الكريم ألا أصلح واعظاً .. ألا أصلح مزهدا في الدنيا مرغباً في الآخرة .. انني الآن لا أسمع صوتك ولا أعرف رأيك فقد يكون بالنفى وقد يكون بالايجاب وسواء كان هذا أو ذاك فانا أعرف بنفسي منك وأنا لم أعظ نفسي فكيف أعظ الآخرين .. انها مجرد خطرات .. تمر بالبال في بعض الساعات .. ثم تتبخر مع الأوقات ..

في هذا اليوم قمنا بجولة ثالثة في إحدى الجزر القريبة من سان فرانسيسكو .. وشاهدنا محطة القطار الذى يسير تحت الأرض .. وتحت الجبال وتحت خلجان البحر .. ولم نجـــد في هذه المحطة الكبيرة أحـــداً من الموظفين إلا مراقباً واحداً يقف عند الباب ان في هذه المحطة الكبيرة آلات الكترونية .. مكتوب بجانبها على لوحة كبيرة أسعار التذاكر من محطة إلى أخرى .. وما على الراكب الا أن يضع السعر المحدد في تلك الالات الالكترونية .. فتخرج له تذكرة الركوب .. فيأخذ هذه التذكرة ويضعها في فتحة بالقرب من الباب الذى يتجه إلى القطار .. فينفتح له الباب .. فيسير إلى ذلك القطار الذى ذكرت

لك أنه يسير داخل الأرض بسرعة تبلغ خمسة وسبعين ميلا في الساعة . . أي ما يقارب المائة والعشرين كيلو . . وتتصل خطوط هذا القطار بجميع أحياء المدينة . . كل حي له محطة خاصة قد أوضح الطريق إليها في خرائط دقيقة معلقة فوق حيطان المحطات .

في جامعة بيركلي .

ثم خرجنا من تلك المحطة . . واتجهنا إلى جامعة بيركلي . . انها جامعة عظيمة أنشئت أولى كلياتها منذ مائة سنة . . ثم ما زالت تتسع وتتكامل كلياتها وإنشاءاتها حتى صارت من أكبر جامعات أمريكا . . وهذه الجامعة تضم بين جنباتها ما يقرب من خمسة وثمانين ألف طالب من مختلف الجنسيات والشعوب والأمم :

ولقد تجولنا في هذه الجامعة . . ورأينا حدائقها وميادينها . . وإنشاءاتها الكثيرة ورأينا جحافل الطلاب يروحون ويجيئون اليها . . منهم الصادر ومنهم الوارد من رجال ونساء . . شباب وشيوخ فتيان وفتيات .

وهالتنا تلك الأعداد الضخمة من الطلاب . . الذين منهم من قد انتهت محاضراته ومنهم من سوف تبدأ . .

ومنهم من هو لا يزال في قاعات المحاضرات . . انها أعداد من الشباب تفوق الحصر . . والتقدير الذي ذكرته للطلاب هو تقدير تقريبي . . قد يكون أقل من الواقع . . وقد يكون الواقع أكثر منه . .

وبهذا انتهت جولاتنا في سان فرانسيسكو وقد استمرت يومين كاملين لم نذق فيهما طعم الراحة . . فقد حددنا اقامتنا فيها بثلاثة أيام . . ذهب منها يوم في الانتقال من فندق إلى فندق . . وبقي يومان شغلنا جميع ساعاتهما بالتنقل من مكان إلى مكان . . ومن مشهد إلى آخر . . حتى رأينا معظم ما ينبغي للسائح أن يراه . . وقد تكون فاتتنا في هذه الجولات السريعة رؤية ما ينبغي أن يرى وقد نكون رأينا مشاهد غابت عن الذاكرة أثناء الكتابة .

فقد كنا نسابق الزمن . . والزمن أسبق منا فهو لا يكل ولا يمل الدوران . . أما نحن فمن لحم ودم . . اننا نسأم ونمل . . وعند السأم والملل تعمى الذاكرة ويعمى البصر والتفكير والاستيعاب . . فاقبل أيها القارىء الكريم هذه اللمحات الخاطفة . . واعذر شيخاً قد فقد الكثير من حيوية الشباب . . وخيال الشباب وذاكرة الشباب . . انني لا أسأم من ترديد كلمة الشباب . . انها كلمة ساحرة

جذابة قد لا يعرف سحرها وجاذبيتها إلا الشيوخ . . وطالما تغنى الشيوخ بالشباب انهم لم يعرفوا فضله ومزاياه إلا عندما انسلخ من أعمارهم . . وبقيت لهم سنوات الضعف والوساوس . . وفقدان أو ضعف كثير من الحواس التي هي منافذ اللذة والطرب . . والتمتع بمباهج الحياة . . ان كثيراً من الأشياء لا يعرف المرء قيمتها حتى يفقدها فإذا فقدها ظهرت له القيمة الحقيقية لتلك المزايا التي كان يتمتع بها ويعيش في أحضانها . .

أراني أيها القارىء الكريم قد خرجت عن الخط الذى أسير فيه . . ولكن الحديث ذو شجون فاعذر شيخا يرى الكثير من متع الحياة ومباهجها عن يمينه وشماله وبين يديه فلا يستطيع أن يتمتع بما يحل منها . . إلا بالنظر انها حاسة واحدة . . أما الشباب فهم يتمتعون بجميع حواسهم التي لا تزال في عنفوان القوة والنشاط .

والآن فلنقف عند هذا الحد لاشير إلى ظاهرة جميلة رأيتها في جميع المدن الأمريكية وهى ظاهرة الطرق التي تسمى هاي وي . . وهي طرق ذات اتجاه واحد . . وهاي وي أي الطريق المرتفع . . وهي قد لا تكون مرتفعة في كل أجزائها . . فقد يمر فوقها جسور للسيارات أرفع

منها ولكن ميزة هذه الطرق أنه ليس فيها اشارات ضوئية توقف السائر عليها في بعض الأحيان . . بل ان السيارة تسير فوقها بلا توقف . . وارتفاع هذه الطرق أو تعليل تسميتها أنها مرتفعة معنوياً . . حيث لا حواجز تعوق السير فوقها . . وهناك طرق أخرى تسمى أيضاً الهاي ويز أي الطريق المرتفع ذو الاتجاهين أحدهما للذاهب والآخر للقادم . . وهي على نفس النسق الأول فلا يعترضها تقاطعات . ولا يعترضها اشارات ضوئية .

وفي كل مدينة من مدن أمريكا عدة طرق من هذا النوع . . والسرعة في هذه الطرق محدودة بخمسة وخمسين ميلا في الساعة . . لا يحق لسائق السيارة أن يتجاوزها حتى ولو كان الطريق خالياً ولو حدثته نفسه بأن يتجاوز ما حدد له لم يشعر إلا بسيارة المرور تتبعه . . ثم توقفه وتحاسبه على مخالفته . . ثم تسجل تلك المخالفة في ملفه الخاص ثم تضيف اليها ما يتجدد من مخالفات . . فاذا بلغت هذه المخالفات حدا معروفاً للجميع سحبت منه رخصة القيادة . . وحرم منها لمدة لا أعرف قدرها ولكنها بلا شك تتناسب مع حجم المخالفات التي ارتكبها .

وإذا وقع تصادم في أحد الشوارع . . فإن السيارات المتصادمة لا تبقى في الشارع أكثر من ربع ساعة إلى ثلث

ساعة . . لأن كل حادث تصادم يقع يتجه إلى مكانه ثلاث سيارات . . سيارة المرور وسيارة الأسعاف . . وسيارة ثالثة هي رافعه تسحب ما يصاب بالخلل من السيارا ت . .

انها إمكانيات وقوى هائلة قد خصصت لهذه الحالات ثم فرقت في جوانب المدينة ولها مركز رئيسى هو الذى يوجه تلك الفرق إلى الحوادث التي تقع بالقرب منها . .

ان الحديث عن أنظمة المرور طويل فلنتوقف عند هذا الحد . .

إلى جزر هاواي

إلى جزر هاواي .

انتهينا من زيارة بعض الولايات المتحدة الأمريكية ومدنها الكبيرة الصاخبة وحان وقت الرحيل إلى جزيرة هنولولو من جزر هاواي الثمان . .وهذه الجزر طبعا ولاية من ولايات أمريكا . . ولكنها تعتبر على هامش تلك انها جزر صغيرة في وسط المحيط الهادي بين اليابان وأمريكا . . وتحركت بنا إحدى الطائرات الأمريكية في موعدها . . وحلقت بنا في الجو فوق مدينة سان فرانسيسكو . . بجبالها وخلجانها وعمرانها وحدائقها . . وبعد خمس دقائق من تحليقها على المدينة . . شرعنا في التحليق فوق المحيط . . وكانت السحب والغيوم تغطي صفحة المحيط . . بينما كانت مدينة سان فرانسيسكو لا غيوم في أجوائها . . فهل هذه السحب واقفة في مكانها لا تتحرك . . أم أنها متحركة ولكنها كلما قاربت . . أجواء المدينة تبخرت وذابت في الجو . . انني لا أدرى ولا المنجم يدرى . .

وقد كان اقلاعنا في الساعة الثانية بعد الظهر وموعد وصولنا إلى هنولولو في تمام الساعة الخامسة . . أي أن

مدة طيراننا ستكون ثلاث ساعات فقط هكذا كنت أتصور . . ولكن الحقيقة كانت تخالف تصورى فقد كان الفرق بين توقيت فرانسيسكو وتوقيت هنولولو ساعتين . . ومعنى هذا أننا سنبقى في الجو خمس ساعات متواصلة نطير فيها فوق المحيط . . وكانت اشارة ربط الحزام مستمرة طيلة طيراننا . . واهتزازات الطائرة مستمرة كذلك . .

وقد خطرت على بالي خواطر مزعجة ووساوس مخيفة . . فقد قالت لي نفسي ماذا يكون لو حدث أثناء هذه الرحلة الطويلة خلل في أحد محركات هذه الطائرة ثم حدث خلل في المحرك الثاني . . ثم اضطرت الطائرة إلى الهبوط . . فأين تهبط ؟ وماذا سيكون مصير ركابها الذين أنا واحد منهم . . خطرت على بالي هذه الوساوس . . وحاولت أن أطردها . . فتشاغلت بالقراءة تارة . . وتارة أخرى بمشاهدة الأفلام التي يعرضونها على الشاشة البيضاء . ثم انتهت الرحلة ولله الحمد بسلام . . ووصلنا إلى جزيرة هنولولو التي هي احدى جزر هاواى الثمان . . وجزيرة هنولولو ليست أكبر هذه الجزر . . فهناك جزر أكبر ولكنها واقعة في الوسط من هذه الجزر . ولهذا صارت همزة وصل بين قارتين عظيمتين هي أمريكا بجميع أجزائها . . وآسيا بكل أجزائها . .

وصلنا مطـــار هنولولو وكنا قد حجزنا سيـارة استأجرناها في اليوم بخمسة عشر دولاراً انها سيارة ليس فيها سائق . . اننا نحن الذين سنسوقها . . ووصلنا الفندق . وعرفنا غرفتنا فيه . . ووضعنا أمتعتنا . . ثم خرجنا نتجول حوله . . فوجدنا كشكا فيه فتاة وقد كتب على كشكها . . لدينا سيارات للأجرة بأربعة دولارات ونصف في اليوم . . فشعرنا بالغبن وسألنا الفتاة عن هذا السعر فقالت إنه صحيح . . فلدينا سيارات بهذه الأجرة . . ولكن أقل مدة أسبوع كامل . .

فقلنا لها إننا لن نقيم إلا ثلاثة أيام فقط . . . فهل يمكن تأجيرنا . . فقالت إنني آسفة فأقل مدة هي كما ذكرت لكم سابقاً . .

ثم تجولنا بعـــد ذلك بسيارتنا في الجـــزيرة . . لقد كنت أتصورها صغيرة . . يمكن أن نقطعها طولا وعـــرضاً مشياً على الأقدام . . ان لم يكن في جـــولة واحدة ففى جولتين . . وان لم يكن في جولتين ففى ثلاث . . ولكنه اتضح لي فيما بعد أن تصورى خاطىء فقد سرنا في إحدى اتجاهاتها فوصلنا إلى نهايته بعـــد ما يقرب من خمسين ميلا . . وتجولنا في الجانب المقابل وقطعنا ما يقرب من خمسين ميلا أيضاً . . ولكننا لم

نبلغ نهاية الجزيرة . . انها واسعة أكثر مما كنت أتصور وفيها مزارع واسعة لأشجار الأناناس . . وقصب السكر . . ولمزروعات أخرى . . ورأينا مصنعاً كبيراً لإنتاج الأناناس . . ورأينا أراضي واسعة لا تزال بكراً وهي خالية من العمران والزراعة . . وفي هذه الجزيرة عدة قرى ومدن آهلة بالسكان . .

وتجولنا داخل المدينة الرئيسية ان فيها عمارات عالية كثيرة يبلغ ارتفاعها ما يقرب من خمسين طابقاً وفيها حركة تجارية هائلة . . وفيها سياح من جميع أجناس البشر . . وشوارعها غاية في النظافة والسعة وقد أعجبنا بكثرة حدائقها العامة . . وسعة هذه الحدائق وجمال تنسيقها وجمال أشجارها وزهورها وأعشابها . .

لقد رأينا القشرة . . رأينا الظاهر من هذه الجزيرة وهو ظاهر جميل جذاب . . أما بواطن الأمور فاننا لم نعرف عنها شيئاً . . والسبب في ذلك أن إقامتنا فيها يومان فقط . . وسوف نسافر منها في اليوم الثالث . . ولهذا فانني لن أستطيع أن أحدثك أيها القارىء الكريم إلا بالقليل عن هذه الجزيرة . . ولكن هذا القليل الذى سوف أحدثك عنه . . أو أحدثك به سوف تكون فيه الكفاية . . ورب ظاهر دل على باطن . . ورب قليل أغنى عن كثير . .

وقد يكون هناك خداع في المظاهر في بعض الأحيان . . فقد تخفى بعض المظاهر تحتها أنواعاً من المآسي والآلام . . وتلك أمور لا أستطيع أن أحدثك عنها حديث خبير فالخبرة تحتاج إلى وقت طويل . . وأنا عابر سبيل . . لم يتوفر لي في هذه الجولات الخاطفة كلما أريده أنا وتريده أنت . .

والمهم في هذه الجولات أن نتعرف على بعض الملامح لما نمر به من من بلاد وشعوب . . نحن أحوج ما نكون لمعرفتها . .

ولقد وجدنا أهل هذه الجزيرة والزائرين لها على سواحل البحر الذي يحيط بجزيرتهم من جميع الجهات ... انهم يسبحون فإذا ملوا من السباحة . . خرجوا إلى الرمال البيضاء التي تغطى جميع سواحل البحر في جزيرتهم . . ثم عرضوا أجسامهم لاشعة الشمس لا للدفء . . فالجو عندهم صائف . . بينما هو في بلاد أخرى شات .

انهم يعرضون أجسامهم للسمار لا للدفء . . ومعظم الذين يأتون إلى هذه الجزيرة زوارا اما من الشيوخ الأغنياء رجالا ونساء . . أو من الشباب المتزوجين حديثاً والذين يأتون إلى هذه الجزيرة المعتدلة المناخ ليقضوا فيها شهر العسل.

من هواجس الغربة واحاسيسها .

لقد بدأت أحس بثقل الغربة . . وأضيق بالبعد عن بلادى . . مع أنني انتقلت من جزء من عائلتي إلى جزء آخر . . ولكنني انتقلت من الأكثر إلى الأقل وفارقت الأصل إلى الفرع والفروع لا تغني عن الأصول . . والأقل لا يغني عن الأكثر .

ثم هناك الوطن . . الأرض التي خلقت منها والجو الذى استنشقت هواءه . . والمجتمع الذي ألفني وألفته . . والأخوان والأحبة . . الذين ترتفع الكلفه بيني وبينهم . . ان الوطن هو مجموعة الأرض والمجتمع الذي افتقده الآن واحن اليه كما تحن الابل إلى معاطنها الأولى . . واى إنســان وفي يرضى أن يكون الحيــوان البهيم أكثر وفاء منه . . واشد التصاقاً بالأرض التي نبت منها جسمه . ونمت في اجوائها احاسيسه . . وانطبعت في ذهنه سهولها وجبالها

ولقد بلغ من شدة شوقي إلى بلادي أنني صرت إذا وجدت صحيفة صادرة منها أقرؤها من الجلدة إلى الجلدة . حتى الاعلانات التي كنت لا اهتم بها صرت أقرؤها حرفاً حرفاً وسطراً سطراً بينما كنت وانا في بلادي لا أقرا

تلك الاعلانات . . ولا أقرأ كثيراً من الصفحات . . وانما أقرأ كلمات معينة . . أما الباقي فانني أمر عليه مرور الكرام . . ولا أعيره أى اهتمام . . انها الغربة . انه الحنين إلى الوطن يتمثل في حب أى شيء يصدر منه . . أو أي خبر يأتي عنه . .

وأتذكر في هذه المناسبة أن ولدى في أمريكا كان يطلب منا ان نرسل اليه بعض الجرائد المحلية . . ويلح في هذا الطلب . . انه يريد أن يكون على صلة مستمرة ببلاده . . انه يريد أن يعرف بواسطة هذه الصحف ولو بعض أخبارها . وكنت أنا في نفس الوطن لا أشعر بمثل تلك المشاعر التي يحس بها ولدى وهو في دار الغربة . . ولذلك فانني كنت لا ارسل اليه شيئاً من هذه الصحف . . وأقول في نفسي انها قد تشغله عما هو مسافر من أجله . . ثم ان لديه في تلك الدولة التى بلغت القمة في الحضارة والتقدم ما سوف يغنيه ويرضيه ويملأ فكره ووقته . .

ولكنني عندما تغربت مثله . . وشعرت بمثل مشاعره عذرته . . وعلمت صدق الشاعر العربي الذي قال :—

لا تعـــذل المشتاق في اشـــواقه

حتى يكون حشـــاك في أحشائه

نعم لا تلم أي مشتاق على أشواقه حتى تمر بنفس التجربة التي مر بها . . وحتى تحس بنفس الأحاسيس التي يحس بها . . وبعد ذلك فلمه . . أولا تلمه واعذله . . أو اعذره . . ومن المؤكد أنك سوف تعذره . . ولا تعذله وسوف تواسيه . . وتعينـــه على ما يبرد غلته . . ويشفى علته ويزيل من طريقه الحواجز والعراقيل . .

وهناك أناس يدعون إلى الغربه ويشجعون عليها ومنهم الشاعر الذي يقول :ــ

سافر تجد عوضا عما تفـــارقه

وانصب فان لذيذ العيش في النصب

وأنا أقول لهذا الشاعر انني سافرت فلم أجد عوضاً عمن فارقته . . أما لذة العيش في النصب فهذا صحيح . . ولكن يجب أن لا يكون هذا النصب مرهقاً . . فالارهاق مدمر للبدن . . ومدمر للأعصاب . . ومن دمرت أعصابه وبدنه احترق سريعاً . .

ولا أعتقد أنه يفضل الغربة إلا أحد ثلاثة رجال رجل نبذه مجتمعه فهو يبحث عن مجتمع يؤويه ويرضيه . . وقد يجده . . وقد لا يجده . .

أو رجل يطلب علماً لا يجده في بلاده فيستلذ التعب والنصب في سبيل العلم والمعرفة .

وثالث يبحث عن المال والثروة التي قد يكون حرم منها في بلاده . .

وأنا بحمد الله لست واحداً من هؤلاء الثلاثة . .

ولذلك فأنا مع الشاعر الذى يقول :

وطني لو شغلت بالخلـــد عنـــه

نازعتني إليه في الخلـــد نفسي

يقول انه لو سكن دار الخلد لحن إلى وطنه في دار الفناء . . وهذا طبعاً من مبالغات الشعراء التي لا يحلو الشعر إلا بها . . لأن الشعر كما يقولون . اعذبه أكذبه . . وإلا فانه لا يوجد عاقل متزن الأفكار يفضل دار الفناء على دار البقاء . . ويحن إلى الفرع بينما هو يتمتع بمزايا الأصل . .

فدارنا الأولى التي هاجرنا منها للامتحان والابتلاء هي الجنة . . التي سكنها أبونا آدم وأمنا حواء . . أول ما خلقوا . . ثم خرجوا من هذه الجنة على أثر ذلك الحسد الذي وقع بين أبينا آدم وابليس لعنه الله . . فخرجنا بأسباب هذا الحسد من الجنة وهبطنا إلى الأرض . . لأمور قد أرادها الله وقدرها ولا مفر من ارادة الله وقدره .

ونحن الآن نلقى من آثار هذا الحسد الذي وقع بين أبينا آدم وابليس ألوانا من العنت والابتلاء والامتحان . . ولا يعلم إلا الله من سوف ينجح في هذا الامتحان . . أو يقع في حبائل الشيطان . . وقانا الله شر أحابيله وأباطيله .

الولاية الواحدة والخمسون .

ونأتي الآن إلى أمريكا بولاياتها الخمسين . . أو ان شئت فقل بولاياتها الواحدة والخمسين . . وقد تسألني أيها القارىء الكريم عن هذه الولاية الزائدة على الخمسين . . لأن ولايات أمريكا خمسون فقط . . فأقول لك ان هذه التي زدتها وأعلنت عنها . . هي ولاية أمريكية غير معلنة من أمريكا . . انها إسرائيل انها الولاية المدللة بين جميع الولايات . . حتى ولو لم يعلن عنها . .

لقد كادت أمريكا أن تعلن الحرب بسبب هذه الولاية . . ان امريكا تضرب بمصالحها الكثيرة عرض الحائط في سبيل ارضاء إسرائيل . . وتعزيزها والشد من أزرها . . ان امريكا تمنح إسرائيل كل تأييدها المادى والمعنوي . . وتقف بجانبها في مواقف العدالة . . وفي مواقف الجور والعدوان ان أمريكا تمنح إسرائيل كل مقومات الحياة من الرغيف إلى المدفع إلى الطائرة انها تؤثرها حتى على نفسها . . فهي تعطيها الأسلحة المتقدمة

.. بينما جيشها وقوة دفاعها في أمس الحاجة إلى هذه الأسلحة .. أما نحن أصدقاؤها العرب .. فهي تمنحنا صداقتها .. تمنحنا وعودها .. تمنحنا الآمال العريضة في أنها سوف تحل هذه المشكلة بما يتفق مع الحق والأنصاف .. انها وعود .. انها كلمات .. انها آمال .. ونحن العرب عاطفيون نصدق ما نسمع ولكننا نتعامى عما يعمل .. نتعامى عما يقول أجدادنا من حكم وأمثال تركوها لنا لتكون لنا منارا .. لتكون لنا مشاعل هداية لقد نسينا تلك الحكم والأمثال .. واندفعنا في أودية الخيال .. ولولا هذا الاندفاع لتذكرنا قول الشاعر العربي القديم :

تـــود عـــدوي ثم تـــزعم انني

صديقك هـــذا ما علمـــت محال

وليت الأمر اقتصر على الود والحب فيما بين أمريكا وإسرائيل .. انه لو كان ودا وحباً فقط لهان الخطب .. ولكان هناك مجال للتفسير والتأويل .. ولكن الأمر تجاوز الحب والود .. وتجاوز كل الحدود المتعارف عليها في العلاقات بين الشعوب .. ان إسرائيل تحظى من أمريكا .. بأكثر مما تحظى به أية ولاية أمريكية أخرى .. إنها أكثر من ولاية .. انها الولاية المدللة التي تحظى بنصيب الأسد من عطف أمريكا .. ومساندة أمريكا قولا وعملا

لا يخفى على الأعمى فضلا عن البصير . . لقد شعرت وأنا في أمريكا . . بأن هناك أصواتا كثيرة تعارض هذه السياسة . . وتشجبها . . وترى أن مصالح أمريكا ككل أولى بالرعاية والأفضلية من التحيز لاسرائيل . . ومساعدة إسرائيل في الحق وفي الباطل . . إذا كان مع إسرائيل شيء من الحق في تصرفاتها . . ولكن تلك الأصوات المعارضة تطغى عليها وسائل إسرائيل . . المتعددة الجوانب . فاليهود في أمريكا يملكون إمكانيات ضخمة من الأموال . . والمال هو المعبود الوحيد في أمريكا . . ثم يملكون علاوة على المال وسائل الدعاية من صحف وإذاعات . . ومحطات تليفزيون . . وهم علاوة على هذا أو ذاك لديهم انصار واعوان في المجالس النيابية . . والمجالس القضائية . . ونقابات العمال وفوق هذا كله فلديهم العلماء والفلاسفة والأطباء . . الذين يتغلغلون في المجتمع الأمريكي . . ويسعون جاهدين لاظهار إسرائيل بمظهر المسالم الذي يريد العيش بسلام . . ولكن العرب الذين صفتهم كذا وكذا لا يريدون لها العيش بسلام . . انهم هواة حرب وقتال ودمار . . ثم يدللون على كلامهم هذا بما يطلقه بعض السفهاء منا من تصريحات . . وتهديدات تساعد عدونا . . أكثر مما تخيفه . . وتجعله يتخذ من هذه التصريحات سلما ينال به عطف الدول والشعوب . . وعون الدول

والشعوب ووقوف الدول والشعوب بجانبه انخداعا بدعايته وانخداعاً بكلماته التي يصوغها بمهارة فائقة تخفى تحتها الحقيقة . وتخفى تحتها المآسي والأطماع التي يبيتها لنا هذا العدو الشرس الذي لم تبل بمثله امة من الأمم . . لا في القديم ولا في الحديث . . وأنا لا أعفي الدول العربية من اللوم لقد ساعدت على قيام هذا الكيان الغريب الدخيل في قلب الوطن العربي . . من حيث تشعر أو لا تشعر . . مع ان هذا الكيان ليست له مقومات البقاء لأنه لا يعتمد على نفسه . . وإنما يعتمد على الدعم الخارجي في التسليح والتمويل والاقتصاد ولو اتفق العرب لكان من السهل إذابة هذا الكيان ، وإزالته من الوجود العربي . . واقتلاع جذوره . . إذا كان له جذور — من تراب بلادنا العزيزة . . فالعرب لو كانوا يدا واحدة . . واتفقوا . . وصب كل واحد منهم كوبا من الماء في اتجاه إسرائيل لغرقت هذه الدويلة ولتلاشت من الوجود العربى . . ولكن اختلاف العرب هو الذى سلب منهم في القديم الفردوس المفقود في الأندلس . . واختلافهم اليوم هو الذي يهدد مستقبلم في عقر دارهم .

فيـــارب هل إلا اليك شكاتنا

ويارب هـــل إلا عليك المعول

إلى طوكيو ـ اليابان

إلى طوكيو — اليابان .

كان موعد اقلاعنا من مطار هنولولو في الساعة الحادية عشرة والنصف أي قبل منتصف النهار بنصف ساعة . . وكنا في يوم الاثنين ولكن وصولنا إلى طوكيو سيكون في يوم الثلاثاء في الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر . . وحلقت بنا الطائرة في موعدها المحدد .

كانت الطائرة اليابانية من طراز جت ٧٤٧ وكان الركوب فيها مريحاً . . لم نشعر فيها بأي اهتزازات مزعجة . . وكانت الخدمة فيها ممتازة . . فقد قدموا لنا أول ما قدموا منديلا حارا ملفوفاً . . لنمسح به أيدينا واوجهنا لتنظيفها مما قد يكون علق بها من تراب أو غبار أثناء حمل الأمتعة وإنزالها . . وكتابة الأوراق وتقديمها . . انه تقليد جاباني لطيف يدل على ذوق . . ويدل على دقة . . ويدل على نظافة متناهية . . في السمو الخلقي والصحي .

وقد أكلنا في هذه الطائرة وجبتين كاملتين مع ما يتخللهما من أنواع المشروبات من عصير وقهوة وشاي .

وكان الجو غائماً والضباب يحجب عنا روءية ما نمر به . . . وكنا لا نحرص على روءية ما هو خارج هذه الطائرة . . فليس فوقنا الا السماء . . وليس تحتنا الا محيط متلاطم الأمواج بغيومه وضبابه . .

ووصلنا إلى طوكيو في الموعد المحدد بعد ان حلقنا في الجو تسع ساعات كاملات وكان وصولنا قبل غروب الشمس بساعتين من يوم الثلاثاء . . ولكن الشمس كانت قد غربت عن هونولولو منذ أربع ساعات .

لقد كنا نسير مع الشمس . . ولكن الشمس طبعاً أسرع منا . . فكيف خسرنا يوما من عمرنا . . مع أننا لم نبق في الجو إلا تسع ساعات .

ولقد كنت سمعت أن الذي يسافر عن طريق الشرق يكسب يوماً زائداً من عمره واراني الآن قد خسرت بدل أن أربح . . انها عملية حسابية فلكية . . وأنا لست حاسباً ولا فلكياً . . ولا أكتمك أيها القـــارىء الكريم انني أضيق ذرعاً بالحساب . . وأضيق ذرعاً بعلم الفلك . . لأنه أيضاً يعتمد على الحساب . . والحساب يعتمد على ارقام وحقائق . . وانا خيالي احب الانطلاق من قيد الحقيقة إلى دنيا واسعة لا تحدها الحدود . . ولا تقيدها القيود . . ولهذا فانني لم أستطع معرفة سر هذا الاختلاف في الأيام

والتوقيت . . والمهم اننا وصلنا إلى إجواء طوكيو وهبطت الطائرة بسلام . . ولكننا لم نستطع أن نرى شيئاً من اجزاء المدينة . . فقد كان الضباب يملأ الجو . . فلا تمتد أبصارنا إلى ابعد من جناح الطائرة . .

وكنت حجزت غرفة في فندق يسمى فندق اوكورا . . وهو فندق فخم واسع الأرجاء له اجنحة متعددة . . وكان سكني في الجناح الجنوبي . . ويظهر أن هناك جناحاً شمالياً وجناحاً شرقياً وجناحاً غربياً ولذلك فقد يضيع فيه الساكن في بعض الأحيان . . ويضل طريقه إلى غرفته . . فلا يهتدي إليها إلا بعد مشقة وعناء .

وكنت عندما حجزت في هذا الفندق طلبت ان يكون ممتازاً . . وان يكون بقرب السفارة السعودية التي أحمل عنوانها معي . . لأن سفارتنا في أى بلد أزوره هي الأهل وهي الوطن . . وهي المرجع لي في أي أمر يهمني . . لدى اقامتي أو سفري . . وقد اختاروا لي هذا الفندق الفخم الضخم . . على هذا الأساس . . والا فانني اكره الفخامة والترف . . واميل إلى البساطة في جميع شئوني . . وأمور حياتي . . فأنت ترى أنني اضطررت إلى هذا اضطرارا . . وهناك أمر آخر جعلني أختار مثل هذا الفندق وهو ان الفنادق الصغيرة قد لا

تجد عندها سيارات الأجرة . . وقد لا تجد عندها حافلات للتجول في انحاء المدينة . . وقد لا تجد لديها الكثير من الخدمات التي توفرها لك تلك الفنادق الكبيرة .

وقد وجدت في غرفتي في هذا الفندق كل ما اتطلبه وأكثر مما اتطلبه .

وجدت مكينة للحلاقة وفرشاية اسنان مع المعجون . . ووجدت الثلاجة مع التلفزيون . . ووجدت لباساً لطيفاً للنوم (بجامه) . . وحتى الأبرة والأسلاك والأزرار على مختلف أشكالها واحجامها . . وقد سررت بهذا كله . . مع انني أعرف مقدماً ان كل هذه الأشياء محسوبة عليَّ مقدماً وقد دخلت أقيامها في جملة المصاريف ولو بحثت عن شيء من هذه الأشياء . . لشرائها لكلفني ذلك الشيء الكثير من الجهد والوقت وقد لا أجدها . . لأنني كرجل غريب أجهل مواطنها . . وامكنة وجودها . .

وعندما استقر بى المقام في الفندق فكرت اول ما فكرت في الذهاب إلى سفارة بلادى . . انها قريبة مني . . إلا انه لا بد من ركوب سيارة أجرة . . وسيارة الأجرة متوفرة في طوكيو بكثرة . . وهي رخيصة الأجور بالنسبة لأمريكا . . وقابلت سعادة السفير السعودي وهو السيد

زين العابدين الدباغ وهو من أسرة عريقة من أسر مكة المكرمة .. وهذه الأسرة تربطني بها روابط وثيقة منذ مطلع شبابي في مكة .. فقد كان مدير المعارف في الوقت الذى كنت فيه مدرساً في مكة هو السيد طاهر الدباغ رحمه الله وهو عميد هذه الأسرة .. كما انه كان يعتبر زعيماً من زعماء مكة الأفذاذ .. فهو الذى أنشأ مدرسة تحضير البعثات فأعطت هذه المدرسة ثماراً يانعة من شباب بلادى في جميع المجالات .. وعلاوة على هذا فانها تربطني بهذه الأسرة روابط وثيقة وكثيرة سوف استعرض بعضها فيما يأتي :

في السفارة السعودية في طوكيو .

كنت في أثناء اقامتي في طوكيو إذا ضقت ذرعاً بالغربة .. وضقت بالأحاديث التي تدور حولي فلا أفهمها أفر من هذه الأجواء إلى سفارة بلدي في طوكيو. فأجد فيها من اتحدث اليه باللغة العربية .. ومن يحدثني باللغة العربية .. وعلاوة على هذا فانني أجد سعادة السفير الذي كان يستقبلني ببشاشة وترحاب .. وكان يستبقيني معه في السفارة ساعات وساعات .. وكلما هممت بالخروج طلب مني ان أبقى لا تحدث إليه .. وليتحدث إلي وأنا لا أكره طول البقاء .. ولا طول الحديث

مع السيد زين العابدين الدباغ الذي قال لي في مرة من المرات انه احد تلاميذي . . عندما قلت له إن من افراد هذه العائلة من كان زميلي في التدريس . . ومنهم من كان من تلاميذي . . اما عميد هذه الأسرة وهو السيد طاهر الدباغ الذي كنت حدثتك عنه أيها القارىء . . فانني أحمل له أو أحمل عنه ذكريات طيبه مشرفة . . فقد كنت مدرساً في إحدى مدارس مكه . . وكان هو مدير المعارف . . وكنت أزوره في مكتبه في مناسبات كثيرة تارة أشكو . . وتارة أطلب . . وكنت إذا قابلته لا أخرج من مكتبه إلا راضياً . . سواء حقق طلبي . . أو لم يحققه . ان السيد طاهر الدباغ رحمه الله شخصية فذه قل أن يجود الزمان بمثلها . .

والمهم ان السيد زين العابدين الدباغ من هذه الأسرة الكريمة . . والمعروفة للجميع . . وكنت لا أمل من الحديث إلى زين العابدين . . كما أنني لا أمل من الاستماع إلى أحاديثه . . ولعل هناك بعض الصفات التي اتفق معه فيها وهي الصراحة والوضوح . . غير ان السيد زين العابدين يمتاز عليّ بالعمق والغموض في بعض الأحيان والعمق والغموض قد يكونان من مستلزمات الدبلوماسية . . . فالدبلوماسي قد يقف مواقف تتطلب أن يكون عميقاً وان يكون غامضاً . . بحيث انه يجيب عما يسأل عنه . .

مع عدم التصريح ببعض الحقائق التي يجب كتمانها . . وعدم الافصاح عنها . . والمهم انني وجدت في سعادة السفير زين العابدين رجلا واسع الاطلاع كبير العقل وافر الصراحة المهذبة التي اطربت بها واعجبت . . وكان مفزعي — بعد الله — في كل أمر أجهله . . أو أمر أريد العون عليه . .

هذه كلمات لم أقلها مجاملة لهذا الرجل . . ولم أقلها ملقا . . فأنا لا أحسن الملق بل يمجه طبعي . . ويمج كل من يتحلى به . . انني قد أجامل في بعض المناسبات . وقد أجامل بعض الشخصيات ولكنني هنا لست مجاملا فيما قلته عن زين العابدين الدباغ . . بل ان ما قلته هو بعض الحقيقة . .

وما دمت في السفارة السعودية . . ومع السفير السعودي فأنني هنا أشير إلى موضوع هام . . وهو أن هذه السفارة المهمة . . في هذه العاصمة المهمة أيضاً ليس فيها من السعوديين إلا ثلاثة : السفير وشابان معه . . واحد هذين الشابين يتولى أعمال القنصلية . . اما الثاني فهو يقوم بكل المهمات الأخرى والذي يحدث ان معظم أعمال السفارة يقوم بها السفير صغيرها وكبيرها دقيقها وجليلها . . وانا لا أعرف سبباً معقولا يجعل شبابنا

يعزفون عن العمل في مثل هذه السفارة الهامة . . في هذا البلد العريق الجميل . .

ان سفارتنا في طوكيو في أشد الحاجة إلى رجال من بلادي ليمثلوا بلادهم وليؤدوا لها ما تحتاجه من خدمات في شتى المجالات .

وبعد هذا فلنعد إلى التجول في مدينة طوكيو . . لنتعرف عليها . . لنرى ما تعج به هذه العاصمة من متناقضات . . وما يملأ ارجاءها من انشاءات . . وقد اشتركت مع بعض زوار طوكيو في ركوب حافلات تتجول بالسياح في أحياء طوكيو لنرى أهم معالمها .

وسارت بنا تلك الحافلة في شوارع تضيق تارة . . وتتسع أخرى . . ثم توقفت بنا عند برج عال يبلغ ارتفاعه ١٠٩٢ قدماً . . انه يشبه برج إيفل في باريس . . وصعدنا إلى سطح في منتصف هذا البرج . . يبلغ ارتفاعه مائة متر . . ونظرنا إلى مدينة طوكيو من حولنا . . ان الضباب يحجب النظر فلا نرى الا ما يقرب منا أما البعيد فأننا لا نراه . . بسبب هذا الضباب فقط . . وإلا فطوكيو تقع في أرض مستوية لا جبال فيها . . وإنما يوجد فيها بعض الهضاب القليلة الارتفاع . . وهبطنا من هذا البرج . . ونظرت فيما يحيط به . . فاذا هو يقع على ارض ضيقة

تحيط به البيوت من كل جانب .. وهذا بخلاف برج إيفل الذي تحيط به مساحات واسعة من الحدائق الجميلة الملأى بالزهور والأشجار ..

في قصر الامبراطور هيروهيتو .

ثم واصلنا سيرنا فمررنا بحديقة واسعة عامة وتجاوزناها ودخلنا في حديقة أخرى ليست عامة .. وانما هي حديقة لقصر الامبراطور هيروهيتو .. ورأينا في مدخل هذه الحديقة مباني كثيرة .. وقال لنا الدليل ان هذه امكنة للحرس الامبراطورى واشار إلى مبنى منفرد عن هذه المبانى وقال ان هذه مدرسة لتعليم الجنود بعض الرياضات العنيفة التي يدافعون بها عن انفسهم .. ويستطيعون بها أن يعطلوا حركة اللصوص إذا اصطدموا بهم .. او حاولوا القبض عليهم .. ومن هذه الرياضات الجودو والكراتيه وما اشبهها .. ثم تجولنا في تلك الحديقة الغناء الجميلة المناظر والتنسيق .. ولم نر القصر طبعاً .. ويظهر انه مقدس لديهم لا يمكن ان تراه العيون وهو يكسب هذه القدسية من قدسية ساكنه وهو الامبراطور الذى يبلغ من العمر خمسة وسبعين سنة وزوجته التي تبلغ من العمر ثلاثا وسبعين سنة .. انهم يقدسونه فإذا ظهر في بعض المناسبات القليلة فيجب أن تطأطأ الرؤوس .. وأن لا

ينظروا إليه بابصارهم .. وكان هذا الاعتقاد راسخاً في أذهان الشعب الياباني حتّى جاءت الحرب العالمية الثانية فحطمت هذه الأسطورة وغيرت كثيراً مما كانوا يعتقدونه في الامبراطور . .

من هـــو بـــوذا . ! !

ثم واصلنا سيرنا فذهبوا بنا إلى كنيسة بوذا .. انهم يعتبرون هذه الكنيسة من أهم معالم مدينتهم .. ونحن مضطرون لمسايرتهم وأن نجامل في رؤية ما يريدونه في سبيل أن يرونا ما نريد . . ولعلك أيها القارىء الكريم تتساءل من هو بوذا .. فأقول لك انه أمير هندى كان وحيد أبويه .. وكان والداه يحبانه حباً جماً .. فأبقياه داخل القصر .. ووفرا له جميع ما يطلب .. وهيىء له في ذلك القصر كل ما يريد .. وعندما كبر بوذا وبلغ مبلغ الرجال سمح له والداه بالخروج في بعض المناسبات وعندما خرج من ذلك القصر الذي يعيش أهله في ترف وثراء لا مزيد عليه .. رأى بؤس قومه .. وما يعانونه من شظف العيش وشقائه .. وما يلاقونه في سبيل لقمة العيش من كد وعناء . .

فقرر أن يهرب من ذلك القصر بترفه وثرائه . . . ليشارك أبناء قومه في بؤسهم وشقائهم .. وليعيش كما

يعيش السواد الاعظم من مواطنيه وترك قصر أبويه . . وذهب إلى بعض الجبال . . ولجأ اليه وصار يأكل من نباتات الأرض وبقولها . . ويكد ويكدح في سبيل لقمة العيش كما يكد ويكدح أبناء قومه . . وسمع الناس قصة هربه . . وسمع الناس بعض ما يدعو اليه من أخلاق ومثل وعدالة اجتماعية فصار له تلاميذ وصار له مريدون . . يتلقون دعوته وينشرون تعاليمه الأخلاقية بين الناس . . ثم ينسجون حول هذه التعاليم اطاراً مشرقاً يجتذب تلك الطبقات الكادحة . . ويحببها اليهم . . ويجعلهم يؤمنون بها ويعتنقونها ويؤمنون بقائلها . . وينساقون وراءه . .

ان هذا الأمير لم يزعم لنفسه أنه نبي . . ولكن الناس جعلوه نبياً على رغم أنفه . . وقد غزت تعاليمه معظم شعوب الشرق الأقصى ومن جملتهم اليابان والذي سمعته أن ٩٩ ٪ من اليابانيين يؤمنون بتعاليمه . . ويعظمونه . . ويعتقدون فيه اعتقادات كثيرة . . فمنهم المغالي في تلك الاعتقادات . . ومنهم المعتدل . .

هذه معلومات خاطفة اخذتها عن حياة بوذا اختطافا . . انني لم ارجع فيها إلى كتاب . . ولم أرجع فيها إلى عالم خبير . . وإنما أخذتها من هنا وهناك . . وجمعتها . . ونسقتها هكذا . .



منظر احدى المبانى فى تايبى

وبعد هذه الفذلكة القصيرة عن بوذا وحياته فلنذهب الآن إلى كنيسته . . لنرى العجب العجاب ثم نحمد الله على ما انعم به علينا من عقيدة الاسلام ورسالة الاسلام التي تلامس النفوس . وتقرها العقول السليمة المستقيمة .

لقد رأينا قبل الوصول إلى تلك الكنيسة تمثالا لبوذا . . وهذا التمثال في وسط بركة صغيرة . . والماء يتدفق من فم بوذا . . ويتدفق من كثير من أعضاء جسمه . . . . وقد وضع في جوانب هذه البركة . . أوان من الخشب يشرب فيها الزائر من هذا الماء المقدس في اعتقادهم . . ويتكرر الشرب والشاربون بهذه الأواني . . حتى يشرب بها الاف البشر . . وذلك أمر يخالف القواعد الصحية المتعارف عليها حديثاً .

ثم ذهبنا قرب الكنيسة . . اننا لم ندخلها ولم يدخلها أحد من الزائرين وانما وقفنا عند بابها المفتوح الذى نرى من خلاله ما بداخل هذه الكنيسة . . وفي أبواب هذه الكنيسة احواض . . قد وضع فوقها شبكات من الخشب والناس يرمون في تلك الأحواض بعض النقود . . ثم يصفقون بأيديهم ثم يدعون بدعوات غير مسموعة . . ثم ينصرفون . .

وقد تعجبت من هذا الشعب الذكي كيف يؤمن

بمثل هذه الطقوس وهذه الاعتقادات الغريبة . . ولعل هذا يندرج في معنى تلك الكلمة التي قالها من سبقهم . . (انا وجدنا اباءنا على أمة . . وانا على اثارهم مهتدون).

زراعة اللؤلؤ .

وبعد هذه الكنيسة ذهبنا إلى مكان لزراعة اللؤلؤ . . وجلس مدير هذا المحل فوق كرسي وتحلق الزوار حوله . . وصار يشرح لهم عملية زراعة اللؤلؤ بالكلام . . ثم يتبع ذلك بشرح عملي لهذه الزراعة . . فقد أخذ صدفة مقفولة أمامنا من وسط ماء أظنه من ماء البحر . . ثم فتحها واخرج من وسطها جزءاً صغيراً وضعه أمامه وأمامنا فوق خشبة بين الجميع . . وفتح صدفة أخرى وألقى بذلك الجزء الصغير الذي أخذه من الأولى في باطن الصدفة الثانية ثم تابع عملية ذلك بالقاء حبة سماها انكرياس وهي في حجم حبة الذرة وفي لونها الا أنها كروية الشكل في باطن الصدفة الثانية ثم أقفل تلك الصدفة على ما فيها . . ووضعها في الماء وبعد فترة من الزمن فتح تلك الصدفة . . وأخرج منها لؤلؤة متكاملة التكوين ثم صار يشرح لنا تلك العملية فيقول : ان الجزء الصغير الذي استخرجته من الصدفة الأولى هو نوع من المذكر . . والصدفة التي وضعت فيها ذلك الجزء من المؤنث ووضعت معه حبة الانكرياس . .

والجزء الغريب في هذه العملية هو حبة الانكرياس التي تلتف حولها اجزاء اللؤلؤة .. ثم تبني في جوانبها مادة اللؤلؤ .. وبعد هذا الشرح الضافي الوافي .. قام بنا ليرينا أحجام اللؤلؤ الموجود في ذلك المحل .. والذي فيه ما هو كبير .. وفيه ما هو صغير .. ومنه ما هو أبيض .. ومنه ما هو أصفر .. ومنه ما يميل إلى الزرقة قليلا .. ورأينا تلك المعروضات واشترى من أراد الشراء منها ثم خرجنا من ذلك المحل وقد عرفنا شيئاً جديداً لم نكن نعرفه من قبل عن زراعة اللؤلؤ .. أو اللؤلؤ الصناعي الذي قضى على اللؤلؤ الأصلي ..

في مسرح ميكادو .

ثم ذهبوا بنا إلى مسرح يسمى ميكادو .. ورأينا في هذا المسرح العجب العجاب من دقة التمثيل .. وجمال المناظر التي تتغير ما بين مشهد وآخر .. ثم ذلك التناسق العجيب بين أجسام الممثلين والممثلات .. انك تنظر اليهم فتقول في نفسك هل صب هؤلاء في قالب واحد حتى خرجوا هكذا في الطول والعرض .. وتناسق الألوان .. وتناسق الأجسام .. ثم تسحرك تلك الأغاني والألحان التي منها ما هو في غاية الصخب والارتفاع .. ومنها ما هو في غاية الرقة والهدوء .. ولقد صوروا لنا في أحد

المشاهد شارع الشانزليزيه في باريس .. وفي نهايته قوس النصر وقبر الجندي المجهول .. وعندما شاهدنا هذا الشارع تصورنا انفسنا في باريس انك لا تكاد تفرق بين الحقيقة والخيال .. ولا بين الصورة والأصل .. ولا بين شارع الشانزليزيه في باريس .. وصورة الشانزليزيه في هذه الصورة التي تعرض في طوكيو .. انني أتخيل نفسي وانا أنظر إلى هذه الصورة .. وكأنني في طرف من أطراف هذا الشارع اتجول على أرصفته وامتع بصرى بالمناظر الجميلة التي تحف به ذات اليمين وذات الشمال .. ما أدق الفن وما أدق التصوير .. وما أدق الذوق في جميع ما شاهدناه في هذا المسرح الذى يبهرك كل ما فيه من ثابت أو متحرك .. من خيال أو حقيقة من انسان أو جماد .. حتى الماء جعلوه ينصب أمامنا على انغام الموسيقى .. ويرقص رقصات متنوعة منها السريع .. ومنهـــا البطىء ..

ثم بعد هذا المسرح ذهبوا بنا في جولة أخرى إلى أحد المعابد الدينية التي يعتبرونها من أهم معالم طوكيو .. اننا نراها ونرى الطقوس التي تعمل فيها .. ثم نحمد الله على نعمة الإسلام الذي يتمشى مع العقل السليم والطبع القويم .

ولقد لاحظت أن معظم تلك الطقوس اصبحت تعمل

أمام الزوار في تلك المعابد من باب التمثيل . . لا من باب العبادة والتعبد . .

ان فيها زمراً ورقصاً وتصفيقاً ذكرتني بالآية الكريمة « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » وهذه الآية في وصف عادات قريش قبل الإسلام . . وهذه الآية تنطبق على هؤلاء تمام الانطباق .

انهم يعتبرون مثل هذه الأمور تراثا شعبياً تجب المحافظة عليه . . ويجب ان يبقى حيا يعيش من دخله فئات من الشعب الياباني الكثير العدد المتباين الاتجاهات .

ويعجب المرء من شعب ذكي كيف تؤمن بعض فئاته بهذه الطقوس الغريبة . . وكيف يمارسونها . .

وإذا نظرنا إلى الشعب اليابانى ككل وجدنا فيه كثيراً من المتناقضات وكثيراً من الاتجاهات التي لا يطغى منها شيء على شيء . .

ان كل مؤمن باتجاه سائر في طريقه إليه . بحيث تجد الحقيقة بجانب الخيال وتجد الجد بجانب الهزل وتجد الصناعات الثقيلة وبجانبها الصناعات الخفيفة . . وتجد الخرافة . . ولكن ليس بجانبها شيء . . وصدق الله العظيم (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) . .

بيوت الجيشا .

وذهبوا بنا إلى بيت من بيوت الجيشا المنتشرة في أحياء طوكيو .. انهن فتيات فيهن الكبيرات وفيهن الصغيرات .. وإذا أردت أن تدخل أحد هذه البيوت فان عليك أن تخلع نعليك عند الباب وتدخل حافياً إلى تلك البيوت .. ولكنها بيوت مفروشة بنوع من الحصر المجدولة من أغصان الشجر الناعمة وهي غاية في النظافة والجمال .. ثم يجلس الزوار القرفصاء .. ويتقدم فتيات الجيشا برقصات هادئة على انغام الموسيقى انها رقصات فيها كثير من الخشوع والحشمة والأناقة .. ليس فيها شيء من التبذل أو الاغراء واثارة المشاعر وهي من الفن الياباني العريق في القدم ولعلها نوع من الرقصات الشعبية التي كانت تعمل أمام عظماء اليابان .. وكبار القادة فيها .. ان هذه الرقصات أشبه برقصات العبادة لديهم .. من ان تكون للاطراب والاثارة .

وفتيات الجيشا يطلبن من الزوار أن يشاركوهن في بعض الرقصات فيلبي الزوار طلبهن ويشاركونهن في هذه الرقصات وفي إحدى هذه الرقصات طلبن مني أن أشاركهن كما طلب من غيري فلم يسعني إلا أن البي طلبهن .. ورقصت معهن رقصة تشبه رقصة الحرب عندنا .. ولكن

هذه الرقصة ليس فيها سيوف . . وليس فيها خناجر . .
وانما أعطوا كل زائر منا قبعة صنعت من القش . . فأخذنا
تلك القبعات . . وصرنا نتحرك بها . . ونحركها بحسب
أنغام الموسيقى . . ونقلب هذه القبعات بين أيدينا فتارة
نرفعها، وتارة نخفضها . . ومرة نديرها في الهواء . .
ومرة نرفعها فوق رؤوسنا . .

ان تلك البيوت تعتبر من تراث اليابان العريق الذي
يحافظون عليه . . ويأتون بالسياح اليه . . ليعيش من هذا
الطريق فئات من الشعب . . الذى يملأ السهل والجبل . .
إلا أنه ليس في طوكيو جبال إنها سهول وبحار . . وهنالك
بعض التلال القليلة الارتفاع فقط وهي في الغالب تزرع
وتبقى كمنظر طبيعي لتجميل المدينة . .

ومررنا في تجوالنا بقصر عظيم تحيط به الحدائق
الغناء فأشار الدليل اليه وقال ان هذا القصر قد أعد لضيوف
اليابان الكبار . . وقد بني وصمم كصورة طبق الأصل
لقصر بكنقهام في لندن . . ونظرت إلى هذا القصر . .
فرأيته كما قال الدليل . . واستمر بنا السير حتى مررنا
بحديقة كبيرة أيضاً قد تكون متصلة بحدائق قصر بكنقهام
وقال الدليل . . ان هذه الحديقة هي حديقة قصر ولي
العهد . . وطبعاً لم نر القصر . . انه داخل هذه الحديقة

لا تراه العيون لأن قدسية ساكنه تسري اليه . . فكل ما يتصل بالمقدس مقدس في نظرهم . . ولذلك لا يصح أن تراه العيون .

وتجاوزنا قصر ولي العهد بحدائقه وأشجاره وزهوره . . ورأينا مباني كثيرة وكبيرة ، وذات تصاميم فريدة في بابها . . فقال لنا الدليل ، ان هذا هو الاستاد الرياضي الذي أقيمت عليه الدورة الأولمبية في عام ١٩٦٤ م وتوقفت بنا السيارة عند هذا الاستاد . . انه يقع على ربوة مرتفعة من الأرض وهو استاد واسع متعدد الملاعب والصالات وتحيط به من أكثر جهاته حدائق ذات أشجار وزهور . .

وانتهت جولتنا في هذا اليوم ، أو هذا الصباح . وعدنا إلى فنادقنا على أن نواصل جولاتنا فيما بعد لنرى ما لم نكن رأيناه . .

وقد اعجبني في الشعب الياباني النشاط وسرعة الحركة . . انهم من النوع المختصر المفيد . . انهم صغار الأجسام سريعوا الكلام . . وقد تعودوا على الطاعة والصبر والمثابرة. ولديهم الكثير من اليقظة والذكاء . .

ولذلك بلغوا ما بلغوا من الرقي والتقدم في جميع الفنون حتى زاحموا الغرب في صناعاته . . وزاحموا

أمريكا في مخترعاتها . . انهم سريعوا التقليد لما يشاهدون ، ثم انهم سريعوا التجديد والتطوير لما يصنعون . . ولذلك غزوا العالم . . شرقه وغربه . . بمصنوعاتهم الدقيقة والجليلة . . وكان العالم منهم ، والمهندس . . يرى الشيء لمرة واحدة ليقلد صناعته . . وقد يتفوق على الصانع الأول .

وهذا التفوق والتقدم السريع لم ينفخ في هذا الشعب روح الغرور . . ولم يورثه شيئاً من الكبرياء . . أو التعالى . . انه شعب وديع متواضع . . يطيع أوامر رؤسائه ، وينفذ تعليماتهم بدقة وسرعة منقطعة النظير . . وما أكثر ما سمعت منهم كلمة (هيْ هَيْ هَيْ) . . وهي على ما فهمت بمعنى نعم أو حاضر ، انها كلمة لطيفة خفيفة سمعتها مراراً وتكراراً ، ومع ذلك فاني لم أسأمها ، ولم أملها كبقية الكلمات التي أكرهها إذا كثر تكرارها .

ولقد قلت ان هذا الشعب كثير التواضع ، ولذلك فهو يكثر التحيات والانحناءات عندما تتقابل مع أحد أفراده . . وتطلب منه شيئاً . . انني أحاول في كثير من المناسبات ان أرد التحية بأحسن منها . . إلا في الانحناءات . . فأنا لا أستطيع أن انحني أكثر منهم ولا مثلهم . . ولكنني أرمز لهذه التحية بأقل منها . . ثم أدفع الفرق بين انحناءتي الصغيرة وانحناءتهم الكبيرة ، أدفع هذا الفرق من جيبي

عداً ونقداً . . انهم يقبضون الثمن عن أى خدمة يقدمونها للسائح . . حتى الانحناءات يقبضون ثمنها . . ونحن ندفع هذا الثمن ونحن راضون بدفعه . . لأننا نشعر انهم يستحقونه مقابل خدماتهم ومقابل تواضعهم . . ومقابل احترامهم الذى لا مثيل له . .

ثم قمنا بجولة في شوارع طوكيو . . وفي أحيائها القديمة وفي أحيائها الجديدة وقد لاحظت أن شوارع الأحياء القديمة ضيقة جداً . . وقد سمعت فلسفة غريبة لهذا الضيق في الشوارع ، وهي ان تلك الأحياء كان يجري بينها فتن ومشاحنات . . وقتال . . وان تلك الشوارع ابقيت ضيقة لتسهل السيطرة عليها . . والتحكم في سكانها . . أما شوارع الأحياءالجديدة فهي واسعة جداً . . وأكثر ما يمشي في هذه الشوارع سيارات الأجرة ولكثرتها فانها أرخص شيء في اليابان . . فالذهاب من فندقي إلى السفارة السعودية لا يكلفني أكثر من دولار وربع . . مع أن المسافة لا تقل حسب تقديري عن خمسة كيلو مترات . . والبيوت حول شوارع طوكيو القديمة والجديدة مرصوصة بعضها إلى بعض . . ومعظمها لا يعدو الطابقين أو الثلاثة . . وهي تشبه من بعض الوجوه بيوت لندن وشوارعها ، الا أن هناك فارقاً كبيراً بين بيوت لندن وشوارعها وبين بيوت طوكيو وشوارعها . . وهذا الفارق هو أنك لا تشعر

بالتناسق والانسجام بين بيوت طوكيو . . كما أنك ترى بعض النتوءات في بعض البيوت فترى هذا داخلا . . وهذا بارزاً . . وذلك بخلاف بيوت لندن التي تراها مرصوصة بعضها إلى بعض في نظام وتناسق بديع .

أما نظافة شوارع طوكيو قديمها وجديدها ، ضيقها وواسعها فحدث عنها ولا حرج . . لقد بلغوا الذروة في النظافة . . وبلغوا الذروة في سمو الذوق وبلغوا الذروة في الدقة والأناقة وحسن التنسيق . . وهناك طرق معلقة للسيارات والقطارات والمشاة . . ان القطار يشق طوكيو طولا وعرضاً فوق تلك الطرق المعلقة في الهواء . . كما أن هنـــاك قطارات تمشي تحت الأرض . . ولذلك لا تجد ازدحاماً في شوارع طوكيو إلا نادراً في بعض ساعات خروج الموظفين أو دخولهم . . وهذا الأمر غريب في مدينة يبلغ سكانها اثني عشر مليونا من البشر . . أما سكان اليابان جميعاً فهم يبلغون ثمانين مليونا . .

مدينتا هيروشيما وناجازاكي .

وسألت عن مدينتي هيروشيما ونجازاكي . . . وهل بقي من آثار القنبلتين الذريتين شيء . . فقيل لي انهما تبعدان عن طوكيو ساعتين بالطائرة . . أو يوماً كاملا بالقطار . . وإن هاتين المدينتين قد عمرتا من جديد . .

وأنه لم يبق من آثار الحرب أي شيء . . وكنت قد سئمت من كثرة الأسفار . . واشتقت إلى بلادي . . فقد كنت كلما قربت منها ازداد شوقي اليها . . فصرفت النظر عن زيارة هاتين المدينتين . . مع انني كنت قد صممت على زيارتهما . . وادخلتهما في برنامج رحلتي . . ثم الغيتهما .

هل في اليابان بترول ؟

والتقيت بطريق الصدفة بخبير أمريكي من خبراء البترول وهو من ولاية كلفورنيا . . وسألته هل يوجد في اليابان بترول . . فقال انه لا يوجد فيها شيء . . وهم يستوردون جميع حاجاتهم من البترول من خارج بلادهم كما أنهم يستوردون جميع المواد الخام اللازمة لصناعاتهم من شتى انحاء العالم . . وسألني هذا الخبير عن بلادي فقلت انها السعودية فقال لقد كنت في السعودية منذ عدة سنوات . لقد كنت أعمل في شركة أرامكو . . ثم ذكر لي بلاداً كثيرة كان يعمل فيها من البلاد العربية . . وغير العربية وتحدث إلى هذا الخبير عن البترول في العالم . . فقال ان أكثر بترول أمريكا يوجد في تكساس فهي في الدرجة الأولى في مخزون البترول ثم تأتي بعدها ولاية كلفورنيا . . وتأتي في الدرجة الثالثة الالسكا .

أما أعظم منابع البترول . . واعظم مخازنه فهي توجد في الصين . . واستمر هذا الخبير يتحدث عن بترول

الصين . . وقال لقد شاهدت أو عملت في معظم البلاد التي تنتج البترول . . وعملت في الصين لمدة سنتين فلم أر في حياتي . . ولا في أي بـلد من بلاد العـالم مخازن للبترول كالتي رأيتها في الصين . . ان بترول العالم كله سوف ينضب ما عدا بترول الصين واستمر هذا الخبير يتحدث عن بترول الصين وغزارته . . واتساع رقعته . . حديثاً طويلا عرفت القليل منه . . ولم أعرف الكثير وانما الشيء الوحيد الذي استقر في خاطري هو أن الصين تملك مخزوناً من البترول . . يفوق بترول العالم بأجمعه . . وانه مهما استخرج منه فسيكون آخر بترول ينضب في العالم . . لقد كان هذا الخبير يتحدث عن بترول الصين بكثير من التهويل والتضخيم . . الأمر الذي لفت نظري واضاف إلى معلوماتي معلومات جديدة . . ما كنت أعرفها . . وقد لا يكون يعرفها إلا القلائل من الناس أجمعين .

في شوارع طوكيو .

والآن فلنترك الحديث عن البترول ولنواصل جولاتنا في طوكيو . . في أحيائها . . وفي شوارعها المليئة بالحركة . . المليئة بالحياة . . هناك في طوكيو بيوت شعبية . . يذهبون بالزوار اليها . . ويعملون لهم فيها بعض الوجبات من الطعام الشعبي في اليابان . . وقد ذهبوا بنا إلى أحد هذه

البيوت . . وصنعوا لنا طعاماً شعبياً . . انهم يصنعون هذا الطعام . . أو على الأصح يطبخون هذا الطعام أمامنا . . فنرى كيف يصنعون ونرى المواد التي يصنعونه منها قبل تقديمه الينا طعاماً شهياً فنتلذذ بروائحه الزكية أثناء طبخه .. ونتلذذ بمرآه . وهو يقلب على النار أمامنا . . ثم يقدم لنا في أطباق متعددة الألوان والأحجام ويقدمون لنا معه أعواداً قد تكون مصنوعة من الخشب في كثير من الأحيان وفي بعض الأحيان تكون مصنوعة من البلاستيك . . ثم يعلموننا كيف نأكل بتلك الأعواد . . والزوار على مختلف جنسياتهم يقبلون هذه الألوان الشعبية من الأطعمة اليابانية بشهية وشوق ويتناولونها بنهم يدعو إلى العجب . . انها أطعمة نظيفة وخفيفة . . وهي من ناحية ثانية غريبة على معظم الزوار . . وكذلك فانهم يقبلون على تناولها وتذوقها بكثير من الرغبة . . ويأخذون الصور التذكارية لهذه الجلسات التي تشبه الجلسات العائلية في كثير من جوانبها . . وقد لاحظت أن السير في طوكيو على النظام الانجليزي . . أي السير ذات الشمال وعجلة القيادة ذات اليمين . . وملاحظة أخرى هي أنه قد نصب في نهاية كل شارع فرعي مرايا مكبرة . . يرى فيها قائد السيارة القادم من اليمين إذا كان السير باتجاه الشمال . . ويرى فيها القادم من الشمال إذا كان السير ذات اليمين . . انه تنظيم لطيف يرى السائق ما حوله قبل أن يدخل في تلك

الشوارع الضيقة التي لا يتسع بعضها لأكثر من سيارة واحدة .. أو سيارتين .. احداهما مشرقة والأخرى مغربة .. وهناك عمارات شاهقة في طوكيو كثيرة .. انها قد تبلغ الأربعين طابقاً .. فخمسين .. فستين .. انك إذا تجولت في طوكيو ترى هذه العمارات ما بين وقت وآخر .. وهي ترتفع إلى عنان السماء .. في عزة وكبرياء على ما حولها من بيوت قديمة وصغيرة .. تبدو في غاية التواضع بجانب تلك العمارات العالية التي هي غاية في الضخامة والفخامة والجمال .. أما المتاجر والبضائع وطرائق العرض فحدث عنها ولا حرج .. إن بعض المتاجر مؤلف من عدة طبقات .. كل طبقة لا تكاد تسير فيها الا بدليل .. وإلا اضعت طريقك .. وكان عليك ان تسأل عدة مرات عن طريق الخروج .. وكلما تراه يعجبك .. ترغب أن تشتريه .. ترغب أن تقتنيه .. ولكن هيهات أن يشتري المسافر كل ما يعجبه ويهواه ..

والحافلات التي أعدتها اليابان للسياح ليتجولوا عليها .. وليروا معالم طوكيو على ظهورها وبطونها .. ما أنظفها .. ما أجملها .. انها مريحة إلى أبعد الحدود .. وفي كل حافلة منها قائد ودليل لديه مكرفون يشرح بواسطته للزوار تاريخ طوكيو .. وتاريخ معالمها .. ويستعرض

في حـــديثه كل ما يهم السياح معرفتـــه .. وفي بعض الأحيان قد لا يجتمع في الحافلة الواحدة أكثر من سبعة أشخاص أو ثمانية .. مع أنها تتسع لأكثر من ستين راكباً .. ومع ذلك فان هذه الحافلات تذهب بالزوار مهما قل عددهم إلى المواطن التي يريدون رؤيتها حسب البرامج الموسومة التي اطلعوا عليها في نشرات مصورة أعدت لهم ووزعت عليهم ..

ان أرباب هذه الحافلات يخسرون بدون شك في هذه العملية .. واليابانيون يعرفون ذلك بعقليتهم التجارية الدقيقة التي تعرف ماذا تكسب وماذا تخسر .. ولاشك أنهم يعملون معادلة لحساب الربح .. وحساب الخسارة .. ثم يتصرفون على أساس هذه المعادلة .. ولا شك أنهم يدخلون في حساباتهم موضوع الكسب المعنوي الذي يهتمون به غاية الاهتمام .. وكنت حجزت غرفتي في الفندق لمدة أسبوع فقط ولكن الأسبوع انتهى مع أن جولاتي لم تنته .. وكانت الغرفة التي أسكن فيها محجوزة بعد أسبوع لقوم أخرين .. فطلبت منهم أن يمدوا أيام سكناي يومين فقط . ولكنهم اعتذروا .. وصعب علي الانتقال من فندق إلى فندق .. فقد الفت هذا الفندق كما أن الانتقال يكلفني جهداً ووقتاً .. وأنا في أشد الحاجة لتوفير هذا الوقت والجهد لما هو أهم .. وذهبت إلى

السفارة حالا فاتصلوا بهذا الفندق وطلبوا منه تمديد اقامتي يومين فقط فوافقوا . ولكن على أساس نقلي إلى غرفة أخرى غير الغرفة التي أسكنها . . فوافقت على ذلك . . كما وافقت على أن ينقلوا حقيبتي وأغراضي إلى الغرفة الجديدة فوافقوا وعندما عدت إلى الفندق . . أخذت منهم المفتاح الجديد ووصفوا لي موقع تلك الغرفة . . فذهبت إليها فوجدت غرفة جميلة واسعة . . ووجدت أغراضي وحقيبتي منقولة بأمانة وعناية تامة . . ووجدت كل شيء من أغراضي قد وضع في مثل موضعه في الغرفة الأولى .

ألا ما أدق نظرة اليابانين . . الا ما الطفهم . . الا ما أكثر تواضعهم ورسمت خطة مع إدارة الفندق للقيام برحلة في الصباح . . ورحلة في المساء وذلك لأرى حياة اليابانين في الليل . . كما رأيت حياتهم في النهار . . ونحن تارة نرى ما يطرب ويعجب . . وتارة نرى ما هو دون ذلك ونحن نتحمل هذا في سبيل أن نرى ذاك . . ونأكل المر في بعض الأحيان في سبيل الوصول إلى الحلو . .

ثم ذهبوا بنا إلى مسرح في غاية الروعة والجمال ولكنه ليس في درجة مسرح ميكادو . . وتتابعت البرامج الخلابة الساحرة بملابس بديعة ورقصات خلابة . . وأغان هي إلى الأغاني الغربية . . أقرب منها الأغاني الشرقية . .

وتعددت المناظر العجيبة .. وتتابعت أفواج الممثلين والممثلات .

ثم بعد هذا المسرح ذهبوا بنا إلى بيت من بيوت الجيشا المنتشرة في جميع أحياء طوكيو .. ويستقبل هؤلاء الفتيات السياح بأدب جم .. ويقدمن لهم أنواعاً من المشروبات الشعبية المتعددة الألوان والمذاق . وكل يشرب ما يروق له .. أو يطلب ما يحب أن يشرب .. هؤلاء الفتيات يلبين جميع الطلبات من مأكول ومشروب بترحاب ولطف لا نظير له .. ثم يقدمن رقصاتهن الشعبية .. التي فيها الكثير من الأدب والاحتشام .. على انغام من الموسيقى اليابانية العريقة في القدم .. ان الفن الذى في بيوت الجيشا هو الفن الياباني الأصيل أما موسيقى المسارح .. ورقصاتها .. فانها حديثة جداً .. قد قلد فيها اليابانيون دول الغرب .. وهم في الغالب إذا قلدوا في أمر من الأمور تفوقوا فيه .. وبرزوا .. وقد يبلغون من الدقة في الأداء أكثر مما يبلغه من قلدوه .. انها القدرة على التقليد والقدرة على التفوق والدقة المتناهية في اداء كل ممثل دوره في ثقة نادرة المثال .. ورقصات الجيشا أشبه ما تكون بالرقصات التي تكون في المعابد .. ويظهر أن هذه الرقصات كانت تقام أمام عظماء البلاد لإيناسهم وامتاعهم .. وإظهار الخضوع والادب الجم أمامهم ..

وقد طلب مني ان اشارك في بعض الرقصات كما طلب من غيري من الزوار فاعتذرت هذه المرة بأدب جم على الطريقة اليابانية .. فقد اخبرتك أيها القارىء أنني كنت شاركت في رقصة من هذه الرقصات في بيت آخر من بيوت الجيشا .. وهي رقصة تشبه رقصة الحرب عندنا .. ولكنها بلا سلاح .. ان الذى نستعمله ونقلبه بين أيدينا هي قبعات صنعت من القش .. ولا شيء غيرها .

الندوة الثقافية للمركز الإسلامي .

ومثلت الصحافة السعودية في الندوة الثقافية للمركز الإسلامي في طوكيو .. وكان ذلك بطريق الصدفة لا عن سابق تخطيط .. فقد كنت ذات يوم لدى السفير السعودى سعادة السيد زين العابدين الدباغ .. فقال لي ان هذه الندوة سوف تقام هذا المساء .. وسوف تلقى فيها محاضرتان احداهما للدكتور عبد العزيز الفدا مدير جامعة الرياض .. والأخرى للدكتور الشاوي فهل تذهب معي لحضورها .؟ فقلت بكل تأكيد وكل سرور .. وذهبت مع سعادة السفير قبل الموعد المحدد لنكون في استقبال المحاضرين . . وعندما حضرا سلمت عليهما وقلت لهما انني أمثل الصحافة السعودية في هذه الندوة . فقال الدكتور الفدا .. هل أتيت إلى طوكيو لهذا الغرض فقلت كلا .. ان حضورى مجرد صدفة من الصدف الطيبة التي قد تحصل للانسان دون أن يخطط لها ..

أو يحسب لها حسابا . . واخبرته بأنني قدمت من الولايات المتحدة في طريقي إلى بلادي . .

وحان موعد القاء المحاضرتين فذهبت إلى الصالة الكبيرة التي وجدناها مكتظة بالمدعوين من شتى طبقات الشعب الياباني . .

وأخذنا مكاننا في الصالة . .

وافتتحت الندوة بكلمة ضافية القاها أحد العلماء اليابان . .

كلمة السفير السعودى .

وبعد أن انتهت كلمته طلب من سعادة السفير السعودي أن يلقي كلمة في افتتاح هذه الندوة . . فتقدم السيد زين العابدين الدباغ إلى المنصة والقى كلمة ارتجالية باللغة الانجليزية تدور حول الحرية الفكرية في الإسلام . . وانه دين عقيدة وعمل . . يحث على الفضائل بأوسع معانيها . . وينهى عن الرذائل بشتى أشكالها وألوانها . . وأوضح أن في الإسلام قواعد عامة لتنظيم المجتمع . . وحماية بعض الطبقات الضعيفة من الطبقات القوية كما أنه يتيح الفرصة لكل عامل أن يعمل وأن يبدع في عمله . . وأن يجني ثمار جهوده التي ميزه الله بها . . ثم أردف

ذلك بقوله . . ان الإسلام يهتم بالروح والفكر ويفتح أمامهما الآفاق ليحلقا في أجواء السماء .. وليتصلا بخالقهما بلا واسطة ولا وسطاء . . وما تلك الأشكال من العبادات الا عناوين بارزة لتحقيق هذه الأغراض السامية . . وأفاض سعادة السفير زين العابدين الدباغ في هذه المعاني التي أصغى إليها الحاضرون بكل حواسهم ومشاعرهم . . كما أنه ركز على الجوانب الأخلاقية . . والروحية . . وقال انه يجب أن لا تطغى الجوانب المادية . . على الجوانب الروحية . . بل لابد أن يكون هناك تعادل بين مطالب الروح ومطالب الجسد . .

محاضرة الدكتور الفدا .

وبعد كلمة السفير هذه تقدم الدكتور عبد العزيز الفدا فألقى محاضرة قيمة عن بعض فلاسفة الإسلام . . وعرض فيها كثيراً من فلسفاتهم . . كما أفاض في الجهود التي بذلوها . . في سبيل نقل هذه الفلسفات عن الأمم السابقة بأمانة واخلاص . . ثم ما أضافوا إليها من صقل وتجديد ونقد وتصحيح . . واضافات صارت أسساً لفلسفات جديدة لمن أتى بعدهم . . وعرض لبعض أسماء هؤلاء الفلاسفة أمثال ابن رشد وجابر بن حيان وابن سينا واضرابهم ممن قاموا بجهود جبارة في هذا السبيل . .

ومهدوا السبيل لمن بعدهم من فلاسفة الغرب .. حيث وجدوا الطريق أمامهم مفتوحاً .. فتعمقوا فيه .. وأتوا بالمعجزات التي صارت أساس هذه الحضارات التي نتمتع بثمارها الآن .

واافاض الدكتور الفدا في هذه المعاني .. وكانت المحاضرة تترجم إلى اللغة اليابانية حالا فيصغي إليها الحاضرون بكل حواسهم ومشاعرهم ..

محاضرة الدكتور الشاوي .

وبعد أن انتهى الدكتور الفدا من محاضرته تقدم الدكتور توفيق الشاوي فألقى محاضرة ضافيه عن الجوانب الاقتصادية .. وتأثيرها على العلاقات بين الدول والشعوب .. وقال ان الشعب العربى لديه الكثير من المواد الخام التي تحتاجها اليابان في شتى صناعاتها .. كما أن لدى الشعب اليابانى الكثير من الصناعات والمصنوعات المتطورة .. وعلوم التكنولوجيا التي يحتاجها العالم العربى .. وإذا فان التعاون وتوثيق الروابط من مصلحة الطرفين وصال الدكتور وجال في هذه المعانى التي لمس بها الجوانب الحساسة من مشاعر اليابانيين .

وكانت هذه المحاضرة أيضاً تترجم إلى اللغة اليابانية حالا ...

وقد طال وقت القاء هاتين المحاضرتين . ومقدماتهما وهوامشهما بحيث استمر الوضع لمدة اربع ساعات كاملات ونصف الساعة . . انه وقت طويل شعرت أنا فيه بالملل . . بينما رأيت فيه السامعين من اليابانيين لم يظهر على وجوهم شيء من السأم أو الملل . . بل كانوا يتابعون تينسك المحاضرتين بكثير من الاصغاء والاهتمام والتفهم . .

ويا حبذا لو فصل بين مثل هاتين المحاضرتين القيمتين . . فخصص لكل واحدة منهما . . يوم مستقل بذاته . . ثم بعد كل محاضرة يفتح باب النقاش للسؤال والجواب بين المحاضر والسامعين . . وذلك لمعرفة مشاعر اليابانيين . . وجوانب التأثير فيهم أو عليهم . . وجوانب اهتماماتهم ورغباتهم . . التي يجب أن ندخل إلى نفوسهم عن طريقها . .

ولعل المركز الإسلامي يلاحظ مثل هذا الأمر مستقبلا فيما سيقوم به من نشاط مشكور في هذا السبيل . .

وعلى رأس هؤلاء الذين أوجه اليهم هذا الرجاء رئيس المركز الدكتور صالح مهدي السامرائى . . وزملاؤه ومساعدوه الذين رأيت فيهم جذوة من نشاط وغيرة واخلاص . .

اليابانيون بعد الحرب العالمية الثانية .

هزم اليابانيون في الحرب العالمية الثانية هزيمة منكرة ودمرت عاصمتهم طوكيو ولم يبق منها إلا القليل من العمارات التي سلمت من الدمار .. وحطمت المدينة وحطم جيشهم .. واخيراً مسحت من الوجود مدينتان كاملتان بمن فيهما .. وهما هيروشيما ونجازاكي .. وكان يراد تحطيم روح هذا الشعب العريق .. إلا أن كل شيء تحطم ما عدا الروح المعنوية لهذا الشعب .. لقد بقيت هذه الروح عامرة قوية .. بعد ان زال عنها الزيف والاعتقاد في بعض البشر بأنهم ينفعون ويضرون .. ويتصرفون تصرف الالهة .. وبدأ اليابانيون بعد الحرب من الصفر .. فبدأوا يعمرون ما انهدم ويرممون ما اختل .. ثم أرسلوا البعثات إلى الغرب .. ليتعلموا العلوم الحديثة التي حطمهم الغرب بها .. وكان الفوج الأول من البعثات مجموعة من الأمراء الشباب الذين اتموا دراستهم في الغرب ثم عادوا إلى بلادهم يحملون مشاعل الحضارة .. ويحملون مشاعل الصناعة .. وتوالت البعثات .. وتوالت التجارب والصناعات وكثر عدد الشباب العائدين من الغرب .. واتسعت مجالات العمل .. ومجالات الأمل .. وبدأت الصناعات اليابانية تغزو الغرب .. وبدأ اقتصاد اليابان يقوى وتتمدد جذوره .. وفي سنوات قلائل كانت

المدن التي خربتها الحرب قد عمرت . . والمصانع قد شيدت . . والانتاج يزداد يوما بعد يوم . . حتى غزت تلك الصناعات دول الشرق ودول الغرب على حد سواء . . . حتى قضت صناعات اليابان على كثير من مثيلاتها في دول الغرب . . فأقفلت مصانع كثيرة في بلاد الغرب نتيجة لهذا الغزو الصناعي الجديد من اليابان .

وكم من أمة هزمت في الحرب وانتصرت في السلم . . وكم من أمة انتصرت بواسطة الحروب . . ولكنها دفعت تكاليف باهظة لذلك النصر . . فكان من أسباب تضعضعها . . وضعفها ثم انهيارها . .

أراني ذهبت في واد غير ذى زرع . . وهو وادى الحروب والانتصارات والهزائم . . فلا توقف عند هذا الحد . . ولأعد إلى الحديث عن مشاهداتي في أحياء طوكيو التي هي خضم زاخر بالبشر . . وخضم زاخر بالعمل والانتاج . . وخضم زاخر بالمرح واللعب . . وخضم زاخر بالعلم والتجارب .

لقد تعبت ذات يوم من مواصلة التجوال . . فذهبت إلى سفارة بلادي لارتاح . . ولاجدد العهد بالحديث باللغة العربية . . وليس هناك إلا سعادة السفير . . الذى كان يمنحني من وقته الشيء الكثير . . والذي كانت تجرى

بينه وبيني أحاديث في مواضيع شتى تجعلني انسجم معه وانساق مع أفكاره واحاديثه . . حتى انسى نفسي . . وأنسى برامجي أو بعض برامجي التي خططت لها في طوكيو.

مع الوفد الإعلامي السعودي .

وفي زيارة من زياراتي لهذا السيد المحترم . . اخبرني بوجود وفد اعلامي سعودي في طوكيو . . وسألته عن أسماء أعضاء هذا الوفد فقال انه مؤلف من الدكتور صالح بن ناصر وكيل وزارة الاعلام المساعد رئيساً . . وعضوية كل من الدكتور عبد الله القويز من وزارة المالية والسيد محمود فائز من وزارة التخطيط والأستاذ مين النديم من مركز الأبحاث والتنمية الصناعية . . ثم جعل السيد زين العابدين الدباغ يحدثني عن مهمة هذا الوفد . . وما قام به هؤلاء الصفوة من الشباب من جهود مشكورة . . من محاضرات ولقاءات لرجال الشركات . . ورجال الصناعات . . ورجال الاقتصاد لشرح الخطة الخمسية التي ننفذها في بلادنا . . وما رصد لهذه الخطة . . وما تحتاج إليه هذه الخطة من جهود مشتركة بينها وبين أصدقائها من الأمم المتقدمة ثم استمر السيد زين العابدين الدباغ في حديثه عن هذا الوفد . . وعن جهوده المتواصلة . . التي رفعت رأسي . . وجعلتني أثق بمستقبل زاهر لبلادي العزيزة . .

وفي ختام هذا الحديث اخبرني السيد زين العابدين بأنه سوف يقيم حفلة في السفارة لهذا الوفد . . ودعاني إلى حضور هذه الحفلة . . فأجبت الدعوة بلا تردد فقد كنت في شوق إلى لقاء هؤلاء النخبة الممتازة من شباب بلادي وكنت شديد الشوق إلى التعرف بهم والتحدث اليهم .

واتيت إلى السفارة في الموعد المحدد . . فوجدت السفارة مشرقة مضيئة بالأنوار . . ووجدت المدعوين قد تكامل عقدهم . . وهم الوفد الإعلامي السعودي . . وبعض السفراء العرب ووجدت بينهم الشيخ محمد المانع من تجار المنطقة الشرقية . . وقد كانت تربطني به روابط محبة واخاء حينما كنت في الدمام عام ١٣٧٥هـ أي منذ اثنين وعشرين عاماً . . وقد صافحت المدعوين واحداً واحداً . . وعرفتهم بنفسي كما عرفني كل واحد منهم بنفسه . . وجلست حيث انتهى بي المجلس . .

وكانت تلك الليلة من الليالي النادرة التي مرت بي في هذه الرحلة . . حيث كانت عامرة بالأحاديث الشيقة . . والمناقشات الرصينة . . وتحدثت إلى أعضاء الوفد الإعلامي وتحدثوا إلي . . فازددت بهم اعجابا واكباراً . . وكانت هذه الحفلة هي مسك الختام لإقامتي في طوكيو . . حيث بدأت بعدها أعد العدة لرحلة جديدة سوف أحدثك عنها في الصفحات التالية إن شاء الله . .

إلى الصين الوطنية

انتهت زيارتي لطوكيو . وتوجهت بعد ذلك إلى تايبيه عاصمة الصين الوطنية .. فوصلناها بعد طيران دام أربع ساعات كاملة . .

وقد فتحوا في الجمرك أو أنا فتحت لهم في الجمرك جميع حقائبي . . ففتشوها تفتيشاً دقيقاً لم آلف مثله في أي مطار مررت به .. فقد كان موظفوا المطارات الأخرى إذا رأوا شعرات رأسي البيضاء . . ورأوا شخصيتي التي تظهر عليها البراءة فيما أظن تركوا أمتعتي تمر بسلام سواء عند الدخول أو الخروج ولكن كل قاعدة لها شواذ . . وما صادفته في مطار تايبيه هو احد شواذ هذه القاعدة .

وقد وجدت في استقبالي في المطار تاجراً صينياً . . يدعى وليم اليون . . اتصلنا به من طوكيو . . فحجز لي غرفة في فندق في قلب العاصمة . .

وعندما وصلنا إلى هذا الفندق أخبرني أنها ستقام حفلة للربيع .. تقيمها جمعية التعاون الثقافي الصيني والعربي . . وقبل أن يستقر بي المقام في غرفتي ذهبت لحضور هذا الحفل . . الذى شارك في احيائه الطلاب العرب الذين يدرسون في تايبيه . . وقدموا رقصات شعبيه لطيفة . .

كما شارك في احيائه مجموعة من الشباب الصيني . . وكانت حقاً حفلة ممتعة . . وبعد نهاية الرقصات ألقى بعض السفراء العرب كلمات بهذه المناسبة كما تكلم بهذه المناسبة أيضاً بعض الشخصيات الصينية البارزة . .

وبعد القاء تلك الكلمات بدأوا في إجراء قرعة على بعض الجوائز التي سوف توزع على الحاضرين وقد فزت في هذا الاقتراع بغسالة كهربائية . . أعطيت بها أمراً على بعض المحلات التجارية المعروفة . . ولكن ماذا أصنع بالغسالة . . وأنا انسان على جناح سفر . . أتمنى أن أخفف مما معي . . وكان بجانبي ابن ذلك الرجل الصيني الذى استقبلني في المطار . . فأعطيته ورقة الغسالة . . وقلت له استلمها فهي لك . .

حرصت أول ما وصلت أن أزور السفارة السعودية وقد أخذت عنوانها . . ورقم تليفونها من السفارةالسعودية بواشنطن . . وضربت الرقم الذي معي فلم أحظ برد . . ثم أخذت سيارة وذهبت إلى مقر السفارة بحسب العنوان الذى معي فلما وصلتها بعد لف ودوران . . وجدتها تهدم ولم أجد فيها أحداً . . وسألت الهادمين . . فلم يكن عندهم خبر بالمقر الجديد . . ولهذا فقد رجعت بخفى حنين . . بل رجعت صفر اليدين . .

وبعد هذا البحث اعتمدت على الله ثم على نفسي . . وعلى ذلك التاجر الصيني الذي هو وليم ليو . . ليعرفني بالمدينة ويريني معالمها . .

في الصين الوطنية .

يبلغ سكان تايبيه مليونين . . أما سكان تايوان كلها فيبلغون ستة عشر مليونا . . وسألت أول ما سألت عن الزعيم الصيني شيانج كاى شيك . . ماذا فعل الله به . . فقيل لي انه توفي منذ سنتين . . فندمت على وفاته . . قبل أن يحقق أحلامه وامانيه في تحرير الصين من الشيوعية ، لقد لجأ هذا الزعيم الصيني إلى هذه الجزيرة بعد هزيمته في الصين الكبرى . . واراد أن يجعلها قاعدة ومنطلقاً لأهدافه الكبار التي كانت تشغل باله ليل نهار . . ولكنه توفي دون أن يحقق شيئاً منها . . وكيف يستطيع أن ينتصر بستة عشر مليونا على ثمانمائة مليون . . ان الكثرة تغلب الشجاعة . . كما يقولون في الأمثال . . ولكنه الطموح . . لكنه الأمل . . لقد كانت آمال هذا الزعيم أكبر من قدراته ، واحلامه وامانيه ، أكبر من امكاناته . . ولذلك توفي وتلك الأحلام والأماني تجول في نفسه . . وتجول في أفكاره . ولعل خلفاءه الذين ورثوا مجده واحلامه يستطيعون ان يحققوا شيئاً من تلك الأحلام والأماني.

وقد اشتركت في رحلات جماعية للتجول في عاصمة الصين الوطنية وذهبوا بنا إلى سوق مزدحم بالناس . إنك لا تكاد تجد في هذا السوق موطئاً لقدم . .

وهذا السوق يجمع ما هب ودب مما يريده جميع الناس على مختلف طبقاتهم ففيه المطاعم . . وفيه المقاهي . . وفيه أنواع اللحـــوم والأسماك ما هو مطبوخ وما هو نيء . . وفيه أطباء شعبيون ينادون على أدويتهم المتنوعة التي يزعمون أنها شفاء لكل الأمراض .

يأكلون الحيـــات .

والذي لفت نظري في هذا السوق هو ذلك الحانوتي الذي يعلق في باب حانوته أنواعاً من الحيات . . التي ربطها من رقابها . . وتركها تتدلى . . وتتلوى والدماء تقطر من أجسادها . . انها حيات لا تزال تدب فيها الحياة . . ومن هذه الحيات ما يبلغ طوله ثلاثة أمتار . . ومنها ما هو في ضخامة عضد الانسان . . وصاحب الحانوت ينادي على هذه الحيات ويدعو إلى شرب دمائها . . وأكل لحومها . . ودخلنا إلى هذا الحانوت فرأينا رجالا ونساء يأكلون هذه الأشياء . . كدواء . . ومنهم من يتناول هذه الأشياء كمقويات .

وتجولنا بداخل الحانوت . . انه معرض للحيات . . لمختلف أنواعها وأشكالها . . والتي حنطت وحفظت في قوارير قد ملئت بأنواع من المحاليل تحفظ هذه الحيات وتبقيها . . على أشكالها وألوانها : :

ورأينا أنواعاً من المشروبات الحمراء التي صنعت من دماء هذه الحيات والتي يأخذ منها الصينيون . . أنواعاً من الشراب يتناولونه في امان واطمئنان . . ويتزاحمون على شربه . . ولقد عرض على الدليل أن اتناول شيئاً من مشتقات هذه الحيات . . فرفضت ذلك بشدة . .

وكيف أستطيع أن أتناول شيئاً منها . . وأنا يقشعر جلدي عندما أرى لحومها ودماءها ويقشعر جلدي عندما أرى أولئك النسوة والأطفال والرجال يتناولون تلك المشروبات ويأكلون تلك اللحوم . . من تلك الحيات انني لا أدري كيف صادوها . . وكيف جمعوها . . وكيف سلموا من سمومها . . وكيف يجرأون على العيش بين أحيائها وأجوائها . .

ان هذه الأمور من عجائب الصين والصينيين . . وما أكثر العجائب والغرائب . . التي رأيناها منها هذه العجيبة . . ولا شك أن هناك عجائب أخرى كثيرة . . لا يمكن أن يراها من يزور الصين مثل زيارتي الخاطفة .

ان هذا الحانوت يعتبر أكبر معرض لأنواع الحيات الميته التي رأيتها في حياتي . . حيث وضعت هذه الحيات في قوارير . . ورصت على رفوف تكسو جميع حيطان ذلك الحانوت .

وسألت من أين يأتون بهذه الحيات فقيل لي انهم يأتون بها من الجبال ولها صيادون خاصون . . يغزونها في مكامنها . . ويصطادونها بأنواع من الحيل والمعدات الخاصة . . ثم يضعونها في أوعية خاصة . . بحيث يأتون بها إلى الأسواق وهي حية سليمة من كل عيب ويبيعونها بأغلى الأثمان . . لأن هناك أناساً يشترونها أيضاً بأغلى الأثمان .

لقد بهرني هذا المعرض . .وبهرني اقبال الصينيين على أطعمته ومشروباته وخرجت منه وقد تعكر مزاجي . . وانسدت نفسي . . فلم أستطع أن أتناول العشاء في تلك الليلة . . وكان تفكيري طوال ليلتي تلك . . في هذه الحيات . . وفي هؤلاء القوم الذين يجرأون على أكل لحومها . . وشرب دمائها .

لقد كان نومي في تلك الليلة غراراً .. وكان فكري قد امتلأ من تلك المناظر . . وتصوراتى مشحونة بتلك الصور التي شاهدتها وكنت كلما حاولت أن أنسى ذلك لم أستطع إليــه سبيلا . . وأقسمت أن لا أعود إلي

هذا السوق مرة أخرى . . وبررت بقسمي . . وسافرت من الصين . . دون أن أعود إلى ذلك السوق المشحون بالأفانين .

جولات في تايبيه عاصمة تايوان .

ثم ذهبنا إلى مصنع للأطباق والأواني المنزلية ذات النقوش الغريبة . . والرسوم الجميلة . . ولقد اعجبتني آنية رأيتها . . وأحببت أن أحوز تلك الأواني جميعها . . وأضعها في منزلي . . ولكن ماذا تتسع له حقيبتي التي يجب علي أن أحملها بيدي عند الوصول إلى المطار . . وعند مغادرته في كل بلد أزورها .

لقد كنت أرى أثناء رحلتي أشياء كثيرة أتوق إلى شرائها واقتنائها ولكنني كنت إذا فكرت بأنني سوف أحملها بيدى . . ولعدة مرات . . فترت عزيمتي . . وتلاشت رغبتي . . وعدلت عن الشراء مكرها . . وكم من زاد عدلت عنه ونفسي تشتهيه .

وكان من جملة برنامج تايبيه أن نقوم برحلة جوية إلى جزيرة تبعد عن تايبيه ثلث ساعة بالطائرة وقضينا في تلك الجزيرة يوماً كاملا . . رأينا فيه مزارع السكر . . ومزارع الأرز وهي مغطاة بالماء ورأينا كثيراً من المصانع التي كانوا يذهبون بنا إليها لنرى صناعاتهم . . ولنشترى بعض منتوجاتهم اليدوية الجميلة . . انه نوع من الإعلان

ونوع من جلب العملات الصعبة . . التي ينعشون بها اقتصاد بلادهم ثم ذهبوا بنا إلى سلسلة من الجبال الهائلة الارتفاع وتغلغلوا بنا داخلها بحيث بقينا ثلاث ساعات في أعماق تلك السلسلة . . والماء يجرى من تحتنا في ذلك الوادى . . والشلالات تنحدر من الاعالي إلى بطن الوادى . . ونرفع رؤوسنا إلى قمم الجبال فلا نكاد نرى هذه القمم . . لان السحاب يتقطع دون أعاليها . . وسيارتنا تمر بنا في سفوح تلك الجبال على ارتفاع يقرب من خمسين مترا أو تزيد . . ونحن تارة نسير في طريق مكشوف وتارة نسير في انفاق داخل تلك الجبال . انها مناظر ساحرة . . لن أنساها مهما طال بي الزمان . .

ولقد رأيت الكثير من السياح يعجبون مثل عجبي ومعظمهم يحمل آلة للتصوير وهم يصورون بها تلك المناظر الرائعة . .

ثم ذهبوا بنا في جملة ما ذهبوا إلى كنيسة لبوذا انها صورة طبق الأصل للكنائس التي رأيناها لبوذا في اليابان . . لقد غزت تعاليم هذا الأمير الهندي المتصوف جميع شعوب الشرق الأقصى . . الذى هو داعية للعدالة الاجتماعية . . داعية للأخلاق والمثل العليا . . داعية للقناعة والتقشف . . ولكن أتباعه ومريديه غلوا فيه . . فمنهم من جعله

نبياً ومنهم من ألهه ووجه إليه بعض أنواع العبادة وبعد هذه الكنيسة انتهت رحلتنا في تلك الجزيرة وعدنا أدراجنا إلى تايبيه .

قبر الجندي المجهول .

وفي اليوم التالى ذهبنا إلى قبر الجندي المجهول انه مبنى جميل في ضاحية من ضواحي تايبيه .. تحيط به المروج الخضراء .. والحدائق الغناء .. والزهور المختلفة الأشكال والألوان ..

ولقد رأينا عند الباب الخارجي لهذا المبنى جنديين واقفين .. بسلاحهما .. وقفة ثابته .. انهما لا يتحركان .. ولقد حسبتهما في أول الأمر تمثالين .. وشككت في حياتهما .. فذهبت إلى احدهما .. وقربت منه .. ولم أتجرأ على لمسه خوفاً من أن يكون ذلك ممنوعاً .. ولكنني درت حوله وهو لا يتحرك .. وأخيراً نظرت إلى عينيه .. انهما ترمشان .. إذا فهو جندي حي وليس تمثالا .. ان الشيء الوحيد الذي يتحرك في هذا الجندي هو عيناه أما أجزاء جسمه فانها لا تتحرك .. ولا تستطيع أن تعرف منها هل هو حي أو تمثال .. ثم دخلنا إلى هذا المبنى الكثير الحدائق الجميل التنسيق وعندما قاربنا المبنى الذي فيه قبر الجندي المجهول .. رأينا جنديين آخرين يقفان

بنفس الوقفة . . ورأينا تمثال شيانج كاي شيك . . في أحد جوانب هذا المبنى ورأينا قبر الجندي المجهول تحيط به الزهور .

ثم ذهبنا إلى غرفة ثانية فرأينا أسماء الجنود والضباط . . انها غرفة ملآنة بالتماثيل والأسماء التي يسمونها غرفة الشهداء . . ولا أدرى في أي حرب قتل هؤلاء الشهداء . . هل هو في الحرب العالمية الثانية . . أم في الحروب التي وقعت بين شيانج كاى شيك وبين الشيوعيين .

انني لا أعرف لغة القوم . . ولا أعرف لغة الدليل الذي يصحبنا . . انني أفهم من المشاهد والصور أكثر مما أفهم من الدليل أو الكلمات المكتوبة أو المسموعة . . ألا ما أصعب العيش بين قوم لا تعرف لغتهم ولا يعرفون لغتك . . انك تعيش بينهم كالابكم الذي فقد القدرة على الكلام . . وفقد القدرة على الفهم . . انني لا اعرف ما يدور حولي . . ولا أعرف ماذا أقول ولا ما يقال لي . . انها حسرة بقيت في نفسي طيلة أيام هذه الرحلة التي استغرقت ثلاثة أشهر . . والتي لم استغرقها في مكان واحد .

لقد كنت مجازفاً في هذه الرحلة . . بدون لغة ولا رفيق . . ولكن الله أعانني وسهل أمورى . . وانتهت الرحلة بسلام . . وذلك بعون الله وتوفيقه فهو المحمود

وحده على العون في هذا الجد المتواصل الذي لم أعرف فيه طعم الاستقرار والهدوء ما عدا فترات قصيرة تتخلل هذا الحل والترحال .. وهي ليست هدوءاً كلها انني أستغلها في المشاهدات والجولات لارى ثم أهضم ما أرى ثم أكتبه في هذه الورقات أو المذكرات .

في أحد المسارح .

ثم ذهبوا بنا إلى أحد المسارح الليلة .. وكانت تمثل فيه قصة شاب وشابه تحابا حباً عنيفاً .. وعاشا في هذا الحب فترة لاأعرف هل طالت أم قصرت ثم اختلفا .. وكان الاختلاف عنيفاً أيضاً في نفس درجة الحب .. فقتلت الفتاة حبيبها بطريقة هي غاية في الدقة والخفاء لأنها قد تكون اتهمته بالميل إلى غيرها .. وهجرانها إلى الأبد .. .. واتجهت إليها التهمة ولكن الفتاة انكرت ان تكون قتلت حبيبها .. وكيف يقتل المحب حبيبه وكان حبهما قد جرى على كل لسان .. أما اختلافهما فقد كان خفياً ولذلك سهل عليها ان تنكر الجريمة من أساسها .. وان تأتي بالأدلة والبراهين على براءتها من دمه .. براءة الذئب من دم ابن يعقوب وبحثت اجهزة العدالة عن الجاني .. ولكنها لم تجد أي طريق يقودها إلى الجاني .. وكانت أدلة الاشتباه كلها تبدأ بالفتاة ثم تنتهي إلى الفتاة حبيبة ذلك الشاب . ولكن لا أدلة تدين الفتاة .. والفتاة تنكر هذه

الجريمة . . وتتبرأ منها بمختلف الوسائل . . وتدلل على براءتها بمختلف الأدلة . . واحتارت أجهزة العدل . . ولم تدر ماذا تصنع أمام هذه الجريمة . . واخيراً لاح لهم طريق قد يستطيعون إذا سلكوه أن يكتشفوا الجريمة . . وان يضعوا ايديهم على أدلتها . . وليس أمامهم إلا الفتاة . . حبيبة الفتى . . فان كل أدلة الاتهام تتجه إليها وحدها . . واختاروا شيخاً يجيد التمثيل والتنكر . . ولديه الكثير من الصبر والجلد والمثابرة . . فأوعزوا إليه بالاتصال بهذه الفتاة سراً . . والتظاهر بأنه يريد أن يكون عوناً لها في هذه المحنة التي تعرضت لها . . بسبب قتل حبيبها . . وكانت الفتاة في أمس الحاجة في تلك الظروف الحرجة . . إلى من يسليها ويواسيها . . ويكون عوناً لها في ابعاد هذه الشبهة عنها . . ولازم الشيخ هذه الفتاة . . وصار يتظاهر لها بأنه يريد ان يخرجها من هذه المحنة بسلام . . وسلك هذا الشيخ طرقاً كثيرة لاستدراجها . . إلى ان تصارحه بالحقيقة . . ليسهل بعد ذلك . . تخليصها من مضاعفاتها وعقابيلها .

وما زال هذا الشيخ يتابع الفتاة ويستدرجها حتى اكتشف الجريمة . . واتى بالفتاة أمام أجهزة العدالة . . وواجهوها بأدلة الأثبات فلم يسع الفتاة في هذه الحاله الا أن تعترف بجريمتها . . فسجل محضر بذلك . . ثم اقتيدت

الفتاة بعد ذلك إلى ملكة البلاد . . وحولها القضاة ورجال العدل . . ورجال الأمن . . وسئلت أمام الحاضرين . . عن الجريمة فاعترفت بها اعترافاً صريحاً لا اشتباه فيه . . وعندئذ أمرت الملكة بأن تغل يديها إلى عنقها . . وان تودع في السجن حتى يصدر فيها حكم القضاء . . فامتثلت الفتاة للأمر وقدمت يديها فادخلتا في فتحتين قد هيئتا في لوح كبير . . وكان في اللوح فتحة ثالثة أدخلت فيها رقبتها وبذلك غلوا يديها إلى عنقها .

ثم ذهب بالفتاة إلى السجن . . وكان هذا المشهد هو آخر المشاهد التي رأيناها . . وبقية القصة معروفة فالبدايات تدل على النهايات والمقدمات توصل إلى النتائج . . لقد كانت قصة مؤثرة . . والممثلون الذين مثلوا هذه القصة كانوا يؤدون أدوارهم في رشاقة واتقان حتى انك لا تكاد تفرق بين الحقيقة والتمثيل .

وكانت مشاهدة هذه القصة أو هذه المسرحية هي نهاية مطافنا في تلك الليلة . .

في متحف تايبيه .

وجاء الغد فذهبنا إلى متحف تايبيه . . ان هذا المتحف يقع في ضاحية جميلة من ضواحي المدينة . . ومبناه يعتبر

أيضاً تحفة من التحف ودخلنا إلى هذا المتحف بعد أن متعنا ابصارنا بحدائقه وزهوره والمناظر الجميلة المحيطة به .

. . ورأينا ذلك التمثال الضخم من البرنز للزعيم الصيني الراحل شيانج كاي شيك . . ثم تجولنا داخل المتحف . . ورأينا كثيراً من أدوات الزينة . . من عقود وخواتم وازارير . . هي آية في الدقة والجمال ورأينا مختلف الأسلحة والأواني الفخارية والأواني الخشبية وما إلى ذلك مما لا يحصيه الحصر من مخلفات القرون الماضية . .

وانتهت جولاتنا في مدينة تايبيه . . تلك المدينة الجميلة النظيفة ذات الشوارع الواسعة . . والعمارات التي لا يزيد ارتفاعها عن أكثر من عشرة طوابق والتي تحيط بها الجبال من معظم جهاتها . . تلك الجبال المكسوة بالأشجار والزهور . . المليئة بالحيات . . ذات الأشكال الجميلة والمخيفة معا . . والتي يأكلون لحومها ويشربون دماءها . .

إلى جزر هنق كنق

في جزر هنق كنق .

وانتهت زيارتي لجزر تايوان الصين الوطنية ... وبدأت أعد العدة للرحيل إلى جزر هنق كنق .. وحجزت كرسياً في إحدى الطائرات .. وكنت في فترة من الفترات قررت أن أصرف النظر عن زيارة هذه الجزر ... فقد مللت الحل والترحال .. ثم عدلت عن هذه الفكرة .. وقررت اكمال البرنامج .. ولو كلفني ذلك بعض المشقة .. وعندما رأيت هنق كنق حمدت الله على أنني اتيت إليها .. لقد استغرق طيراننا من تايوان إلى هنق كنق ساعة ونصف ساعة تقريباً منها عشر دقائق فوق أراضي تايوان .. أما بقية المدة فقد كنا نطير فوق بحر خضم متلاطم الأمواج هو بحر الضباب .. حتى وصلنا إلى هنق كنق .. انها مجموعة من الجبال والجزر الصغيرة المتقاربة التي منها ما هو مكسو بالأشجار .. ومنها ما هو عار أو شبه عار من النباتات .. أما الجزر الصغيرة فان منها ما هو منسق منظم قد ملأت ارضه أنواع المزروعات ومنها ما هو مستنقعات على مد النظر .

وهنق كنق مستعمرة بريطانية .. أو على الأصح

مستأجرة بريطانية . . استأجرتها بريطانيا من الصين لمدة طويلة . . وهي ميناء حـــرة عظيمة تصل الشرق بالغرب . والغرب بالشرق . . وقد علمت ان الصين يمكن أن تستعيدها بعد فترة قصيرة . . إلا أن العارفين ببواطن الأمور يقولون ان مصلحة الصين في أن تبقى هنق كنق ميناء حرة لأن الصين قد جعلت هذه الميناء منفذها للعالم الخارجي . . تصدر إليه وتستورد منه . . ولذلك فقد يجدد عقد الإيجار بين الصين وبريطانيا مرة أخرى . . وقد يزيد السعر وقد ينقص . . ولكنه للزيادة أقرب منه إلى النقصان . . وقد تطول المدة أو تقصر . ولكنهـــا للنقصان أقرب . . ان علاقات الدول بعضها ببعض تبنى على المصالح المادية فقط . . وإذا استعملوا بعض الوسائل الأخرى فان الهدف الأساسي منها هو الوصول إلى بعض المصالح المادية أيضاً لقد أصبحنا في عصر جعل المادة معبوده الذى يدين له ويكرس له جميع جهوده وطاقاته . . وأنواع ذكائه .

وعملة هنق كنق هي الدولار المحلي ويساوى مـا يقرب من ريال إلا ربع . . والسير في شوارع هنق كنق على النظام الانجليزي . . أي من جهة الشمال . . وقد رأيت في شوارع هنق كنق تلك الحافلات العامة . .

المؤلفة من طابقين والتي منها ما يسير بقوة الكهرباء فوق قضبان حديدية ثابتة . .

ومنها ما يسير بقوة البنزين . . ومعظم عمارات هنق كنق عالية جداً . . إذ أنها قد تبلغ الستين طابقاً .

وقد اشتركت في رحلات جماعية في هنق كنق . . فذهبوا بنا أول ما ذهبوا إلى جبل عال يشرف على تلك الجزر جميعها . وكان الوقت ليلا . . ورأينا تلك الجزر من عل . . ان البحر يدخل من بين جبلين عظيمين . . والبيوت والجبال تحيط بهذا الخليج . . ان صحت هذه التسمية . . في شكل مقوس يتسع تارة ويضيق أخرى . . والأنوار الملونة تشع من تلك البيوت والشوارع . . . فتنعكس أنوارها في مياه ذلك الخليج . . أو شبه الخليج . . فيرى المشاهد منظراً اخاذا ساحراً قد لا يرى مثله في أى بلد آخر . . ثم ذهبوا بنا بعد ذلك إلى مكان آخر لنتناول فيه العشاء . . وهذا العشاء داخل في حساب الرحلة . . لقد قبضوا ثمنه مقدماً . . وركبنا زورقاً صغيراً شق بنا عباب مياه الخليج إلى باخرة كبيرة في عرض البحر . . ان هذه الباخرة ثابته لا تتحرك . . وقد رصفت ارضيتها بالبلاط الجميل . . بحيث لا تشعر وانت فيها . . انك في باخرة في وسط مياه البحر . . ثم قدموا لنا انواعاً من الأطعمة الشعبية الصينية . .

وبعد الانتهاء ذهبوا بنا إلى أحد المسارح . . فرأينا عدة رقصات وتمثيليات رائعة العرض . . رائعة الأداء . . ولكنها لا تبلغ في رأيي مستوى الفن الذى رأيناه في طوكيو .

لقد غطت أمور طوكيو على ما قبلها وما بعدها . . . فقد مسحوا من الذاكرة كل ما سبقهم . . كما أفسدوا على من جاء بعدهم . . أو على الأصح على من ذهبنا اليه بعدهم . . وذلك في أمور كثيرة . . بالنظافة . . بالأدب بالديكورات المتعددة . . والمناظر الساحرة . . برقة الطبع بدقة التصوير . . بجاذبية العرض . . التي تغيب بك عن الوجود . . وتحلق بك في اجواء الفن حتّى تنسى نفسك . . وتنسى من حولك . . وتعيش فيها ومعها بكل عواطفك ومشاعرك واحلامك . .

وانتهت رحلتنا تلك الليلة بانتهاء مشاهداتنا في ذلك المسرح وجاء اليوم الثاني . . فذهبوا بنا نهاراً إلى جبل عال فصعدنا إلى قمته فرأينا المدينة في النهار . . كما رأيناها في الليل .

وكان منظرها نهاراً لا يقل عن منظرها ليلا في الروعة والجمال سواء الجمال الطبيعي الذى نراه في تلك الجبال . . أو المناظر الصناعية من عمران وشوارع . . وميادين هي غاية في النظافة والجمال . . وحسن التنسيق . . والواقع

انك وانت تتجول في هنق كنق لا تكاد ترى منظراً غير جميل . . ان يد الاصلاح والتنسيق والتجميل قد وصلت إلى قمم الجبال فضلا عن سفوحها . .

جولات في جزر هنق كنق .

ثم داروا بنا في سواحل الجزيرة . . أو الجزر . . واورونا مسابحها المهجورة على سواحل البحر . . فقد كان الجو عندهم بارداً . . واورونا صيادى الاسماك ورأينا جيشاً عرمرما من هؤلاء الصيادين . . بألبستهم الرثة وقواربهم المتداعية . . ومساكنهم التي معظمها من الصفيح والخشب المتآكل . . ان هؤلاء الصيادين ولا شك يكسبون من هذا الطريق مكاسب جمة ولكن هناك فئات تأخذ معظم هذا الكسب . . ولا تبقى لهم منه إلا ما يسد الرمق . . ويقوم بمتطلبات المعيشة الضرورية ثم مررنا في عودتنا ورواحنا بذلك السرداب الطويل الذى انشيء داخل البحر ليربط بين الجزيرتين الكبيرتين اللتين تتكون منهما المدينة الكبرى من مدن هنق كونج . . ان طول هذا السرداب داخل البحر يقرب من ستة كيلومترات . . قد تزيد قليلا وقد تنقص قليلا ومدينة هنق كنق نظيفة وجميلة . . ومنظر جبالها جذاب بزهوره وأشجاره . . وغاباته الكثيفة التي نراها في قمم الجبال وسفوحها . . ان الجسم

المكسو بأنواع الألبسة الجذابة والحلي اللماعة له جاذبيته ورونقه ورواؤه . . كما ان الجسم العارى له سحره وجماله أيضاً ولذلك نرى الذين يأتون إلى بلادنا . . يؤخذون بسحر صحرائنا العارية ويطربون لرؤية نجومها اللامعة . . وسمائها الصافية . . وهوائها النقي العليل . كما اننا إذا ذهبنا من هذه الصحراء إلى تلك البلاد المكسوة بالأشجار والغابات والزهور نطرب لرؤية ذلك النوع من الجمال . . ونسر بتلك المشاهد التي نفتقدها في بلادنا . . ان المرء قد يسأم مما الف ويحن إلى الجديد ويسعد برؤيته . . ولو إلى حين . . ثم يعود حنينه إلى ما الف واعتاد .

ومدينة هنق كنق واسعة الطرق كثيرة الجسور . . ان فيها جسوراً للمشاة وفيها جسوراً للسيارات . . ومعظم مبانيها عالية تبلغ العشرين طابقاً والثلاثين والأربعين . . وأعلا عمارة فيها تبلغ ستة وخمسين طابقاً . . ومعظم سكان هنق كنق من الصينيين اما البقية فهم أخلاط من من جميع الأجناس البشرية . . ولا سيما الاجناس الشرقية . الشرق الأقصى والشرق الأدنى والشرق الأوسط . . وفيها أمريكان . . وفيها أوربيون . . وفيها عرب ويبلغ سكان هذه الجزر اربعة ملايين نسمه . . وكل جنس يتكلم بلغته الخاصة . . واللغة التي تجمع بين هذه الأجناس البشرية هي اللغة الانجليزية . . والذى جعل تلك الجزر

مجمعاً لجميع شعوب العالم هو أنها ميناء حرة ترد اليها البضائع من جميع دول آسيا وتصدر منها البضائع لجميع دول آسيا بل هي أكبر من ذلك واوسع ان البضائع ترد اليها من جميع انحاء العالم وتصدر منها إلى جميع انحاء العالم .. انها ملتقى للشرق والغرب على حد سواء ولذلك غزتها جميع الأجناس البشرية .. واسست فيها متاجر ووكالات تجني من ورائها كثيراً من المصالح .. والأرباح ..

جزر هنق كنق بالإيجار .

وقد استعمرت بريطانيا هذه الجزر أو على الأصح استأجرتها من الصين واستعمرتها منذ عام ١٨٩٨ م ولمدة ٩٩ عاماً ومعنى هذا ان هذه الاتفاقية تنتهي في عام ١٩٩٧م .. أى بعد عشرين سنة من الآن ..

والعارفون ببواطن الأمور يقولون إن الصين سوف تجدد هذه الاتفاقية بعد نهايتها .. لأن مصلحتها في أن تبقى هنق كنق مستعمرة أو مستأجرة بريطانية .. ولكن الشيء الذى لا يزال مجهولا هو مقدار الأجر الذى سوف تطلبه الصين .. ومقدار المدة التي سوف يتفق عليها الطرفان ان هذين الأمرين لا يزالان مجهولين لنا نحن الذين على هامش هذه الاتفاقية الجديدة إذا تمت .. وقد تكون مجهولة حتى بالنسبة للطرفين في هذه الآونة .

ويبقى سؤال واحد وهو لماذا تكون مدة الايجار ٩٩ عاماً . . لماذا لم تكمل المائة . أو لماذا لم تكن تسعين عاماً فقط .

ان هذا سر لم أعرفه حتى الآن . . ولعل الساسة الانجليز يتفاءلون بهذا الرقم فيجعلونه هو الرقم المختار للايجارات . . أو المعاهدات الدولية . . انني أجهل السر كما قلت سابقاً . . وقد يجهله الكثيرون من أمثالي . . والذى يعرفه تمام المعرفة هم الساسة الانجليز . . وحدهم وقد شاهدت في جزر هنق كنق كثيراً من الجسور المعلقة والانفاق والطرق ورأيت فيها قطاراً لنقل البضائع . . ونقل الركاب . . ورأيت الطرق فيها تشق في سفوح الجبال . . وتصل إلى قممها العالية . . وعجبت من ضخامة تلك المشاريع . . العامة . . فهل واردات هونج كونج تغطي نفقات هذه المشاريع . .؟ وماذا تأخذ بريطانيا لنفسها . . انها تدفع أجوراً للصين انها تدفع مصاريف هذه المشاريع . . انها لابد أن تستفيد . . فما هي فائدتها من استئجار هذه الجزر . . انه ليس لدى معلومات دقيقة عن هذه الأمور الا انني اخمن ان واردات هذه الجزر ضخمة جداً . . وان الحكومة البريطانية تأخذ نسبة معينة من هذه الواردات لتغطى بها الأجور التي تدفعها للصين . . كما انها قد تأخذ نسبة أخرى من هذه الواردات

أيضاً مقابل خدماتها لهذه الجزر . . ان الذئب لا يركض عبثاً كما يقولون في الأمثال .

أين سكنت في هنق كنق .

سكنت في هنق كنق في فندق يسمى قولدن قيت أي البوابة الذهبية وهو في قلب المدينة . . وقد أودعت عندهم بعض الشيكات بالدولار الأمريكي .

وعلموا من ذلك أنني أملك بعض المال . . ولذلك فانني عندما طلبت منهم أن يحجزوا لي مركباً في إحدى الطائرات بعد ثلاثة أيام . . أخذوا مني تذكرة الركوب وعملوا بعض الاتصالات الوهمية . . ثم أخبروني أنه لا يوجد مقاعد إلا بعد عشرة أيام . . لأن المقاعد كلها محجوزة إلى البحرين إلى ذلك التاريخ وعندما سمعت هذا الكلام انزعجت . . وطار صوابي اني أعد الأيام . . بل الساعات . . بل الدقائق . . للرحيل والعودة إلى بلادي لقد سئمت عدم الاستقرار . . سئمت أكل الفنادق والمطاعم . . سئمت مشروباتها .

ولهذا فانني في الحال طلبت من إدارة الفندق أن تعيد إلي تذكرة الركوب فأخذتها . . وذهبت إلى المطار رأساً . . وسألت عن مكاتب الخطوط التي تذهب إلى البحرين . . لأنه لا طائرات تذهب رأساً إلى مطار الظهران . . انه

لابد من مرور البحرين ومن البحرين إلى الظهران فدلوني إلى أحد المكاتب وطلبت منهم أن يحجزوا لي مركباً . . وسألوني في أى يوم أريد . . فأخبرتهم بأنني أريده بعد ثلاثة أيام . . أي في الموعد الذي طلبت من الفندق أن يحجز لي فيه . . فسجلوا اسمى لديهم . . وأخبروني بالموعد الذي يجب أن أحضر فيه إلى المطار . . والموعد الذي تقلع فيه الطائرة . . وألصقوا بالتذكرة قصاصة من الورق بالحجز وتاريخه . . وموعده .

وعدت إلى الفندق بعد نصف ساعة من مغادرتي اياه وبيدي التذكرة وفي هذه التذكرة موعد الحجز . فتعجبوا من ذلك . . أو تظاهروا بالعجب . وسألوني كيف حجزت . . فأخبرتهم ان لي صديقاً في المطار هو الذي حجز لي هذا المقعد . فقالوا لي ولماذا أنت مستعجل فقلت ان ورائى أو أمامي أعمالا لا تتحمل التأخير . . ولذلك أسرعت في الحجز .

فأخذ الموظف مني التذكرة . . واتصل بذلك المكتب ليتأكد من صحة الحجز . . وأطال الاتصال . . فظننت فيه شتى الظنون . . فلو الغي ذلك الحجز لاستيقنت انه بسببهم . . ولو صح ذلك لخرجت من هذا الفندق حالا . . ولفوت عليهم الغرض الذي أخرونى من أجله . .

ولكن الموظف بعد تلك الاتصالات المطولة .. أخبرني بأن الحجز صحيح وعندئذ أطمأنت نفسي .. وهدأت أعصابي :

وبعد أن فشلت هذه المكيدة في تأخير سفري .. حسب ما كنت تصورت أرادوا أن يدبروا لي مكيدة أخرى .. وذلك أنني طلبت منهم أن يدلوني على مكان نظيف أسهر فيه تلك الليلة .. فلم يكن منهم إلا أن أرسلوا الي شخصاً عرض علي أن يأخذني إلى مكان نظيف أسهر فيه .. ووصف لي كثيراً من الاغراءات الموجودة في هذا المكان .. تلك الاغراءات التي تدغدغ العواطف .. ويسيل لها اللعاب .. ولكن عواطفي لم تستجب لتلك الاغـــراءات .. وأخـــبرتهم أن جميع هذه الأمـــور ليست من أربي .. ثم أشرت إلى شعر رأسي الأبيض .. وقلت لهم .. كفا المرء بالاسلام والشيب ناهيا .

فخرجوا من عندي بعد أن يئسوا مني .. لقد استعملوا ذكاءهم إلى أبعد الحدود وعلى الزائر لهنق كنق أن يستعمل ذكاءه أيضاً إلى أبعد الحدود .. ليأخذ منهم مثل ما يعطيهم .. أما أن يأخذ منهم أكثر مما يعطيهم فهذا شيء أعتقد أنه نادر جداً .. فهم قوم تجار والتاجر قبل أن يقدم على أي صفقة يحاول أن يكون هو الرابح

في الدرجة الأولى . . ولا بأس أن يكسب عميله . . ولكن يجب أن يكون مكسبه في الدرجة الثانية . .

انها الأخلاق التجارية البحته التي يتعاملون بها فيما بينهم . . وفيما بينهم وبين السياح .

ثم قمنا بآخر جولة من هذه الجولات . . لقد سرنا في سفوح الجبال الشرقية من المدينة . . واستمر بنا السير ثلاث ساعات دون أن نصل إلى نهاية تلك السلسلة من الجبال التي لا تنتهي من سلسلة حتى تتصل بسلسلة أخرى . . وقد كنا نمر في سيرنا بمختلف القرى والمدن المكتظة بالسكان كما اننا نرى عن يميننا وشمالنا مزارع الموز . . ومزارع الخضروات . . ونرى كثيراً من المستنقعات التي لا أدرى هل ماؤها عذب أم أجاج كما كنا نمر بالكثير من الأراضي البور . . والسفوح الخضراء الجميلة الخالية من السكان ان في هذه الجزيرة الكثير من الأراضي والسفوح التي لا تزال تنتظر يد التعمير والانشاء . . ثم مررنا في أثناء عودتنا من هذه الجولة بنفق يبلغ طوله ثلاثة كيلومترات تقريباً . . وقد أنشيء في قلب أحد الجبال . . وعندما خرجنا منه وجدنا أنفسنا في شوارع المدينة الكبرى في هنق كنق . . لقد اختصر هذا النفق ثلاثة أرباع الطريق التي قطعناها في ذهابنا . . ولذلك انفقوا من الأموال ما

أنفقوا . . وتكلفوا من المشاق ما تكلفوا ليختصروا للغادين والرائحين بعض الوقت . . وبعض الجهد . . انها النظرة الصائبة السليمة . .

***

مشروع للاسكان في هنق كنق .

وفي إحـــدى جولاتنا مررنا بأرض يبلـــغ طولها ما يقرب من عشرة كيلومترات في كليوين عرضا . . والعمل قائم فيها على قدم وساق . . وذلك مشروع عظيم للاسكان الشعبي . . وبعد ان انتهينا من مشاهدة هذا المشروع الهائل مررنا بكثير من الأحياء الشعبية عن يميننا وشمالنا . . وهم يسكنون في أحفاش متآكلة قد صنعت من الصفيح والأخشاب البالية . . والورق المقوى . . انها أحياء في غاية الرثاثة والسوء . . تحيط بها المستنقعات . . وتخيم على جوها الرطوبات . . ويسكنها الفقراء من الفلاحين وصيادى الأسماك ومن شابههم . .

ولا شك أن صحة هؤلاء السكان في غاية السوء والخطورة . . ولا شك أن هذا المشروع العظيم سوف يحل مشكلتهم . . ويقضي — إذا انتهى — على كثير من المآسي التي يعاني منها هؤلاء السكان الذين معظمهم من سكان هذه الجزر القدماء . . وهم من الصينيين المحدودى الدخل والثقافة والامكانيات . . ولقد تجولت في معظم

أحياء المدن والقرى في هنق كنق . . فرأيت أن الطابع العام لهؤلاء السكان هو الطابع الصيني . . فأنت ترى معظم اللوحات المعلقة على الحوانيت بالخط الصيني . . وكذلك تجد هذا الطابع على مفارق الطرق . . والامكنة العامة . . ولعل هذه الظاهرة من شروط الاتفاقية المعقودة بين بريطانيا والصين . . أو لعله الطابع الصيني الذى فرضته الاكثرية من السكان . . وهم صينيون لحماً ودماً . . وعادات ولغات .

أو لعله أمر آخر غير هذا وذاك . . انني لا أستند في هذه المعلومات على مصادر رسمية دقيقة . . ولكنني أعتمد على مشاهداتى وتخميناتي الخاصة التي قد تصيب الهدف . . وقد تخطئه . . وقد تقع في بعض الأحيان قريباً منه .

وأنا لا أقدم في هذه الصفحات تقريراً تبنى عليه أحكام . . ولا أقدم معلومات لجهات رسمية . . تتطلب أن تكون هذه المعلومات صحيحة مائة في المائة انني أكتب أدباً أو ما يشبه الأدب . . وأتخيل فيما أكتب وأضرب في دنيا الأحلام والخيالات كلما اتسع الطريق أمامي . . وكلما رأيت شيئاً من البريق الذى قد يعجب القارىء . . ويجلب له السرور والمتعة . . لقد رأيت هنق كنق من الجو فرأيت جبالا صغيرة ولم أر تلك الأراضي والسهول

التي بين الجبال . . ان الرؤية من بعيد قد تصغر الكبير . . وتقلل الكثير . .

ولقد تذكرت الان وبهذه المناسبة كلمات كنا نقولها ونحن أطفال على لسان القمر . . وعلى لسان بعض النجوم . . وهي أن النجمة قالت تخاطب الإنسان : تشوفني (أي تراني) كبر البلحة . . وأنا كبر الناقة اللقحة . . ويقول القمر تشوفني كبر اليدين . . وأنا كبر البلادين . .

الحنين إلى الوطن .

وانتهت جولاتى في هنق كنق . . وقرب موعد السفر إلى بلادي . . انه لم يبق بيني وبينها إلا مرحلتان . . وكلما قربت بلادى عظم شوقي إليها . . ولقد تمنيت أن يكون لي جناحان لكي أطير إليها . . بلا حواجز . . ولا جمارك . . ولا عقبات ولقد كنت عندما بدأت الرحلة إلى أمريكا أقول ما يقوله أبناء بلادي . . عندما يبدأون السفر من بلادهم إلى بلاد الشام . . إنهم يقولون في أول يوم يتجهون فيه إلى الشام . . يا قرب الشام . . ويا بعد هلى . . وعندما يخرجون من الشام إلى بلادهم يقولون في أول يوم يا بعد الشام وياقرب هلى . . ان كل شيء تأخذ منه ينقص ومصيره إلى النفاد وكل شيء تزيد فيه

مصيره إلى النمو والازدياد .. انها فلسفة الاباء والاجد
وهي فلسفة عميقة .. يثبتها واقع الحياة ..

وقد يستغرب بعض الذين يقيمون في أحضان بلاده
هذه العواطف الجياشة والهوى المفرط في حب الوطن ،
والشوق إليه .. ولكنني أقول لهؤلاء ما قاله الشا
العربي القديم :

لا يعــرف الشوق إلا من يكابده

ولا الصبــابة إلا من يعــانيها

وأقول لهؤلاء ثانياً جربوا الغربة ثم حاسبوني ع
عواطفي ومشاعري وأشواقي نحو بلادي .

وأخيراً وصلت إلى البحرين التي أعتبرها جز
من بلادي .. أو أعتبر بلادي جزءاً منها .. لا فر
عندي بين التعبيرين ..

وقد وصلت إلى البحرين بعد رحلة من هنق ك
استغرقت عشر ساعات ونصف ساعة يضاف إليه
ساعتان إلا ثلثا .. قضيناها في مطار بانكوك .

وبمجرد أن وطئت قدماي أرض البحرين .. شعر
براحة واطمئنان لا أستطيع أن أعبر عنها بالكلمات .

انه شعور الاياب بعد الغياب .. شعور العودة إلى الأهل والوطن .. الذي ألفته ونشأت فيه .. وانطبعت نفسي بطابع اجوائه .. ارضه وسمائه .

لقد كنت أثناء هذه الغربة إذا لم أجد من أحدثه أو يحدثني .. أحدث نفسي .. وأنشد الأمثال والاشعار التي تشدنى إلى بلادى ..

ولقد كنت في بعض الأحيان أرفع صوتى بهذه الأغانى والأمثال .. ثم أخفضه خوفاً من أن يسمعني أحد فيتهمني بالوسوسه .. أو الهلوسة أو ان شئت التعبير الصحيح .. خوفاً من أن يتهمني بالجنون .

لأن المجنون هو الذى يعزف عن الناس .. وعن التحدث إليهم ويتحدث مع نفسه وإلى نفسه .. انها الضرورة التي تلجئني إلى هذه الحالة التي فيها ما فيهـــا كما ترى ..

إلى البحرين

من هنق كنق إلى البحرين .

كانت رحلتي من هنق كنق إلى البحرين هي أشق رحلة . . وأطول رحلة مرت بي في جميع تنقلاتي السابقة . . فقد استغرقت يوماً وليلة كاملة أي أربعاً وعشرين ساعة . . منها ما هو استعداد للسفر ومنها ما هو انتظار . . ومنها ما هو طيران . . فالطيران قد استغرق عشر ساعات ونصف ساعة والباقي استعداد للسفر . . وانتظار للسفر .

وصلت إلى البحرين في الساعة الرابعة ليلا حسب توقيت هنق كنق ومعنى هذا انه لم يبق على طلوع الفجر إلا ساعتان حسب توقيت هنق كنق ولكنني عندما سألت عن التوقيت في البحرين وجدته الساعة الحادية عشرة . . أي إن الفرق بين توقيت هنق كنق وتوقيت البحرين خمس ساعات . . وقد قلت لموظفي مطار البحرين انني أرغب مواصلة السفر إلى الظهران في أول طائرة . . فقالوا لي إنه ليس هناك طائرات إلا غدا في الساعة الثامنة صباحاً . . ومعنى هذا أنني يجب أن أبقى في مطار البحرين تسع ساعات انتظار . . وطلبوا مني أن أبقي عندهم تذكرة الركوب ليعملوا ترتيب رحلتي إلى الظهران في الموعد

الذي اخبروني به . . ورضخت للأمر الواقع . . وأعطيتهم تذكرتي . . وقلت لهم أين أقضي هذه التسع ساعات . . فقالوا لديك في المطار مقهى ومطعم . . ولديك صالات متعددة يمكن أن تنام على أرائكها . . حتى يأتي موعد رحيلك . . فاقتنعت بما قالوه مكرها وبعد فترة من الزمن سمعت أن طائرة يمنية سوف تقلع من البحرين إلى الظهران ومن الظهران إلى صنعاء . . فطلبت منهم أن يرحلوني في هذه الطائرة . . فقالوا ان هذا غير ممكن ولا أدرى لماذا يكون هذا الأمر غير ممكن . . هل يكون طيران الخليج اخذ امتيازا خاصاً بأن لا يسافر أحد من البحرين إلى الظهران إلا في طائراته . .

أم إن هناك أعتبارات أخرى لم أطلع عليها . .

والمهم أنني بحثت عن مكان هادىء لانام فيه فوجدته . . لقد رأيت مطار البحرين وتجولت فيه . . ومن العجب العجاب أن معظم القائمين بأعمال هذا المطار هم من السيدات البحرينيات . . إنك لا ترى الرجال العاملين في هذا المطار إلا نادراً . . ورأيت جميع مرافق هذا المطار لقد هالتني سعته . . وكثرة صالاته . . وحسن تنظيمه وترتيبه لقد كنت أعهده منذ زمن قريب مطاراً صغيراً متواضعاً . . ولكنني عندما رأيته هذه المرة . . رأيت

مطاراً واسعاً منظماً نظيفاً يعج بالقادمين والمسافرين إلى جميع أنحاء العالم . . ومن جميع أنحاء العالم ووضعت رأسي على إحدى الارائك لأنام . . ولكن كيف أنام . . والمكرفون يلعلع فوق رأسي طيلة ساعات الليل بالطائرات القادمة والطائرات المسافرة.

فهذه طائرة سوف تسافر إلى طوكيو . . وأخرى سوف تسافر إلى لندن وثالثة سوف تسافر إلى إيطاليا ورابعة سوف تسافر إلى فرنسا . . لقد لاحظت أن مطار البحرين يعتبر همزة وصل بين الشرق والغرب . . . والطائرات القادمة والمسافرة . . لاتهدأ ليلا ولا نهاراً وحاولت النوم بكل وسيلة . . ولكنني لم أستطع إلى ذلك سبيلا مع شدة التعب . . والحاجة الماسة إلى النوم والهدوء . ولو لبضع ساعات . . ولكن هيهات . . هيهات أن أستطيع النوم في مثل هذا الجو المليء بالحركة . . المليء بالأصوات . .

المليء بالقادمين والمسافرين . . لقد كانت ليلة ليلاء قضيتها على رغم أنفي في ذلك المطار الذي يعتبر مطاراً عالمياً بحق وحقيق .

والمهم أنني قضيت ليلة في مطار البحرين كليل القريص . . أغفو تارة واستيقظ تارات . .

ولقد حاولت في حالات صحوى أن أقرأ . . ولكن أين الفكر الصافي الذى يستطيع أن يقرأ . . وأن يفهم ما يقرأ . . وأن يرتاح لما يقرأ لقد انسدت نفسي عن القراءة . . وانسدت نفسي عن النوم وضقت ذرعاً بالجلوس . . فصرت أتجول في صالات هذا المطار وأبهائه الواسعة . . وأنظر إلى الغادين والرائحين . . المسافرين والقادمين . . وكنت أغبط هؤلاء الذين يجدون مركباً فيسافرون إلى حيث يريدون بينما أنا مربوط برباط وثيق . . لا يحله إلا طيران الخليج . . ولا شيء غير طيران الخليج . . الذي يظهر أنه أخذ امتيازاً خاصاً بأن يكون ركاب الظهران كلهم من نصيبه . . لا يشاركه في هذا طائرة يمنية . . ولا طائرة غيرها من الطائرات التي تملأ الجو ليلا ونهاراً . . وتسافر إلى جميع أنحاء الدنيا . . ولقد حمدت الله حمداً كثيراً أن جعل هذه الرحلة هي آخر الرحلات . . إذ لو كانت في المقدمة لاضعفت عزيمتي ولفتت في عضدى . . ولجعلتني . . أختصر كثيراً من الرحلات التي قمت بها . انها نعمة كبرى . . وصدفة من الصدف المباركة التي مرت أثناء تجوالي الذي دام ما يقرب من تسعين يوماً . .

حواشي وتعليقات .

وانتهت تلك الليلة الليلاء وبها انتهت الرحلة وقرب موعد السفر إلى الظهران فذهبت إلى المكتب الذي لديه

تذكرة الركوب فسلمني اياها .. وسألته عن أمتعتي فقال انها أمامك في الطائرة .. فذهبت وركبنا وأنا أكاد أسبق الطائرة بأفراحي وآمالي إلى وطني .. ووصلنا إلى مطار الظهران في خلال ثلث ساعة ..

لقد فصلني هذا الزمن القصير الذي انتظرته في مطار البحرين عن وطني مدة تسع ساعات كنت أعدها بالدقائق .. بل بالثوانى .. بل بما هو أصغر من تلك .. إذا كان هناك جزء أصغر من الثانية ..

وكم كانت فرحتي كبيرة .. عندما علمت أنه لم يبق على لقائي الأهل والأحبة غير رحلة واحدة .. من الظهران إلى الرياض .. انها فرحة الاياب بعد الغياب .. ولم أتصل بأهلى .. ولم أخبرهم بوصولي إلى الظهران لقد أردت أن يكون وصولي إليهم مفاجأة .. فأنا لا أريد أن ينتظرونى كما كنت أنتظر مواعيد إقلاع الطائرات من بلد إلى بلد .. انني أعرف ثقل الانتظار وصعوبته .. أنا أعرف أن ساعات الانتظار طويلة لا تكاد تنتهي .. ولذلك فأنا لن أجرعهم المرارة التي كنت اتجرعها .. ولا أريد أن أشق عليهم كما شققت على نفسي .. فعملي في نفسي بطوعي واختياري .. أما أن أجرع أهلى وولدي مرارة الانتظار فهذا ليس من عملهم بأنفسهم .. وانما

سببه لو حصل أنا وحدي . . وكفاني ما تجرعته من آلام . . فلا أقل من أن لا أسبب لغيري أن يتجرع هذه الآلام كما تجرعتها . . ولا أن يعانى منها كما عانيت منها سم هذا أيها القارىء الكريم شذوذاً مني . . أو سمه ان شئت شفقة على أهلي وولدي . . أو سمه بأي اسم آخر شئت . . فان كل شيء قد تختلف اسماؤه بحسب اهواء واغراض المفسرين له . . فالشجاع قد يسمى متهوراً . . والجواد قد يسمى مبذراً . . والذى يكرم نفسه ويترفع بها عن الدنايا قد يسمى متكبراً . . والمتواضع المجامل قد يسمى متملقاً . . وهكذا وهكذا مما لا يحصى ولذلك قال الشاعر الأول :

تقول هـــذا مجاج النحل تمدحه

وان تشأ قلت ذا قيء الزنابير

مدحاً وذماً وما جاوزت وصفهما

والحق قد يعتريه سوء تعبير

مالي خرجت عن وصف الرحلة إلى هذه الأفكار . . ان القلم في بعض الأحيان يقودنى من حيث أشعر أو لا أشعر إلى أشياء قد لا تكون خطرت على بالي عند بدء الكتابة . . ان الحديث يجر بعضه بعضاً والأفكار قد

تقودك فكرة إلى فكرة . . وتقودك أخرى إلى أخرى وهكذا ينساق القلم في بعض الأحيان مع تلك الأفكار فلا يكاد يصل إلى معنى حتى يقوده إلى معنى آخر . . ولو أطلقت العنان للقلم في بعض الساعات . . لاتى بالكثير من الحقائق . . والكثير من الترهات . . أو ان شئت فقل القليل من الحقائق والكثير من الترهات . . فما أكثر الترهات التي يراها الانسان في حياته اليومية . . وما أكثر الذين ينساقون وراء هذه الترهات على أنها حقائق . . فقد شاهدت الكثير من هذه الأمور أثناء رحلتي . . ورحمت كثيراً من الخادعين والمخدوعين . . واشفقت عليهم . . وتمنيت أن يكون لي عليهم سلطان من العلم أو سلطان من البيان لأوضح لهم أن الطريق الذي يسلكونه طريق مقفول لا يسلكه إلا من انغلق فكره . . وعميت بصيرته . . فصار لا يميز بين الحق والباطل . . ولا بين السقيم والسليم . .

هنا قف أيها القلم عند هذا الحد . . وعد إلى حيث كنت في مطار الظهران تنتظر حقيبتك . . لتأخذها من الجمرك بعد تفتيشها . . ثم تواصل سفرك إلى الرياض . . إلى مدينة الأهل والولد . . إلى عرين الأسد . . عاصمة بلادك العزيزة . .

واستلمت حقيبتي في مطار الظهران . . وسألت عن

صالة المسافرين إلى الرياض . . فقيل لي إنها في بناية ثانية منفصلة عن صالة القادمين وتعجبت من هذا الانفصال . . ان صالة القدوم وصالة السفر ينبغي أن تكونا متجاورتين . . لا منفصلتين . . وطلبت من أحد الحمالين أن يحمل حقيبتي إلى صالة السفر فطلب مني عشرين ريالا . . انه مبلغ ضخم لصالة لابد أن تكون قريبة . . فرفضت أن أدفع هذا المبلغ وطلبت من حمال آخر هذا الطلب فقال بعشرين ريالا فرضخت للأمر الواقع . . وحمل حقيبتي إلى المبنى الآخر . . وأنا لا أعرف السر في فصل هاتين الصالتين . . انه لا يفصل بينهما إلا مسافة قصيرة . . فيا حبذا لو ربط بين هاتين الصالتين ولو بطريق مسقوف ومبلط . . ولو بنى فيما بين هاتين الصالتين مبان أخرى لكانت توسعة للمطار ولزال هذا الشذوذ الذي لا يليق أن يستمر طويلا .

اني الفت النظر إلى هذا الأمر الذى لا يكلف إلا يسيراً ولكنه يسهل على القادمين والمسافرين كثيراً .

وإلى هنا أضع القلم لنهاية الكتابة عن هذه الرحلة . . ولكنه يبقى بقايا بسيطة سمها ان شئت حواشي على الرحلة . . أو سمها تعليقات . . على بعض النقاط .

أسئلة بلا جــواب .

يسألني بعض الأخوان أسئلة كثيرة عما شاهدته . . وعن أحسن بلاد مررت بها في رحلتي هذه . . وكنت أجيبهم بأن ما شاهدته قد وصفته فيما كتبته من مقالات . . أما أحسن بلاد مررت بها . . فان الاجابة على هذا السؤال من الصعوبة بمكان . . فالبلاد التي مررت بها . . لم أقم فيها طويلا . . ولم اتعمق في البحث عن مواطن الحسن والجمال في ربوعها . . لأن التعمق في هذا الأمر يحتاج إلى بحث وإلى دراسة وإلى تعرف لكثير من الجوانب التي لا يستطيع أن يلم بها عابر سبيل مثلى ولكن الذين يسألونني يريدون جواباً على سؤالهم .. يريدون أن يعرفوا رأيي . . وأن ينظروا بعيني جوانب الحسن والجمال في تلك البلاد التي مررت بها في تجوالي . . وأنا أحاول دائماً أن أتهرب من الاجابة على هذا السؤال . . ولكنهم يحاصرونني حصاراً لا فكاك منه . . فكنت اجيبهم بأن الحكم بأن تلك البلاد هي الاحسن قد لا يتفق معي فيه كثير من الذين زاروا تلك البلاد فالنظرات إلى الأمم والشعوب والمناظر تختلف ما بين شخص وآخر . . وما يلفت نظري كشيخ . . قد لا يلفت نظر آخر كشاب وما يعجبني كشخص نشأ في بيئة محافظة قد لا يعجب آخر عاش في بيئة منطلقة . . فهذه الأمور تختلف نظرات

الناس اليها . . كاختلافهم في كثير من شئون الحياة . .
وكاختلافهم في التفكير والرأي . . وكاختلافهم في
في تذوق الجمال . . ومقاييس الجمال .

فقد مررت في رحلتي بمناظر طبيعية ساحرة . .
كنت أقف عندها مبهوتا ومتأملا وسعيداً . . وقد يمر
بهذه المناظر آخرون فلا يرون فيها مثلما أرى . . ولا
يتأثرون بمشاهدتها مثلما تأثرت ولهذا فانه من الصعب جداً
أن تقول ان تلك البلاد هي أجمل بلاد في العالم . . لأن
كل جــزء من اجزاء العــالم فيه محاسن . . وقد يكون
بجانب هذه المحاسن جوانب من المساوىء . . في نظر
بعض المشاهدين على الأقل . . فالكمال المطلق لله جل شأنه
وكل مخلوق لابد ان يكون فيه جوانب من النقص . .
جوانب مما لا يستسيغه بعض الناس . . ثم هناك عوامل
وظروف كثيرة كل عامل أو ظرف قد يحبب المرء إلى
بلاد بعينها بحيث يفضلها على جميع بلاد العالم . . لأن المرء
إذا كان أحب أمراً من الأمور في بلد فان حبه هذا قد
يغطي عيوب تلك البلد فلا يرى إلا محاسنها . . من خلال
اندفاعه وحبه الذي قد لا يشاركه فيه كثير من الناس . .
فالمحب لا يرى إلا المحاسن . . والمحب قد يرى بعض
المساوىء فيمن يحب . . فلا يراها مساوىء . . بل يسميها
بأسماء أخرى . . قد لا يوافقه عليها الآخرون .

ولهذا فأنت ترى أيها القارىء الكريم انه من الصعوبة بمكان أن أجيب على هذا السؤال الذى يسألني عنه كثير من قراء كلماتي والذي أجلت الاجابة عليه . . بل ترددت في الاجابة عليه حتّى كتابة هذه السطور . .

وإذا كان لابد من الاجابة . . فان هناك بعض المزايا التي قد تنفرد بها بلاد عن البلاد الأخرى. . وقد يكون في البلاد الأخرى مزايا أيضاً تنفرد بها عما يفضلها في بعض الشئون .

فلندن مثلا قد اعجبتني بمحافظتها ونظامها وجمال ريفها الذي سمعت عنه واعجبت به من السماع . . وتمنيت أنني أتيت انجلترا صيفاً لاتمكن من رؤية هذا الريف . . ومقارنة ما سمعت بما أشاهد رأي العين . . ولكن هذه الأمنية لم تتحقق إلا انني مقتنع من كثرة ما سمعت بأن جمال انجلترا في ريفها . . وجمال سكانها في المحافظة على تراثهم وعوائدهم . . القديمة . . فهم يسمعون ويرون . . ولكنهم لا يتحولون عن عاداتهم وتقاليدهم بما يسمعون أو يرون . . انه من الصعب أن يتحول الانجليزي عن عاداته وتقاليده . . وما ورثه عن آبائه واجداده . . وانا لا اقول أنهم جماد . . ولا ان لديهم جموداً . . ولكنني أقول انه شعب واثق بنفسه . . واثق بسلامة أفكاره ومبادئه

. . واثق بتراثه وتقاليده . . ولذلك فهو لا يتأثر بكثير من الأفكار والمبادىء التي أصبحت تغزو أقطار العالم . . وتشعل في بعض تلك الأقطار نيران الفرقة والاختلاف والدمار .

ولقد سمعت من كثير من العارفين بالشعب الانجليزي أنه يحب الغريب وهو لا يفرق في هذا الحب بين أبيض وأسود . . أو بين أصفر وأسمر إن الناس في نظر الانجليزي سواء . . وإذا سألت أحدهم عن أمر تجهله . . أو عنوان لا تعرفه . . فإنه يسير معك إلى نهاية الطريق حتى يصل بك إلى ما تريد . . وقد يكون في هذا تعطيل لعمله . . أو بعض المشقة عليه . . ولكنه يفعله بلا تكلف . . وبلا نظرة مادية يؤملها منك . . ان هذه مزايا قد لا تجدها بارزة كبروزها في الشعب الانجليزى .

خاتمة هذه الرحلة .

إلى هنا أيها القارىء الكريم – تنتهي هذه الرحلة التي وصفت لك فيها أحسن ما رأيت وقدمت لك أحسن ما وجدت . . وبذلت غاية الجهد ملتمساً بذلك رضا الله قبل كل شيء . . ثم رضاك . أنت تعلم أن هذه الحياة أخذ وعطاء . . افادة واستفادة . . فماذا لدي عندك . ؟ ما هي مكافأتي لديك .؟! إن لي اليك مطلباً بسيطاً أنت قادر عليه وهو أن لا تطلب مني أكثر من طاقتي . . وأن تنظر إلى ما كتب في هذه الرحلة الخاطفة بعين الرضا وكفاني منك نظرة الرضا . .

وفقني الله واياك إلى خير الدارين . . وجعلني واياك ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه . . إنه سميع مجيب .

المؤلف

٢٥ / ٤ / ١٣٩٧ هـ

كتب مطبوعة للمؤلف

١ـ كتاب « دخان ولهب » وهو مجموعة من المقالات التي تبحث في شئوننا العامة ويقع في ١٨٢ صفحة .

٢ ـ كتاب « أين الطريق » وهو مجموعة من المقالات التي تعالج كثيراً من شئوننا على اختلاف مستوياتها ويقع في ٣٣٦ صفحة .

٣ ـ كتاب « آراء فرد من الشعب » وهو مجموعة من المقالات التي نشرت في الصحف وعالج فيها المؤلف بعض شئوننا العامة . ويقع في ٢٤٥ صفحة .

٤ ـ كتاب « أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب ». ويقع في أربعة أجزاء .

٥ ـ « مكتبة الطفل في الجزيرة العربية » وهو سلسلة من قصص الأطفال تحتوي على عشر قصص مصورة بالألوان ومشكولة .

٦ ـ « مكتبة أشبال العرب » وهي سلسلة من قصص الأطفال تحتوي على عشر قصص مشكولة ومصورة بالألوان .

٧ ـ كتاب « الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب » ويقع في عشرة أجزاء .

٨ ـ كتاب « ذكريات باريس » وهو رحلة إلى بعض دول أوربا . .

٩ ـ « دورة مع الشمس » وهو رحلة حول العالم بدأت من الغرب وانتهت إلي الشرق .

مطابع الفرزدق التجارية ☎ ٤٧٨٨٥١٠